



افلا ان



Aquí me pinté yo, Frida Kahlo, con
la imagen del tigre, Eusebio Serrano



تأليف: لاورا إسكييل

ترجمة: نادية جمال الدين محمد

244

اهداءات ٢٠٠١

دس/ محمد عبد السلام العمري

الإسكندرية

المشروع القومي للترجمة

الغليان

تأليف

لاورا اسكيبييل

ترجمة

نادية جمال الدين محمد



٢٠٠٠

Estudio critico
de
Como agua para chocolate
Laura Esquivel

"Si Aristóteles hubiera guisado, mucho más hubiera escrito."

Sor Juana Inés de la Cruz.

تقديم

توقفت طويلاً متأملة هذه الرواية بعد مشاهدتها خلال مهرجان القاهرة السينمائي لعام ١٩٩٣، وأعترف أنه بدون مشاهدة الرؤية السينمائية لها، والتي لاقت نجاحاً كبيراً في الولايات المتحدة وبلاد أخرى، لما استطعت استيعابها وتذوقها. أولاً: لأن الرواية كمضمون تتناول موضوعاً مهماً وهو الامتثال الأعمى لتقليد ما على الرغم من سلبه وقسوته على الإنسان. وثانياً: للشكل الذي وضعت فيه المؤلفة المكسيكية لورا إسكييل هذا المضمون، والذي يجعل بطلتها (مسلوبة الإرادة)، تتجه إلى صنعة الطبخ لتستطيع، عبر الطعام، مواجهة ذلك التقليد الذي يكبلها.

المضمون والشكل :

تدور الرواية حول " تيتا " الابنة الصغرى التي تتحمل بخضوع ونقمة عدم استطاعة الزواج من أحبت أمثالاً لتقليد عائلي يقضى بضرورة قيام الابنة الصغرى في الأسرة برعاية أمها حتى وفاتها، وهو ما يترتب عليه عدم زواجها طوال تلك الفترة. وهكذا تتحول « تيتا »، شيئاً فشيئاً، إلى رمز المجتمع

المكسيكي الجديد الذى تشكل عبر القوى الخارجية للشورة المكسيكية: مجتمع مغلوب على أمره وخاضع.

تنسج عقدة القصة عبر مجموعة من وصفات الطعام التى تؤدى عناصرها الغذائية أحياناً إلى تأثيرات سحرية وهزلية. هذه الوصفات موزعة على اثني عشر شهراً من يناير إلى ديسمبر، يمثل كل منها فصلاً من فصول الرواية، تصاحبنا خلال أحداثها مشاعر البطلة وهى إحساس بالغضب لزواج شقيقتها الكبرى من حبيبها الذى رفضت أمها أن تزوجه لها وزوجته من شقيقتها الكبرى، ورغبة جنسية مكبوتة يصاحبها شعور ووضع جاهز للانفجار والافتضاح لا يجد أمامه من متنفس إلا الطهى.

من هنا نكتشف أن الطهى وتأثيراته هو العنصر الأساسى للرواية. فاللذة التى يؤدى إليها الطعام، سواء فى طريقة إعداده أو مذاقه، هو قاعدة المضمون والشكل فى رواية « الغليان ».

الشخصيات :

غالبية شخصيات « الغليان » من النساء، وهى جميعها تدور فى فلك « تيتا » التى تمثل محور الرواية؛ فهى عن طريق الأطعمة التى تعدها، تبرز أهمية المرأة فى حياة الرجل، وبالتالي فى المجتمع، ونجدها فى الرواية تهب نفسها تماماً لإعداد وصفات طعام خاصة بها استمدتها من كتب جداتها. ونجد كل فصل فى الرواية يبدأ بوصفة طعام تبدأ بالمواد المطلوبة والمقادير ثم

الاسترسال، من خلال بقية الفصل، في وصف طريقة الإعداد التي تتسلل من خلالها لوصف وإطلاق مشاعرها وربطها بنوع الطعام الذي تقدمه لنا. ومن هنا نتعرف على شخصية « تيتا » وأسلوب حياتها ومشاكلها النفسية والاجتماعية، والتي لا تحول دون إبداعتها الخاصة في صنع أكلة ما. وهكذا يتحول الطعام إلى وسيط مهم للتعبير، وهو ليس أمراً صعباً على إنسانة عرفت الحياة عن طريق الطبخ الذي ولدته فيه. لم يكن سهلاً على « تيتا » إدراك العالم الخارجى؛ فقد انحصر عالمها الكبير داخل هذا المصنع الصغير للطعام (للحياة). فإذا كانت قد حرمت من التعرف على الحياة الخارجية، فإنها تسيطر عليها من خلال عالمها الصغير وهو: المطبخ.

لقد حرمتها أمها من الزواج ممن أحبت؛ فكان زواجها الروحى به من خلال الطهى الذى كانت تبثه من خلاله كل مشاعرها كامراً. ولكن التأثيرات الناتجة عن الطعام الذى تصنعه " تيتا " يصل إلى مستويات تفوق طبيعته مسببة أفعالاً عجيبة ومكتسبة صبغة واقعية سحرية. ولكونها طاهية ماهرة تسيطر تماماً على هذه الصنعة التي لازمتها منذ صغورها، وشكلت مشاعرها ورغباتها التي تشبهها الكاتبة " بقطع الزلاية عند إلقائها في الزيت المغلى " أو الإحساس بالوحدة والهوان مثل حبة الفلفل المحشوة بالجوز والمنسية في صحن بعد وليمة عظيمة. كانت « تيتا » تعاني من شوق وإحباط شديدين مثل جائع لا يكمل

صحته استحياءً من إظهار نهمة . ولكنها تصرخ أحياناً يائسة وهي تلعن الحياء والكتب التي تدعو إلى السلوك المهذب؛ فبسببها قدر على جسدها أن ينزوى، وأن يذبل شيئاً فشيئاً بلا أى ترياق.

وهكذا تبث « تيتا »، عن طريق وصفاتها للطعام، مشاعر امرأة كتبت عليها التقاليد العقيمة أن تكتم مشاعرها، وأن يذبل جسدها.

ويظهر الطهو كوسيلة للتعبير عن ذاتها عند وفاة « روبرتو » ابن أختها من حببيها، والذي كانت ترعاه، إلا أن أمها قامت بإبعاده عنها مما أدى إلى وفاته، عند ذلك تتمرد « تيتا » وتمتنع عن الطعام والطهى، وهو ما يعنى رفضها للحياة. ونراها فى هذه الحالة تتساءل بياس: « لو أننى أستطيع أن أتذكر كيف أطهو ولو حتى بيضتين، لو أننى أستطيع تذوق أى أكلة، لو أننى أستطيع... العودة إلى الحياة... » وتعود « تيتا » إلى الحياة بالفعل عبر حساء « عكاوى الغنم » الذى أعدته لها الخادمة « تشييتشا »، وهنا تؤكد « تيتا » أن الحساء المعد بطريقة جيدة قادر على قهر أى مرض نفسى كان أم عضوى، ويعود البصل الذى صنع منه الحساء والذى بدأت حياة « تيتا » معه فى المطبخ، يعود لممارسة تأثيره المطهر مزيلاً كل آلامها عبر الدمع الذى ينطلق بمجرد انبعاث رائحته.

إن الطهى يجعل « تيتا » تتقاسم مشاعرها مع الآخرين؛

فطعامها يحرك، بدون إرادة منها، الأحاسيس ذاتها فيمن يتناوله؛ فكل وصفة طعام تعبر عن شعور أو حالة نفسية تعانيها « تيتا » وتعكسها في صنعها. فترى الدمع، الذى ينساب منها فى كعكة زفاف شقيقتها إلى حبيبها، يؤدى إلى غثيان وشعور قوى بالشجن . . . ودماؤها التى تختلط بتبيلات الورد الذى قدمه لها « بيدرو » (حبيبها وزوج شقيقتها والذى يقيم هو وزوجه فى نفس المنزل) يؤدى إلى رغبة جنسية جامحة فى كل أفراد العائلة، كما أن وجبة « المولى » تفضى إلى حالة من النشوة فى نفس كل من يتناولها . . .

تنسج الكاتبة روايتها بأسلوب بسيط وجمل قصيرة ومتقطعة تعكس الحالة النفسية لأبطالها. ولكن رغم بساطة الأسلوب، إلا أنه تهكمى واستفزازى ومرير يتفق وشخصية « تيتا » الفتاة الريفية المقهورة، والتى لا تستسلم، وتعبر عن رفضها بشكل وإن كان يبدو سلبياً، إلا أنه يمثل، إلى حد ما، تحدياً لامرأة فى ظروفها.

وهكذا نرى أن رواية « الغليان » كانعكاس جوهري للحياة، تضيف صفحة جديدة فى سجل العذابات التى تعانيها المرأة باسم العادات والتقاليد المتوارثة وهى هنا: الخضوع للإرادة والحرمان من أهم حقوق الأنثى وهى الزواج من ترغب، والتى نجد موازياتها، وإن كانت بصور مختلفة، فى مجتمعاتنا العربية. كما أنها تلقى الضوء على حقيقة مهمة للغاية نفتقدها حالياً وهى

« الطهو » ونقصد به الطعام المعد بشكل إنسانى وليس كما يحدث الآن، حيث تحولت مجتمعاتنا إلى الوجبات الآلية الجاهزة والسريعة والجامدة، والتي تعد بلا أى تفاعل وجدانى .

إن الطهى يحمل بالنسبة للمؤلفة صفات شبه صوفية (خفية) فهو ينقلنا إلى الماضى، وهو ماضٍ تتضمنه وصفات طعام تحفظ تراثنا حياً، ويحقق هويتنا وتميزنا.

إن بداية « الغليان » تعيد تقييم المطبخ كمكان مقدس، وتستدعى الحنين لطقوسه. فإن الطعام والكيمياء التى تتطلبها عملية الطهى يطلقان قوى داخلية تتفاعل مع قوى خارجية تؤدى إلى التحريض على إقامة عالم متوازن. لعل تلك الكلمات الأخيرة تحمل أسباب عدم توازن عالمنا. لقد فقدنا لذة الاستمتاع بالطهى، وبالتالي بالطعام؛ ففقد جسدنا الشعور بالتذوق والمتعة .

استطاعت الكاتبة ببراعة أن تطعم فصول روايتها ببعض النصائح الخاصة بأسرار الطهى وفن إعداد مائدة الطعام وغيرها من الأفكار التى ابتعدت كثيراً عن اهتماماتنا، والتى كانت تمثل طقوساً مهمة عند أجدادنا.

لاقت رواية « الغليان » نجاحاً عالمياً كبيراً؛ فقد ترجمت إلى ٢٩ لغة، كما احتلت، لأكثر من عام، قائمة الكتب الأكثر مبيعاً فى النيويورك تايمز، وفازت مؤلفتها عام ١٩٩٤ بجائزة ABBY،

وهى جائزة الكتب الأكثر مبيعاً لذلك العام متحولة إلى أول كاتب أجنبي يحصل على هذه الجائزة وكفيلم كتبت السيناريو له نفس المؤلفة، وقام بإخراجه زوجها السابق ألفونسو أرّاو، حصل عام ١٩٩٢ على جائزة أريال وسيلفر هوجو (خلال المهرجان الدولي للسينما فى دورته الثامنة والعشرين)، وعام ١٩٩٣ على جائزة مهرجان هيوستن السينمائى الدولى . وفى يناير من نفس العام لقتت المؤلفة « لاورا إسكييل » بامرأة عام ١٩٩٢ .

الفصل الأول

يناير

فطائر أعياد الميلاد

المقادير:

علبة سردين - نصف كيلو من السجق - بصلة - زعتر -

علبة فلفل أحمر حار - عشرة أرغفة فينو

طريقة العمل

تخرط البصلة ربيعاً، وأنصحكم بوضع قطعة صغيرة من البصل على منطقة أم الرأس لتفادى الضيق من الدمعان الذى يصاحب خرط البصل. و السئ فى البكاء عند خرط البصل ليس فى البكاء ذاته، بل فى أنه أحياناً ما أن نبدأ فى تلك العملية حتى نثار، كما يقولون، ولا نستطيع التوقف بعد ذلك. لست أدري إن كان حدث ذلك لكم. أما أنا ففى الحقيقة قد مررت به مرات لا حصر لها. كانت أمى تقول إن السبب فى ذلك يرجع إلى أننى حساسة للبصل مثل جدتى تيتا.

يقولون إن تيتا كانت حساسة إلى درجة أنها كانت وهى لاتزال فى بطن أم جدتى تبكى مراراً عندما كانت تلك تقوم بخرط البصل ؛ كان بكاءها قوياً إلى درجة أن ناثشاً، طاهية المنزل شبه الصماء، كانت تسمعها بلا مشقة. وحدث ذات يوم أن كانت نهنحات البكاء من الشدة بحيث بكرت بالولادة. وبدون أن تنطق

أم جدتى بينت شفة جاءت تيتا إلى هذا العالم قبل موعدها فوق مائدة المطبخ، بين روائح حساء الشعيرة فوق النار، والزعرتر وورق الغار و الكزبرة و رائحة الحليب المغلى و الثوم و البصل طبعاً. ولكم أن تتصوروا أنه لم يكن هناك داع للعملية المعهودة و الخاصة بضرب المولود على إلبته؛ لأن تيتا ولدت وهى تبكى مسبقاً، وربما كان ذلك لاستشفافها أن الغيب يلح لها بأن هذه الحياة تنكر عليها الزواج. وكانت ناتشا تحكى أن تيتا قد دفعت دفعاً إلى هذا العالم عبر سيل هائل من الدموع التى انسابت فوق مائدة وأرضية المطبخ.

وفى المساء، عندما زال القلق و تبخرت المياه بفعل أشعة الشمس، قامت ناتشا بجرف بقايا الدموع التى قد تبقت فوق البلاط الأحمر الصغير الذى كان يغطى الأرضية. وملأت بهذا الملح جوالاً زنة خمسة كيلو جرام استُخدم فى الطهى مدة طويلة. هذا الميلاد غير المألوف يوضح سبب شعور تيتا بحب كبير للمطبخ، وأنها سوف تمضى الجزء الأكبر من حياتها به. وبشكل محدد منذ مولدها، فبعد يومين من ميلادها مات أبوها، أو والد جدى، بأزمة قلبية مما أدى إلى انقطاع اللبن من ثدى ماما إيلينا من التأثير. ونتيجة عدم وجود حليب مجفف فى ذلك الزمان و لا ما يشبهه، ولعدم إمكان العثور على مرضعة فى أى مكان، وجدت الأسرة نفسها فى مأزق حقيقى من أجل تهدئة جوع الطفلة.

عرضت ناتشا، التى كانت على علم تام بكل ما يخص المطبخ - وبأشياء أخرى أكثر لا مقام لها الآن - أن تتولى تغذية تيتا. فقد اعتُبرت الأكثر قدرة على "تشكيل معدة المخلوقة البريئة" بالرغم من أنها لم تتزوج ولم تنجب. ولم تكن حتى تقرأ ولا تكتب، ولكن فيما يتعلق بالمطبخ، كانت بالفعل على دراية تامة وفائقة. قبلت ماما إيلينا الاقتراح برضى فكان يكفيها ما تعاني من الحزن والمسئولية الضخمة الخاصة بإدارة المزرعة بحزم لتستطيع توفير الغذاء لأولادها وكذلك التعليم المناسب، حتى يقع عليها أيضاً عبء تغذية المولودة كما يجب.

وعليه فقد نُقلت تيتا منذ ذلك اليوم إلى المطبخ و بين الشاى والأتوليه ^(١) نمت مليئة بالصحة والجاذبية. وهنا يمكن تفسير سبب ما نغا لديها من حاسة سادسة بكل ما يتعلق بالطعام. فمثلاً كانت مواعيد طعامها ترتبط بمواعيد الطهى فى المطبخ: ففي الصباح عندما كانت تيتا تشم أن الفاصوليا قد نضجت أو فى وقت الظهيرة عندما كانت تشعر أن الماء قد أُعد لتنظيف الدجاج من الريش أو عندما كان الخبز يسوى فى الفرن من أجل العشاء، كانت تشعر أن ساعة طلب غذائها قد حانت.

(١) الأتوليه: شروب سميك يتكون من الذرة المطحونة ودقيق أرز .. الخ، مذاق ومغلى فى ماء أو حليب. يمكن أن يضاف إليه مواد أخرى مثل السكر، القرفة، الشيكولاته، أو عصير الفاكهة ليكتسب طعماً أكثر (المترجمة).

كانت تبكى أحياناً بلا سبب، مثلاً عندما كانت ناتشا تخرطُ بصلة، ولكن لأن الاثنين كانتا على علم بسبب تلك الدموع كانتا لا تعبآن بها. بل كانت تتحول إلى سبب للتسلية إلى درجة أن تبتا خلال فترة طفولتها لم تكن تميز جيداً بين دموع الضحك و دموع البكاء. فقد كان الضحك بالنسبة لها طريقة للبكاء.

كانت تخطئ بنفس الشكل لذة العيش بلذة الطعام. لم يكن سهلاً على امرأة عرفت الحياة من خلال المطبخ أن تعي العالم الخارجى. ذلك العالم الضخم الذى كان يبدأ من باب المطبخ نحو داخل البيت. لأن العالم الذى كان يتاخم الباب الخلفى للمطبخ و يفضى إلى الفناء ثم الحديقة فالحقل، كان بأكمله ملكاً لها وتحت سيطرتها. على عكس شقيقاتها اللاتي كان هذا العالم يفزعهن و كن يجدنه مليئاً بمخاطر خفية. كان اللعب داخل المطبخ يبدو لهن مستحيلاً وفيه مخاطرة و لكن، على الرغم من ذلك، استطاعت تيتا إقناعهن برؤية طريقة تراقص قطرات الماء عند تساقطها فوق قطعة صفيح شديدة السخونة، إنه لمنظر مدهش.

ولكن بينما كانت تيتا تغنى وتهز يديها المبتهلتين بشكل إيقاعى لكى تندفع قطرات الماء فوق الصفيح و"تراقص"، ظلت روساورا فى ركن مذهولة مما تشاهده. وعلى العكس كانت خيرتروديس، مع كل ما يحدث سواء النغم أو الحركة أو الموسيقى، مأخوذة بشدة باللعبة و انغمست فيها بحماس. عندئذ

لم يكن أمام روساورا من خيار سوى محاولة عمل نفس الشيء. لم تكن تبلل يديها تقريباً و كانت تقوم بذلك بخوف شديد، لم تحقق النتيجة المأمولة. عندئذ حاولت تيتا مساعدتها بتقريب يديها من قطعة الصفيح. قاومت روساورا و لم يتوقف هذا الصراع حتى قامت تيتا و هى فى شدة الغيظ بإطلاق يديها لتقعاً، لكسلها، فوق الصفيح الملتهب. وهكذا وفضلاً عن العلكة الساخنة التى كانت من نصيبها، حُرِم على تيتا اللعب مع شقيقتها داخل عالمهما. عندئذ، تحولت ناتشا إلى رفيقتها فى اللعب. وظلنا تخرعان معاً ألعاباً و أنشطة متعلقة دائماً بالمطبخ. وحدث يوماً أن رأنا فى ساحة القرية رجلاً يكونُ أشكالاً لحيوانات ببالونات طويلة فجال بخاطرهما القيام بنفس العملية ولكن باستخدام قطع من السجق. فكونتا ليس فقط أشكالاً لحيوانات معروفة، وإنما ابتدعنا فوق ذلك بعضها نذكر منها على سبيل المثال أشكالاً برقبة أوز وأرجل كلب وذيل حصان.

كانت المشكلة تنجم عند اضطرارهما إلى حل تلك الأشكال لتحميم السجق. فقد كانت تيتا ترفض ذلك فى أغلب المرات. وكانت الوسيلة التى تقبل فيها ذلك بإرادتها عندما يكون الأمر متعلقاً بصنع فطائر عيد الميلاد. فقد كانت تسعدها. عند ذلك لم تكن تسمح فقط بتبديد شكل أحد حيواناتها بل و كانت تراقبه بسعادة وهو يقلب.

يجب الحرص على قلى السجق الخاص بالفطائر على نار هادئة جداً ليتم نضجه جيداً، ولكن بدون الإفراط فى تحميره . وعندما ينضج يُرفع من على النار و يضاف إليه السردين الذى تم نزع الشوك و عظمة الظهر منه . من الضرورى أيضاً إزالة البقع السوداء التى تكون بجلد السردين بسكين . يضاف إلى السردين البصلة و الفلفل الحار المفرومين والزعر المطحون . يترك الخليط ليهدأ قبل حشو الفطائر .

كانت تينتا تستمتع إلى حد كبير بتلك الخطوة، فقد كان مستحجاً جداً التمتع بالرائحة المنبعثة من الخلطة السابقة أثناء تركها لتترسب . فقد كان للروائح خاصية إحياء أزمئة ماضية وأصوات وروائح لا مثيل لها فى الحاضر . كان يحلو لتينتا أن تستنشق بعمق وتُبخر مع الأبخرة و الروائح المميزة للغاية التى كانت تدركها، فى منعطفات ذاكرتها .

وعبثاً حاولت أن تستدعى المرة الأولى التى شمت فيها رائحة إحدى هذه الفطائر ولكن بلا نتيجة؛ لأن ذلك ربما كان قبل مولدها . ولعل الخليط الغريب من السردين والسجق قد شد انتباهها بدرجة جعلتها تُعدل عن البقاء فى أمان السماء و تختار بطن ماما إيلينا لتكون أمها و تنضم بهذه الطريقة إلى عائلة دي لا جارثا التى كانت تشتهر بطعامها الشهى ويطبق السجق بشكل خاص جداً .

كانت عملية إعداد السجق فى مزرعة ماما إيلينا طقساً بمعنى الكلمة. فقبل إعداده بيوم تبدأ عملية تقشير الثوم و غسل الفلفل الحار و طحن التوابل. كان على كل نساء العائلة المشاركة فى تلك العملية: ماما إيلينا و بناتها خيرتروديس وروساورا و تيتا و ناتشا الطباخة و تشينتشا الخادمة. كن يجلسن فى المساء على مائدة حجرة الطعام و بين أحاديث و مزاحات كان الوقت يمر فى لمح البصر حتى يهبط الظلام عندئذ تقول ماما إيلينا:

- كفانا هذا اليوم.

يقولون إن اللبيب بالإشارة يفهم، وعليه فإنه بعد سماع هذه الجملة كان الجميع يعلم ما يجب عليه القيام به. أولاً يقمن بجمع الأشياء من فوق المائدة ثم توزع الأعمال فيما بينهن: واحدة تبني الفراخ و أخرى تجلب الماء من البئر و تجهزه للاستخدام وقت الإفطار و أخرى تتولى أمر حطب المدفأة. وفى ذلك اليوم لا يتم كى ولا تطريز ولا حياكة ملابس. بعد ذلك يذهب الجميع إلى غرف نومهن للقراءة و الصلاة و النوم. فى إحدى تلك الأمسيات وقبل أن تذكر ماما إيلينا أنه حان وقت جمع ما فوق المائدة، أخبرتها تيتا، وكانت آنذاك فى الخامسة عشر، بصوت مرتعش، بأن بيدرو موثكيث يريد الحضور للتحدث معها. . .

قالت ماما إيلينا بعد صمت غير منته قبض نفس تيتا.

- وفيما يريد الحضور ليحدثني ذلك السيد ؟

أجابت بصوت يُسمع بالكاد:

- لا أعلم .

رمقتها ماما إيلينا بنظرة كانت تحمل في طياتها لتينا كل سنوات القمع التي كانت تجشم على العائلة وقالت: إذن، من الأفضل أن تخبريه أنه إذا كان من أجل طلب يدك ألا يفعل . فسوف يضيع وقته ووقتي . تعلمين تمام العلم أنك لكونك أصغر البنات يقع على عاتقك رعايتي حتى يوم وفاتي .

نهضت ماما إيلينا ببطء، بعد أن قالت هذا، ووضعت نظارتها في مرولتها وكررت كأمر نهائي .

- كفانا هذا اليوم!

كانت تيتا تعلم أن الحوار ليس مدرجاً ضمن قواعد التعامل في البيت . ولكنها بالرغم من ذلك حاولت لأول مرة في حياتها أن تعترض على أمر لوالدتها .

- لكن أنا أرى أنه . . .

- أنت لاترين شيئاً وانتهى الأمر! عبر أجيال لم يعترض أحد في العائلة البتة على هذا التقليد و لن تكون إحدى بناتي هي من تقوم بذلك .

نكست تيتا رأسها و بنفس القوة التى سالت بها دموعها فوق المائدة، هوى عليها قدرها. ومنذ تلك اللحظة علمت أنها هى و المائدة لن تقدرأ على أى تعديل فى إتجاه هذه القوى المجهولة التى تجبر إحداها على مقاسمة تيتا قدرها باستقبال دموعها المرة منذ لحظة مولدها، و الأخرى على أن تتحمل هذا القرار المحال.

لم تكن تيتا موافقة بلا شك. فقد كان هناك كم من الشكوك و القلق يعترى عقلها. مثلاً، كان يسعدها أن تعرف من الذى بدأ هذا التقليد العائلى، فقد كان من المستحسن أن نجعل هذا الشخص الذكى يفهم أن فى خطته المحكمة لتأمين شيخوخة النساء عيباً طفيفاً. فإذا كانت تيتا لايمكنها الزواج ولا انجاب أطفال، فمن إذن سوف يرعاها عندما تصل إلى سن الشيخوخة ؟ ماهو الحل الصائب لتلك الحالات ؟ أو أنه لم يكن من المنتظر للبنات اللائى يقمن برعاية أمهاتهن أن يعشن طويلاً بعد وفاة أمهاتهن ؟ وإلى أين سينتهى الأمر بالنساء اللائى يتزوجن ولا ينجبن، من سيتولى أمرهن ؟ وأكثر من ذلك، كانت تريد أن تعلم ماهى الأبحاث التى أجريت لإثبات أن الابنة الصغرى هى الأكثر أهلية للسهر على أمها و ليس الابنة الكبرى ؛ هل وُضع فى الاعتبار يوماً رأى البنات المتضررات ؟ هل يسمح لها، بما أنها لا تستطيع الزواج، أن تعرف الحب على الأقل ؟ أم و لاحتى ذلك ؟

كانت تيتا تعلم جيداً أن كل هذه التساؤلات يجب لا محالة أن تأخذ مكانها ضمن أرشيف الأسئلة التي لأجواب لها. ففى عائلة دى لا جارثا تجب الطاعة وانتهى.

خرجت ماما إيلينا غاضبة من المطبخ و متجاهلة تيتا تماماً و طيلة أسبوع لم توجه لها كلمة واحدة. وقد استؤنف شبه التعامل هذا عندما اكتشفت ماما إيلينا و هى تراجع الملابس التى تقوم كل واحدة من النساء بحياكتها، أنه بالرغم من أن الفستان الذى قامت تيتا بتفصيله كان الاكمل، إلا أنها لم تقم بسراجته قبل الخياطة.

قالت لها:

- أهنتك، الغرز متقنة، ولكنك لم تسرجيه، أليس كذلك؟
- نعم.

- أجابت تيتا وهى مندهشة لرفع قانون الصمت عنها.
- عليك إذن أن تفكيه و تسرجيه و تخطيه من جديد و تأتى بعد ذلك لأراجعته لتتعلمى أن فى التأتى السلامة وفى العجلة الندامة.

- لكن ذلك لو كان هناك عيب وحضرتك ذكرتِ بنفسك منذ لحظة أن فستانى كان....

- هل سنبداً فى التمرد مرة ثانية ؟ يكفى أنك تجرات على الحياكة منتهكة القواعد.

- سامحيني يامامى . لن أعود إلى فعل ذلك .

استطاعت تيتا ببتلك الكلمات أن تهدئ من غضب ماما إيلينا . فقد كانت حريصة كل الحرص على أن تنطق كلمة " مامى " في اللحظة وبالأسلوب المناسبين . فقد كانت كلمة ماما في رأى ماما إيلينا ذات وقع تحقيرى ، لذلك أجبرت بناتها منذ طفولتهن على استخدام كلمة " مامى " عند الحديث معها . كانت الوحيدة التى تعارض أو تنطق الكلمة بلكنة غير مناسبة هى تيتا ، وكان هذا سبباً في الصفعات التى لاحصر لها التى كانت تنهال عليها . وكم أجادت نطقها في تلك اللحظة ! لقد شعرت ماما إيلينا بالانتعاش وفكرت في أنها ربما قد استطاعت قهر شخصية أصغر بناتها . ولكنها للأسف احتوت في صدرها هذا الأمل لفترة قصيرة ، ففي اليوم التالى جاء بيدرو موثكيث إلى المنزل برفقة السيد والده لطلب يد تيتا . وقد أدى وجودهما في البيت إلى ارتباك كبير . فلم يكن في انتظار زيارتهما . فقبل ذلك بأيام أرسلت تيتا إلى بيدرو رسالة شفوية مع أخى ناتشا تطلب منه التخلي عن مقصده . وأقسم لها أخو ناتشا أنه قد أبلغ الرسالة لدون بيدرو ، ولكن ما حدث هو أنهما حضرا إلى البيت . استقبلتهما ماما إيلينا في الصالة و عاملتهما بلطف شديد وشرحت لهما سبب عدم استطاعة تيتا الزواج .

- إذا كان بالطبع ما يهمكما هو زواج بيدرو ، فإننى أضع

في اعتباركما ابنتى روساورا التى تكبر تيتا بعامين فقط ولكنها مؤهلة تماماً ومعدة للزواج . . .

كادت تشيئتشا، لدى سماعها هذه الكلمات، أن تلقى فوق ماما إيلينا بصينية القهوة و البسكويت التى حملتها إلى الصالة لإكرام وفادة دون باسكوال و ابنه. انسحبت بسرعة و هى تعتذر متجهه إلى المطبخ حيث كانت فى انتظارها تيتا وروساورا وخيرتروديس لإعطائهن تقريراً مفصلاً عن كل ما يجرى فى الصالة. دخلت فى عجلة وتوقفن جميعهن عن العمل فوراً حتى لا يضيعن كلمة واحدة من كلماتها.

كن جميعاً مجتمعات هناك من أجل إعداد فطائر عيد الميلاد. وهذه الفطائر، كما يشير اسمها، تُصنع فى فترة أعياد الميلاد و لكنها هذه المرة كانت تعد من أجل الاحتفال بعيد ميلاد تيتا. وفى الثلاثين من سبتمبر تكمل عامها السادس عشر و كانت تريد الاحتفال بتلك السنوات بتناول أحد أطباقها المفضلة.

- أي نعم، أليس كذلك ؟ تتحدث أمك عن أنك جاهزة للزواج كما لو كنت طبق إنشيلاداس^(٢) ! ولاحتى ذلك ! فالشكل ليس كالجوهر ! فلايمكن بأى حال من الأحوال إبدال أكلة خفيفة بإنشيلاداس !

(٢) أكلة مكسيكية عبارة عن رغيف من دقيق الذرة المحشو بالفلفل وغيره Enchiladas.

لم تتوقف تشنيتشا عن هذا النوع من التعليقات و هى تقص عليهن، بطريقتها بالطبع، الموقف الذي شاهده توأ. كانت تينا تعلم كم المبالغة و الكذب الذي دأبت تشنيتشا عليه لذا لم تعط الفرصة ليتمكن الكدر منها.

رفضت قبول حقيقه ما سمعته لتوها. استمرت وهى تتظاهر بالهدوء فى تقطيع الخبز الفينو لكى تقوم شقيقاتها و ناتشا بحشوه.

يُفضل أن يُخبز العيش الفينو فى المنزل. ولكن إذا لم يكن ذلك ممكناً فمن المناسب طلبه من المخبز على أن يكون الخبز صغير الحجم لأن الكبير لا يصلح لهذه الأكلة. بعد حشو قطع الخبز توضع فى الفرن لمدة عشر دقائق وتقدم ساخنة. و للحصول على نتيجة مثلى يمكن تركها فى الهواء الطلق ليلة كاملة ملفوفة فى قطعة قماش حتى يتشرب الخبز دهن السجق.

وبينما كانت تينا تنهى تغليف الفطائر التى سيتناولنها فى اليوم التالى دخلت ماما إيلينا المطبخ لتخبرهن بأنها قد وافقت على زواج بيدرو ولكن من روساورا.

وما أن سمعت بتأكيد الخبر حتى شعرت تينا و كأن الشتاء قد تخلل جسدها فجأة: كان بارداً و جافاً إلى درجة أنه لفح وجتيتها و جعلهما حمراوين، حمراوين فى مثل لون التفاح الذى

كان أمامها . لقد صاحبها هذا البرد المفاجئ لوقت طويل بدون أن يفلح شيء في تهدئته و لا حتى عندما روت لها ناتشا ما سمعته وهى تصاحب دون باسكوال موثكيث و ابنه حتى مدخل المزرعة . كانت ناتشا تسير أمامهما محاولة تقليل خطوها لتسمع بشكل أفضل الحديث الذي دار بين الأب و الابن . كان دون باسكوال ويبدو يسيران ببطء و يتحدثان بصوت خفيض و مكبوت من الغضب .

- لماذا فعلت هذا يا بيدرو ؟ لقد كان وضعنا مثيراً للسخرية يقبولنا الزواج من روساورا . أين إذن الحب الذي عاهدت تيتا عليه ؟ أليست لك كلمة ؟

- لدى بالطبع ، ولكن لو أنهم أبوا عليك بشكل قاطع الزواج من المرأة التي تحبها وكان المخرج الوحيد لتكون بالقرب منها هو الزواج من أختها ، ألن تتخذ نفس القرار ؟

لم تستطع ناتشا سماع الرد لأن بولكيه ، كلب المزرعة ، خرج مسرعاً وهو يعوى خلف أرنب خاله قطعاً .

- إذن ، ستتزوج بلا حب ؟

- لا يا أبى ، سوف أتزوج و أنا أشعر بحب كبير و خالد لتيتا .

كان التقاط صوتهما يزداد صعوبة فقد أخمدته صوت وطاء

الأقدام بالأوراق الجافة. كان غريباً أن تقول ناتشا، و كانت في ذلك الحين أشد صمماً، إنها سمعت الحديث. لقد أسعد تيتا بالطبع أن تحكيه لها و لكن هذا لم يغير من موقف التحفظ البارد الذي اتخذته منذ ذلك الحين حتى مع بيدرو. يقال إن الأسم لا يسمع ولكنه يؤلف. لعل ناتشا سمعت فقط الكلمات التي صمت عنها الجميع. كان مستحيلاً على تيتا أن تصاحب النوم، لم تكن تستطيع تفسير ما تشعر به. للأسف لم تكن في ذلك العهد قد اكتشفت بعد الثقوب السوداء في الفضاء لأنه عندئذ كان سيكون سهلاً عليها إدراك أنها كانت تشعر بثقب أسود في وسط صدرها يتسرب منه برد لانهاية له.

كانت تستطيع كلما أغلقت عينيها أن تسترجع بوضوح مشاهد ليلة عيد الميلاد قبل عام و كان بيدرو و عائلته مدعوين فيها لأول مرة لتناول العشاء في بيتها و كان البرد يشتد بها. لكنها بالرغم من الوقت الذي مر كانت تستطيع أن تتذكر تماماً الأصوات والروائح وصوت احتكاك فستانها الجديد بالأرض التي تم تسميعها حديثاً ؛ و نظرة بيدرو لكتفها... تلك النظرة! كانت هي متوجهة نحو المائدة وهي تحمل صينية بها حلوى من صفار البيض عندما شعر هو بها، ملتفة، تحرق له جلده. أدار رأسه والتفت عيناها بعيني بيدرو. في تلك اللحظة شعرت تماماً بما يمكن أن يشعر به عجينة الزلاية عند تلامسه بالزيت المغلي. كان شعورها

بالحرارة التي تحتاج كل جسدها حقيقياً إلى درجة أنها خشيت من أنه، كما يحدث لإحدى عجائن الزلاية، قد تبدأ الفقايع في الانبثاق في كل جسدها - الوجه و البطن و القلب و النهدين - لم تستطع تيتا مجاذبته تلك النظرة وقامت وهي تخفض نظرتها باختراق الصالون بسرعة حتى الطرف المقابل حيث كانت خيرتروديس تدير عبر البيانولا فالس "عيون شابة". وضعت الصينية فوق منضدة صغيرة وتناولت و هي شاردة الفكر كأساً من شراب نويو^(٣) noyo وجدته في طريقها و جلست بجوار باكيثا لوبو جارتهم في المزرعة. لم يفدها بشئ ابتعادها عن بيدرو، فقد كانت تشعر بالدماء تجرى لافحة في عروقها. كان احمرار شديد يكسو وجتيها و لم تستطع بالرغم من المجاهدة المتصاعدة أن تجد مكاناً تحط عليه نظرتها. لاحظت باكيثا أن شيئاً غريباً يدور وسألتها وهي تبدي قلقاً كبيراً:

- كم لذيذ هذا الشراب. أليس صحيحاً ؟
- أنامرين حضرتك بشئ ؟
- أراك شاردة جداً يا تيتا. هل أنت بخير ؟
- نعم، شكراً جزيلاً.
- لست بعد في سن مناسب يسمح لك بتناول بعض

(٣) مشروب كحولي مكون من العرق والسكر واللوز المر.

الشراب في المناسبات الخاصة يا مكارة، ولكن أخبريني: هل أذنت لك أمك بأن تفعل ذلك ؟ لأنني ألاحظ أنك متفضة و مرتعشة - وأضافت بشكل مثير للشفقة - من المستحسن ألا تشربى، فلا تتصرفى تصرفاً غير لائق.

لم ينقصها سوى ذلك! أن تعتقد باكيثا لوبو أنني ثملة. لم تستطع السماح بأن يكون لديها أدنى شك أو أن تخاطر بأن تذهب لتتقل إشاعة كاذبة لأمها. أدى الرعب من أمها إلى أن تنسى للحظة وجود بيدرو و حاولت بكل الطرق أن تقنع باكيثا بأنها في كامل وعيها ونشاطها الذهني. تحدثت معها حول بعض الشائعات والتوافه. بل وأمدتها بوصفة شراب النوي التي كانت تشغلها للغاية. يصنع هذا الشراب بوضع أربع أوقيات من لوز الدراق ونصف رطل من لوز المشمش في حوالى لترين من الماء لمدة أربع وعشرين ساعة حتى يطرى جلد اللوز ؛ يقشر و يكسر و يوضع في منقوع لترين من الماء المغلى لمدة خمسة عشر يوماً. بعد ذلك نبدأ في تقطيره. وبعد إذابة رطلين ونصف من السكر المطحون في الماء إذابة تامة يضاف إليه أربعة لترات من زهر البرتقال ثم تخلط المقادير كلها ويصفى الخليط. وحتى لا تترك أي شك حول حالتها الطبيعية ووعيتها ذكرت باكيثا كما لو كان أمراً عارضاً بأن المكيال المستخدم للسوائل يعادل ١٦, ٠ ٢ لتراً لا أكثر و لا أقل.

وهكذا عندما اقتربت ماما إيلينا منهما لتسأل باكيثا إذا كانت

حسنة الضيافة أجابتها الأخيرة بحرارة:

- إننى فى أحسن حال! لديك بنات رائعات. وحديثهن ساحر!

أمرت ماما إيلينا تيتا بأن تذهب إلى المطبخ لإحضار بعض السندويشات لتوزيعها على الحاضرين. كان بيدرو بالقرب منها فى تلك اللحظة، عن عمد، وعرض مساعدتها. سارت تيتا نحو المطبخ بسرعة دون أن تنبس ببنت شفة. فقد كان قرب بيدرو منها يجعلها عصيبة للغاية. دخلت و انجھت نحو إحدى الصوانى التى بها ساندويشات لذیذة كانت تنتظر بصبر فوق منضدة المطبخ.

لن تنسى أبداً التلامس العرضى لأيديهما عندما حاولا بارتباك أخذ نفس الصينية فى نفس الوقت.
وقتها باح لها بيدرو بحبه.

- آنسة تيتا، أريد انتهاز الفرصة لأتحدث معك على انفراد وإخبارك بأننى أحبك بشدة. أعلم أن هذا التصريح جريئ و متعجل ولكن من الصعب جداً الاقتراب منك وقد اتخذت القرار بأن أفعل ذلك الليلة. أريد فقط أن أقول لى إذا كنت أطمع فى حبك^(٤).

- لا أعرف بم أجيبك ؛ أعطنى فرصة لأفكر.

(٤) الحديث هنا يتم بصيغة الاحترام «حضرتك» بين الطرفين وهو ما كان شائعاً فى ذلك الوقت، ولسبولة الترجمة وضعت الحديث بشكل عادى.

- لا، لن أستطيع، أريد الإجابة توأ: إن الحب لا يحتاج إلى تفكير: أنا رجل كلماتي قليلة ولكنها راسخة. أعاهدك بأننى سوف أحبك الى الأبد. ماذا عنك ؟ هل تشعرين أيضاً بالحب نحوى ؟

- نعم!

نعم، نعم وألف مرة نعم. لقد أحبته منذ تلك الليلة و إلى الأبد. ولكن عليها أن تعدل عن ذلك. فليس من اللائق حب من سيكون زوج شقيقتها. كان عليها محاولة طرده من تفكيرها بأية طريقة حتى تستطيع النوم. حاولت أن تأكل فطيرة الميلاد التى تركتها لها ناتشا فوق المكتب مع كوب الحليب. كان لهذه الوجبة نتائج جيدة في كثير من المناسبات. كانت ناتشا بتجربتها الطويلة تعلم انه بالنسبة لتيتا ليس هناك أي كدر لايمكن إزالته بأكل فطيرة الميلاد اللذيذة. ولكن ليس في هذه المناسبة. فالفراغ الذي تشعر به في معدتها لم يسكن. على العكس، اجتاحتها شعور بالغثيان. واكتشفت أن فراغ معدتها لم يكن من الجوع ؛ بالعكس كان الأمر يتعلق بالشعور بحمى برد مؤلمة. كان لابد من التخلص من هذا البرد المزعج و كإجراء أول قامت تيتا بتغطية نفسها بغطاء ثقيل و ملابس صوفية. ظل البرد بلا حراك. عندئذ وضعت حذاء مغزولاً من الصوف وغطاءين آخرين من الصوف. لاشئ. أخيراً أخرجت من سلة الحياكة الخاصة بها غطاء كانت قد بدأت في غزله في

اليوم الذي تحدث بيدرو معها عن زواجهما. غطاء كهذا من الكروشييه، ينتهى عمله في عام تقريباً. وهى بالضبط الفترة التى فكر بيدرو و تيتا انتظارها قبل الزواج. قررت تيتا أن تستفيد من الغزل بدلاً من تبديده وأخذت بغيظ تغزل و تبكى وتبكى و تغزل حتى جاء الفجر وقد أنهت شغل الغطاء فوضعتة فوقها. لم يجدها في شئ. لم تتمكن تلك الليلة ولا ليال أخرى من أن تسيطر على البرد طوال حياتها.

وتستمر الحكاية

الوصفة القادمة

كعكة التشايبلا (للفرح)

الفصل الثانى

فبراير

كعكة التشايبلا

المقادير:

١٧٥ جم من السكر الفاخر الخشن

٣٠٠ جم من الدقيق الفاخر المنخول ثلاث مرات

١٧٠ بيضة

مبشور ليمونة

طريقة العمل

يوضع في كسرولة صفار خمس بيضات وأربع بيضات كاملة والسكر. يضرب الخليط حتى يغلظ قوامه ثم تضاف إليه بيضتان أخريان كاملتان، وتكرر هذه الخطوة حتى تنتهي من البيض كله بواقع بيضتين بيضتين في كل مرة. لصنع كعكة زفاف بيدرو وروساورا كان يتعين على تيتا وناتشا أن تضاعفا مقادير هذه الوصفة عشر مرات، فبدلاً من إعداد كعكة لثمانية عشر شخصاً، كان عليهما إعدادها لمائة وثمانين. وبذا يكون المجموع ١٧٠ بيضة! وهذا يعني أنه كان عليهما الاستعداد لجمع كمية من البيض الجيد لنفس اليوم.

ولتحقيق ذلك قامتا قبل عدة أسابيع بحفظ أفضل أنواع البيض الذي يضعه الدجاج. وكانت طريقة الحفظ هذه تستخدم في المزرعة منذ عهد بعيد جداً للتزود خلال الشتاء من هذا الطعام المغذي والضروري. وأفضل وقت لهذه العملية هما شهرا

أغسطس وسبتمبر. والبيض الذي يخصص للحفظ يجب أن يكون طازجاً جداً. كانت ناتشا تفضل أن يكون من إنتاج نفس اليوم. يوضع البيض في إناء مملوء بعلف الكباش المذاب وشبه البارد بحيث يغطيه تماماً. ويكفي هذا لضمان حفظه في حالة جيدة لعدة أشهر. أما إذا كان المراد حفظه لأكثر من عام فيوضع البيض في إناء من الفخار ويغطى بخليط من الجير والماء بنسبة واحد إلى عشرة، ويغطى بإحكام لمنع تسرب الهواء إليه ثم يحفظ في القبو. وقد أخذت تيتا وناتشا بالطريقة الأولى فما كانتا في حاجة إلى حفظ البيض لشهور كثيرة. وقد كان بجانبهما، أسفل مائدة المطبخ، الإناء الذي وضعتا فيه البيض الذي كانتا تستخدمانه في صنع الكعكة.

كان المجهود العظيم المتمثل في ضرب هذا الكم الهائل من البيض قد بدأ يؤثر على عقل تيتا في أعقاب تخطيها خفق البيضة المائة. وبدأ لهما مستحيلاً أن يصلا إلى البيضة رقم ١٧٠.

كانت تيتا تقوم بخفق البيض بينما تقوم ناتشا بكسره وإضافته. كانت رجفة ما تغزو جسد تيتا، وكما يقال، يقشعر جلدتها، مع كل بيضة تكسر. كانت تخلط الدراق الأبيض بخصي الديكة التي خصيت قبل شهر. وتلك الأنواع من الديكة تخصى لتسمينها. وقد اختير هذا الطبق لتقديمه في حفل زفاف بيدرو وروساورا لأنه من أشهر الأطباق في الولايم الكبرى وذلك

لما يبذل من مجهود في إعداده وكذلك لمذاق الديكة المخصصة
الرائع .

ومنذ أن تم تحديد موعد الزفاف في الثاني عشر من يناير،
أرسل في طلب شراء اثني عشر ديكاً تم خصيها والبدء في
تسمينها مباشرة .

كانت تيتا وناتشا هما المكلفتان بهذه المهمة . ناتشا لخبرتها
وتيتا عقاباً لها لعدم موافقتها على الحضور يوم جاءوا لطلب يد
أختها روساورا متعللة بصداق .

- لن أسمح بعقوقك - قالت لها ماما إيلينا- ولا بأن
تفسدي على أختك حفل زفافها بأن تجعلني من نفسك ضحية .
سوف تتولين من الآن الإعداد للوليمة، واحذري أن أرى منك
وجهاً عابساً أو دمعة، أسمعني؟

كانت تيتا تحاول ألا تنسى هذا التحذير وهي تستعد لبدء
أول مهمة . وكانت عملية الخصاء تتركز في عمل شق في
الموضع الذي يغطي خصيتي الديك: يتم إدخال الإصبع للبحث
عنهما ثم تنزعان . بعد ذلك الإجراء يخاط الجرح ويدعك بزيد
طازج أو بشحم الطيور . كانت تيتا على وشك أن تفقد وعيها
وهي تضع أصبعها وتجذب خصيتي أول ديك . كانت أصابعها
ترتعد وكانت تتصبب عرقاً غزيراً وتتقلب معدتها عليها مثل طائفة

ورقية في الهواء. رمقتها ماما إيلينا بنظرة ثاقبة وقالت لها: ماذا دهاك؟ لماذا ترتعدين؟ هل سنبداً بمشاكل؟ رفعت تيتا بصرها ونظرت إليها. كانت تريد أن تصرخ فيها بنعم، هناك مشاكل، إنها أخطاء في اختيار من هو أنسب لعملية الخشاء، كانت هي الأنسب لها لأنها بهذه الطريقة كان يمكنها على الأقل أن تجد مبرراً حقيقياً لرفض زواجها وإحلال روساورا مكانها بجوار الرجل الذي كانت تحبه هي. أصاب ماما إيلينا الحنق وهي تقرأ نظرة تيتا وناولتها صفعه قوية أسقطتها على الأرض بجوار الديك الذي نفق نتيجة سوء إجراء العملية.

كانت تيتا تضرب وتضرب البيض بهياج، كما لو كانت تريد التخلص من عذابها مرة واحدة. لم يكن تبقى سوى خفق بيضتين ليصبح عجين الكعكة جاهزاً. فيما عدا ذلك كان كل شيء أعد للوليمة حتى الأطباق الصغيرة المعدة لإطعام عشرين فرداً والشطائر التي تسبق الوجبة الرئيسية. كانت تيتا وناقشا وماما إيلينا وحدهن في المطبخ. وكانت تشينتشا وخيرتروديس وروساورا يضعن اللمسات الأخيرة لفستان العروس. تناولت ناتشا بارتياح كبير البيضة قبل الأخيرة لتكرها. لكن تيتا، بصيحة منها، منعتها من فعل ذلك.

- لا !

أوقفت تيتا خفق البيض وأخذت البيضة بين يديها. كانت

تسمع بوضوح صُئيَّ فرخ داخل البيضة. قرَّبت البيضة من أذنها
وسمعت صُئيَّ الفرخ على نحو أشد. أوقفت ماما إيلينا عملها
وسألت بصوت متسلط:

- ماذا يجري؟ لماذا هذه الصيحة؟

- ثمة فرخ بداخل هذه البيضة! لا تستطيع ناتشا بالتأكيد
سماعه، أما أنا فنعم.

- فرخ؟ أنت مجنونة! لم يقع أمر كهذا البتة مع البيض
المحفوظ.

ويخطوتين واسعتين وصلت مكان تيتا وانتزعت البيضة من
يديها وكسرتها. أغلقت تيتا عينيها بقوة.

- افتحي عينيك وانظري إلى فرحك!

فتحت تيتا عينيها ببطء، ورأت في دهشة ما كانت تعتقد أنه
فرخ، لم يكن سوى بيضة طارئة جداً بالطبع.

- اسمعيني جيداً يا تيتا، إنك تفقديني صبري، لن أسمح
لك بأية حماقات. فهذه أول وآخر مرة. وإلا فلأنني أؤكد لك
أنك ستندمين!

لم تستطع تيتا إيجاد تفسير لما حدث في تلك الليلة، هل ما
سمعت كان نتيجة إجهاد أم هي أوهام عقلها. وكان الأنسب

بشكل مؤقت أن تعود إلى ضرب البيض، فلم تكن ترغب في اختبار حدود صبر أمها.

بعد ضرب البيضتين الأخيرتين يضاف مبشور الليمونة، وعندما يغلظ العجين تماماً، توقف عملية الضرب ويضاف الدقيق المنخول بخلطه قليلاً قليلاً بملعقة خشبية حتى تنتهي من إضافته كاملاً. وأخيراً تدهن صينية بالزبد وترش بالدقيق ويقلب بها العجين. يخبز في فرن لمدة ثلاثين دقيقة.

وجدت ناتشا نفسها، بعد إعداد عشرين طبقاً مختلفاً في ثلاثة أيام، جد متعبة وكانت تنتظر بفارغ الصبر ساعة وضع عجين الكعكة في الفرن لتتمكن أخيراً من الذهاب للراحة. لا يمكننا اعتبار تيتا هذه المرة مساعدة جيدة. لم تستطع في أي لحظة أن تتذمر، ربما لأن نظرة أمها النافذة لم تكن تسمح لها بذلك، ولكنها ما أن رأت ماما إيلينا تخرج من المطبخ متوجهة إلى حجرتها حتى أطلقت زفرة طويلة. وقامت ناتشا التي كانت بجوارها بجذب الملعقة الخشبية من يدها بلطف وعانقتها وقالت لها:

- لم يعد أحد في المطبخ يا بنتي، ابكي الآن، لأنني لا أريد أن يراك أحد تبكين غداً، خاصةً روساورا.

أوقفت ناتشا عملية خفق البيض لشعورها بأن تيتا كانت

على وشك الإصابة بانهايار عصبي، لم تكن بالطبع تعرف ما هو الانهايار العصبي لكنها بحكمتها الواسعة أدركت أن تيتا لن تتحمل أكثر من ذلك. ولا هي في الحقيقة. لم تكن بين روساورا وناتشا معاملة طيبة. فقد كانت ناتشا جد مستاءة من روساورا منذ طفولتها لأنها كانت مدللة جداً في طعامها. اعتادت أن تتركه في الطبق دون أن تمسه، أو كانت تعطيه خفيةً إلى تيكيبلا، والد بولكيه (كلب المزرعة). كانت ناتشا تتخذ من تيتا مثلاً لروساورا في أنها تأكل على نحو طيب جداً وتأكل من كل شيء. كان هنالك بالطبع طعام واحد لانتجبه تيتا، البيض نصف المسلوق الذي كانت ماما أيلينا تجربها على تناوله. ومن ثم، وبما أن ناتشا قد تولت تعليمها أصول الطهي، فإن تيتا لم تكن تأكل الطعام المعتاد فقط، بل كانت تأكل، فضلاً عنه، ديدان الصبار وبرغوث البحر والباكس والمدرع... إلخ، وذلك إزاء هلع روساورا. من هنا تولدت كراهية ناتشا لروساورا والمنافسة بين الشقيقتين التي بلغت ذروتها بهذا الزواج الذي ستتزوج روساورا بمقتضاه من الرجل الذي أحبه تيتا. وما لم تكن تعلمه روساورا، رغم ارتيابها منه، هو أن بيدرو كان يحب تيتا حباً لا حد له. ومن ثم كان منطقياً أن تنحاز ناتشا إلى جانب تيتا وأن تحاول بشتى الوسائل أن تجنبها المعاناة. كانت ناتشا تجفف بمرولتها الدموع التي تساب على وجه تيتا وتقول لها:

- ها يابتي، ها سوف ننتهي.

يبد أنهما تأخرتا أكثر من المعتاد فلم يتمكن العجين من
التخمر نتيجة دموع تيتا. وهكذا، متعانتين، واصلتا البكاء حتى
جفت مقلتا تيتا. عندئذ بكت بلا دموع ويقال إن ذلك أشد
إيلاماً، مثل الولادة بلا ماء، ولكنها على الأقل لم تعد تبلل
عجين الكعكة مما يسمح بالانتقال إلى الخطوة التالية، وهي
الحشو.

الحشو

المقادير:

١٥٠ جراماً من مربى التشاباكونا (٥)

١٥٠ جراماً من السكر الخشن

طريقة العمل

توضع ثمرات التشاباكانو على النار مع قليل من الماء، تترك
لتغلي. وتصفى بقطعة شاش واسعة الثقوب أو منخل، وإذا لم
يتوفر يمكن استخدام مصفاة عادية. يوضع هذا العجين في كسرولة

(٥) نوع من الشمار يشبه الخوخ، تصنع منه مربى.

و يضاف اليه السكر و توضع على النار بدون التوقف عن تقليبه حتى يعقد و يصير مربى . ترفع من على النار ويترك ليبرد قليلاً قبل وضعه فى وسط الكعكة التى تم بالطبع شطرها من قبل .

كانت ناتشا و تيتا لحسن الحظ قد اعدتا قبل يوم الزفاف بشهر عدة برطمانات محفوظة من التشاباكانو و التين وكمبوت الأناناس . ويفضل ذلك تفاديتا مهمة إعداد المربى فى نفس اليوم .

كانتا متعودتين على إعداد كميات كبيرة من المربى فى وعاء كبير بمغرفة يوضع فى صحن الدار و ذلك للاستفادة من فاكهة الموسم . كانتا تضعان اثناء المربى فوق النار فى الهواء الطلق و لتقليب المربى كانتا تغطيان ذراعيهما بملاءات قديمة . فقد كان هذا يحميهما من تطاير بعض رذاذ الفوران و حرق جلدهما .

عندما فتحت تيتا الوعاء اعادتها رائحة التشاباكانو إلى الأمسية التى اعدتا فيها المربى . كانت تيتا عائدة من البستان حاملة الفاكهة فى جونلتها لأنها كانت قد نسيت السلة . كانت تحملها وهى ترفع الجونلة وعندما دخلت المنزل كم كانت دهشتها عندما التقت مع بيدرو فى المطبخ . كان بيدرو متجهاً إلى الفناء الخلفى لإعداد الكارته . كان عليهم الذهاب إلى القرية لتسليم بعض الدعوات و لما لم يأت السائس فى ذلك اليوم إلى المزرعة، كان عليه هو نفسه القيام بتلك المهمة . عندما رآته ناتشا خرجت شبه

عدواً متعللة بالذهاب لاحتضار ابيائوته (٦) للفاصوليا. أما تيتا فقد أدت الدهشة إلى وقوع بعض ثمرات التشاباكوانا منها على الأرض. اسرع بيدرو إلى مساعدتها في جمعها. وعند إنحنائه استطاع رؤية جزءاً من سيقان تيتا التي كانت مكشوفة. قامت تيتا وهي تحاول تفادي أن يراها بيدرو، بانزال جونلتها. عندئذ انزلت ثمرات التشاباكوانا الباقية فوق رأس بيدرو.

- معذرة يا بيدرو. هل آلتك ؟

- ليس بالدرجة التي آلتك انا بها، دعيني اخبرك بأن غرضي...

- لم أطلب منك اى تفسير.

- من الضروري ان تسمحى لى بأن أوجه لك بعض الكلمات...

- فعلت ذلك مرة ووجدت انها كانت كذبة، لا أريد سماع كلمات أخرى...

أسرعت تيتا وهي تقول هذا، خارج المطبخ، من الباب الآخر، نحو الصالة حيث كانت تشيئتشا وخيرتروديس تطرزان ملاءة الزفاف. كانت ملاءة من الحرير الأبيض و كانتا تطرزانها

(٦) نبات شيطاني ينمو فى كل أنحاء المكسيك ، له زهرة شوكية صغيرة ذات رائحة وطعم قوى يستخدم كتوابل وعشب طبي.

تطريزاً رفيع الذوق في وسطها. كان الغرض من هذا التطريز هو الدلالة فقط على نبل شأن العروس في اللحظات الخاصة جداً من الزواج. وفي الحقيقة أن الحظ قد حالقهن بالحصول على الحرير الفرنسي في تلك الفترة من عدم الاستقرار السياسي. فلم تسمح الثورة لأى فرد بالسفر بأمان عبر البلاد ؛ وهكذا فإنه لو لم يكن عبر مواطن صينى، كان يعمل فى التهريب، لما امكنهن الحصول على القماش حيث أن ماما إيلينا لم تكن تسمح لأى واحدة من بناتها بمخاطرة الذهاب إلى العاصمة لشراء لوازم صنع فستان وجهاز روساورا. كان هذا الصيني على قدر كبير من الدهاء: كان يزاول البيع في المدينة ويقبل الأوراق المالية الخاصة بالجيش الثوري الشمالي والتي كانت بلا قيمة هناك وغير صالحة للتداول. كان يقبلها بأسعار زهيدة بالطبع ثم يسافر بتلك الأموال إلى الشمال حيث كانت تكتسب قيمتها الحقيقية ويشتري بها بضاعة.

وفي الشمال كان يقبل بالطبع الأوراق المالية الرائجة في العاصمة بأسعار متدنية وهكذا كان أمره طوال الثورة إلى أن صار مليونيراً. ولكن المهم أن بفضل استطاعت روساورا أن تحظى بأفخر وأروع الأقمشة لزفافها.

ظلت تيتا كالمنومة مغناطيسياً وهي تراقب بياض الملاءة؛ كان ذلك للحظات فقط، ولكنها كانت كافية لكي تسبب لها نوعاً من الغشاوة. كانت حين تثبت بصرها في أي مكان لا تميز إلا اللون

الأبيض فقط. أما روساورا، وكانت تكتب بيدها بعض الدعوات، فكانت تلمحها كشبح ناصع البياض. كانت تخفي جيداً ما يحدث لها فلم يلحظه أحد.

لم تكن تريد أن تسبب في توبيخ آخر من ماما إيلينا؛ لذا، حين حضرت عائلة "لوبو" لتقدم هدية الزفاف، حاولت أن ترهف حواسها لتلتفت إلى من كانت تصافحه، فقد كانوا لها مثل مشهد من خيال الظل المغطى بملاء بيضاء. ومن حسن الحظ أن صوت باكيثا الصارخ حل لها المشكلة واستطاعت أن تصافحهم بلا مشقة.

فيما بعد، وهي تصحبهم إلى مدخل المزرعة، لاحظت أنه حتى الليل لاح لها بشكل لم تكن رآته قط: مشعاً بضوء الفجر.

خشيت من أن يحدث لها نفس الشيء في تلك اللحظات، وعندما لم يكن أمامها سوى التركيز بشدة في صنع الفوندام لتغطية الكعكة لم تستطع. كان بياض السكر الخشن يفرعها، كانت تشعر بأن اللون الأبيض سوف يسيطر بين لحظة وأخرى على عقلها دون أن تتمكن من تفادي ذلك، مستدعياً بصعوبة صور طفولتها الناصعة بالبراءة عندما كانوا يحملونها في شهر مايو وهي ترتدي الملابس البيضاء لتقدم الزهور البيضاء للسيدة العذراء. كانت تدخل سائرة بين صف من البنات بملابسهن البيضاء، حتى

تبلغ الهيكل المليء بالشموع والزهور البيضاء والمضيء بضوء سماوي أبيض صادر من زجاج نوافذ الكنيسة البيضاء. لم يفتها مرة وهي تدخل الكنيسة أن تحمل بأنها يوماً ما ستدخلها متأبطة ذراع رجل. كان عليها أن تكبح ليس هذه الذكرى وحدها بل كل تلك الذكريات التي تؤلمها: كان عليها أن تنتهي من صنع فوندام كعكة زفاف أختها. وبدأت بمجهود كبير في إعداده.

مقادير الفوندام

٨٠٠ جم سكر خشن

٦٠ قطرة ليموناً وماء كاف لإذابة السكر

طريقة العمل

يوضع السكر و الماء في كسرولة وترفع على النار دون التوقف عن التقليب حتى يبدأ في الغليان. يصفى في كسرولة أخرى ويرفع على النار مرة أخرى و يضاف إليه الليمون حتى يغلظ قوامه، مع تنظيف حواف الكسرولة من حين لآخر بقطعة قماش مبللة حتى لا يتسكّر الشراب ؛ وبعد أن يغلظ قوام الخليط ينقل إلى كسرولة أخرى رطبة، يندى من أعلاه ويترك ليبرد قليلاً. بعد ذلك يضرب بمعلقة خشبية حتى يتجانس.

ولاستعماله يضاف إليه ملعقة كبيرة من الحليب ويرفع على النار مرة أخرى حتى ينحل، ثم يضاف إليه بعد ذلك قطرة من ماء الورد وتغطي به المنطقة العليا من التورته فقط.

انتبهت ناتشا إلى أن تيتا ليست على ما يرام، عندما سألتها الأخيرة عما إذا كانت ستضيف ماء الورد.

- إيتي، لقد اضففته لتوي - ألا ترين اللون الوردى به ؟

- لا . . .

- اذهبي للنوم يايتي، سأكمل أنا التوررون (٧).

لا يشعر بالنار إلا قابضها، ولكنني أدرك مابك، كف عن البكاء انك تبللين لى الفوندام ولن يصلح، هيا، اذهبي.

غمرت ناتشا تيتا بالقبلاط ودفعتها خارج المطبخ. لم يفهم من أين أخرجت دموع جديدة ولكنها أخرجتها ومزجتها بخلطة التوررون. الآن سنحتاج إلى مجهود مضاعف لإعادةتها إلى درجة انضباطها. تولت هي مهمة إكمال التوررون في أسرع وقت ممكن

(٧) نوع من الحلوى (المقصود به هنا الفوندام).

لتذهب للنوم. ويتم صنع التوررون بضرب عشر بيضات مع ٥٠٠ جم سكر ضرباً قوياً.

وعندما انتهت جاء بفكرها أن تتذوق بطرف أصبعها الفوندام لترى ما اذا كانت دموع تيتا قد غيرت طعمه. لا، لم تغير طعمه بشكل واضح، ولكن دون أن تعرف السبب سيطر على ناتشا فجأة حنين كبير. تذكرت حفلات الزفاف كلاً على حدا والتي كانت قد أعدتها لعائلة دى لا جارثا مع الأمل بأن يكون الحفل القادم حفلها. لم يكن البكاء مجدياً وهى فى الخامسة والثمانين ولا الندم على عدم مقدم الحفل المنتظر ولا الزفاف المأمول، على الرغم من أن العريس نعم جاء، يا لفرحة انه جاء! إلا أن ماما إيلينا قد تكفلت بتطفيشه. منذ ذلك الوقت اكتفت بالتمتع بحفلات زفاف الغير و ظلت هكذا لسنوات كثيرة دون ضجر. لكنها لم تكن تعرف لماذا تفعل ذلك الآن. كانت تشعر أنها مراهقة متأخرة ولكنها لم تكن تستطيع الإقلاع عن فعل ذلك. غطت الكعكة بالتوررون بأفضل ما أمكنها وذهبت إلى حجرتها وهى تشعر بألم شديد فى صدرها. بكت طوال الليل وفى اليوم التالى لم يكن لديها حماس، لحضور العرس.

كانت تيتا تتمنى التضحية بأى شئ لتكون مكان ناتشا، فلم يكن عليها أن تحضر فى الكنيسة فقط، مهما كانت حالتها، بل كان عليها أيضاً أن تحافظ على ألا يظهر على وجهها أى انفعال.

اعتقدت انها يمكن أن تحقق ذلك طالما لا تلتقي نظراتها بنظرات بيدرو. لأن ذلك لو حدث فإنه يمكن أن يفسد السلام و الهدوء اللذين كانت تتظاهر بهما.

كانت تعلم أنها ستكون محط الأنظار أكثر من اختها روساورا. وكانت تشعر بوضوح كيف تخترق ظهرها تهامسات الحاضرين عند مرورها.

- هل شاهدت تيتا ؟ مسكينة، ستتزوج أختها من خطيبها. لقد رأيتهما مرة في ميدان القرية، وهما ممسكى اليدين. كم كانت تبدو السعادة عليهما!

- حقاً ؟ إن باكيثا تقول إنها رأت بيدرو في يوم ما وهو يعطى لتيتا خلسة أثناء القداس خطاباً غرامياً معطراً!

- يقولون إنهما سيعيشان في نفس البيت! لو كنت مكان إيلينا ما سمحت بذلك!

- لا أعتقد انها ستسمح بذلك. فأنت ترين كيف يدور القيل و القال!

لم تعجبها تلك التعليقات بالمرة. إن دور الخاسرة لم يكتب لها. كان عليها أن تتخذ موقفاً واضحاً للإنتصار! وكممثلة قديرة قامت بدورها بجدارة محاولة ألا ينشغل فكرها بعرض الزفاف ولا

فى كلام القس ولا العقد ودبلى الزواج .

انتقلت بفكرها إلى اليوم الذى كانت فيه فى التاسعة من عمرها وذهبت مستكرة مع الأولاد إلى القرية . كان محرم عليها اللعب مع الذكور ، ولكنها قد ملّت من اللعب مع شقيقاتها . ذهبوا إلى شاطئ النهر الكبير ليروا من سيكون باستطاعته عبوره سابحاً فى أقل وقت ممكن . وكم كانت سعادتها فى ذلك اليوم لكونها الفائزة .

ومن انتصاراتها ذلك الذى وقع فى يوم أحد هادئ بالقرية . كانت فى الرابعة عشرة من عمرها ، وأثناء ما كانت تنزه فى عربة بمصاحبة شقيقاتها أطلق أحد الأولاد صاروخاً . فانطلقت الأحصنة بسرعة و هى مفزوعة ونفرت خارج القرية وفقد الحوذى السيطرة على العربة . فقامت تيتا بتنحيته جانباً بدفعة شديدة و استطاعت هى وحدها السيطرة على الأحصنة الأربعة . وعندما أسرع بعض رجال القرية ولحقوا بهن لمساعدتهن أعجبوا بعمل تيتا البطولى .

واستقبلوها فى القرية استقبال بطلة .

كانت تلك الذكريات وكثير غيرها مثلها تحتل فكرها خلال حفل الزفاف وتجعلها تضى وجهها بابتسامة قطرة وديعة راضية ، حتى حانت ساعة العناق وكان عليها أن تهنى شقيقتها . فقال لها بيدرو الذى كان بجوارها .

- وأنا أَلن تهتئينى ؟

- بلى ، وكيف لا . أتمنى لك كل السعادة .

قام بيدرو بعناقها مقترباً منها أكثر مما تسمح به القواعد الاجتماعية ومستغلاً الفرصة الوحيدة له ليستطيع أن يقول لها شيئاً فى أذنها :

- كنت واثقاً من أن الأمور ستسير هكذا ، فقد استطعت بهذا الزواج الحصول على ماكنت أتوق للغاية اليه : أن أكون بجانبك ، المرأة التى أحبها حباً حقيقياً . . .

وقعت كلمات بيدرو التى نطقها لتوه عند تيتا مثل الجذوة التى اتقدت فاشعلت باقى الرماد الذى كان على وشك أن ينطفئ . وبدا على وجهها الذى ظل لشهور مجبراً على عدم اظهار مشاعرها ، تغيير لا يمكن السيطرة عليه ، كان وجهها يعكس راحة وسعادة كبيرين كانت كما لو كان كل ذلك الغليان الداخلى المتقد قد نشط فجأة عبر انفاس بيدرو الحارة فوق عنقها ويديه المتقدتين فوق ظهرها وصدره القوى فوق نهديهها . . . كان يمكنها البقاء هكذا إلى الأبد لولا النظرة التى رمقتها بها ماما إيلينا وجعلتها تنفصل عنه بسرعة . إقتربت ماما إيلينا من تيتا وسألتها :

- ماذا قال لك بيدرو ؟

- لاشئ يامامى .

- لن تخادعيني، فإن كنت انت ذكية قيراطاً فأنا أربعة وعشرين. فلا تصنعى الضعف. الويل لك لو رأيتك مرة أخرى بالقرب من بيدرو.

حاولت تيتا، بعد هذه الكلمات المهددة لماما إيلينا، أن تكون بعيدة بقدر استطاعتها عن بيدرو. أما الذى كان مستحيلاً بالنسبة لها فهو أن تمحو من على وجهها ابتسامة رضا واضحة. ومنذ تلك اللحظة أصبح لحفل الزواج معنى آخر بالنسبة لها.

لم يعد يضايقها فى شئ رؤية بيدرو وروساورا وهما ينتقلان من مائدة لأخرى لشرب نخبهما مع المدعوين ولا وهما يرقصان الفالس ولا قيامهما بعد ذلك بقطع كعكة الفرح. لقد تأكدت الآن: أن بيدرو يحبها.

كانت ترغب رغبة قاتلة فى أن تنتهى الوليمة لتجرب إلى ناتشا وتحكى لها كل شئ. وانتظرت بلا صبر أن ينتهى الجميع من أكل الكعكة التى صنعتها حتى تستطيع الذهاب. كان كتيب كاررينيو^(٨) يمنعها من الذهاب قبل إتمام ذلك، ولكنه لم يكن يمنعها من أن تخلق بين السحب وهى تأكل شريحتها بصعوبة كانت غارقة فى أفكارها إلى حد لم يسمح لها بأن تلاحظ أن شيئاً غريباً يحدث حولها. فقد تملك كل الحاضرين حين شديد بمجرد

(٨) كتيب لتعليم فن وآداب السلوك (الإتيكيت).

تناول أول قضمة من الكعكة . حتى ييدرو، المتماسك دائماً، كان يبذل مجهوداً هائلاً من أجل احتواء الدموع . حتى ماما إيلينا والتي حتى عندما توفي زوجها لم تزرف دمعة حزن، كانت تبكى بصمت . ولم يقتصر الأمر على ذلك فقط، فقد كان البكاء العرض الأول لتسم نادر كان السبب بعض الشيء في حالة الكآبة الشديدة والإجباط التي سيطرت على كل المدعوين وجعلتهم ينفذون إلى الفناء وإلى الحظائر والحمامات و كل منهم متشوق إلى حبه الوحيد . لم يسلم واحد منهم من سحر الكعكة و المحظوظون منهم فقط هم الذين وصلوا في الوقت المناسب إلى دورات المياه، أما الذين لم يستطيعوا فقد اشتركوا في حالة تقيؤ جماعي تمت في كل انحاء الفناء . و الحقيقة أن الوحيدة التي لم يؤثر فيها طعم الكعكة كانت تيتا . فما أن انتهت من تناول نصيبها منها حتى غادرت الحفل . كانت ترغب في أن تخبر ناتشا بأسرع ما يمكن انها كانت على حق عندما كانت تقول إن ييدرو لم يكن يحب سواها . ولأنها كانت تتخيل السعادة المرتسمة على وجه ناتشا لم تنبه الى التعاسة التي كانت تنمو مع خطواتها إلى أن وصلت إلى مستويات مقلقة بشكل مؤثر . وكان على روساورا أن تغادر مائدة الشرف بين انحناءات .

كانت تحاول بكل الوسائل السيطرة على الغشيان ولكن الأخير كان أكثر تمكن منها! كان هدفها هو انقاذ فستان زفافها من

فضلات قيء الأهل و الأصدقاء، و لكنها انزلت عند محاولتها عبور الفناء ولم تسلم و لا قطعة واحدة من فستانها من القئ. التحف بها نهر ضخيم و حزين وجذبها بعض الأمطار مؤدياً، لعدم مقدرتها على التحمل أكثر، إلى أن تطلق كبركان نائر جرعات مدوية من القئ أمام نظرات بيدرو المذعورة. ناحت روساورا كثيراً لهذا الحادث الذى افسد زفافها ولم يكن هناك قوة على الأرض يمكن أن تمحو من عقلها أن تيتا قد خلطت مادة ما بالكعكة.

أمضت الليل كله بين الأثات و الألم الذى كان يشير لديها خاطر التبرز على الملاءات التى امضت وقتاً طويلاً فى تطريزها. اقترح بيدرو عليها مسبقاً أن تترك ليوم آخر إتمام ليلة الزفاف. ولكن مرت أشهر قبل أن يشعر بيدرو بضرورة إتمام ذلك وبأن تتجراً روساورا و تقول له إنها أصبحت فى صحة جيدة. كان بيدرو حتى تلك اللحظة يدرك انه لا يستطيع أن يمتنع عن القيام بدوره كرجل اكثر من ذلك فى تلك الليلة ذاتها ومستخدماً ملاءة الزواج، ركع أمام سريره وعلى شكل صلاة قال:

- إلهى، ليس بهدف الرذيلة و لا الفسق و انما لمولد ابن لخدمتك.

لم تكن تيتا تتخيل أن يمر وقت بهذا القدر حتى يكتمل

العرس المذكور. لم يكن يهمها كيف تم ولا ما اذا كان يوم الإحتفال الدينى للزواج أو أى يوم آخر.

كانت مشغولة بأن تنفذ بجلدها أكثر من أى شئ آخر. كانت ليلة الزفاف قد تلقت على يد ماما إيلينا علقه ساخنة، لم تتلقاها من قبل ولن تتلقاها من بعد. ظلت أسبوعين ملازمة الفراش حتى تتعافى من الضربات. وكان سبب هذا القدر من العقاب القاسى هو تأكد ماما إيلينا من أن تيتا بالتواطوء مع ناتشا، قد خططت متعمدة إفساد حفل زفاف روساورا بأن خلطت مادة مقيئة بالكعكة. لم تستطع تيتا بالمرة اقناعها بأن المادة الوحيدة الغريبة التى كانت بالكعكة هى الدموع التى كانت تذرفها وهى تعدها. ولا إستطاعت ناتشا الشهادة لصالحها، فعندما جاءت تيتا تبحث عنها يوم الزفاف وجدتها قد فارقت الحياة و عيناها مفتوحتان وواضعة على صدغيها دارات الصداع^(٩). وبين يديها صورة لأحد خطأبها السابقين.

(٩) دارات من الورق المشرب بالسمن يعالج بها الصداع فى المكسيك، وتسمى تشيكيا دوريس . . Chiqueeadores

الفصل الثالث

مارس

سمان بيتلات الورد

المقادير:

١٢ وردة، يفضل أن تكون حمراء - ١٢ ثمرة أبو فروة
- ملعقتان كبيرتان من الزيد - ملعقتان كبيرتان من ماء
الزهر - ملعقتان كبيرتان من اليانسون - ملعقتان كبيرتان
من العسل - فصان من الثوم - ٦ وحدات من السمان -
فصان من الثوم - ٦ وحدات من السمان - ١ حبة
من صبار السيريوس

طريقة العمل

تقطف بتلات الورد بحرص شديد مع محاولة عدم وخز الأصابع، فبالإضافة إلى أن الوخزة تكون مؤلمة للغاية، فإن البتلات يمكن أن تتشرب الدماء، وبصرف النظر عن أن هذا يغير من طعم الأكلة، فإنه يمكن أن يؤدي إلى تفاعلات كيميائية تكون خطيرة للغاية.

لكن تيتا كانت غير قادرة على تذكر هذا التفصيل البسيط أمام التأثير الشديد الذي شعرت به عندما تلقت فرع ورد من يدى بيدرو. كان أول تأثير عميق تشعر به منذ ليلة زفاف شقيقتها، عندما سمعت تصریح الحب الذى يكنه لها بيدرو والذى كان يحاول أن يخفيه عن أعين الآخرين. كانت ماما إيلينا بتلك السرعة و الحدة فى التفكير التى تمتلكهما تشك فيما يمكن أن يحدث إذا ما أتيحت الفرصة لبيدرو وتيتا ليختليا بعضهما ببعض. وعليه فقد استطاعت حتى الآن، عبر تبايها بمعرفة فنون عجيبة

من الشعوذة، أن تجدد سبيلاً رائعاً لإخفاء أحدهما عن عيني الآخر. ولكن أمراً بسيطاً فاتها: فبموت ناتشا كانت تيتا هي اكفا امرأة بين نساء البيت جميعاً لاحتلال المكان الشاغر فى المطبخ وهناك كانت تنفذ من تحت مراقبتها الصارمة المذاقات و الروائح والمكونات وما يمكن أن تسببه الأخيرة.

كانت تيتا الحلقة الأخيرة لسلسلة من الطاهيات اللاتى منذ العهد قبل الإسباني قد تناقلن أسرار المطبخ من جيل إلى جيل. وكانت تعتبر أفضل ممثلة لهذا الفن الرائع، فن الطهى. وعليه استُقبل قرار تعيينها الطاهية الرسمية للمزرعة استقبلاً حسناً من الجميع. استقبلت تيتا المنصب بسرور بالرغم من الحزن الذى كانت تشعر به لغياب ناتشا.

جعلت وفاة ناتشا المؤسفة تيتا فى حالة اكتئاب شديدة. فقد تركتها ناتشا بوفاتها وحيدة للغاية. كأن أمها الحقيقية قد ماتت وفى محاولة منه لتشجيعها على النجاح فكر بيدرو فى أنه سيكون تصرفاً طيباً منه لو حمل لها فرعاً من الورد بمناسبة إتمامها عامها الأول كطاهية للمزرعة. ولكن روساورا - التى كانت تنتظر مولودها الأول - لم ترتأى نفس الشئ، وعندما رآته قادماً وفرع الورد فى يديه ويعطيه لتيتا بدلاً منها، غادرت الصالة وهى أسيرة نوبة من البكاء.

أمرت ماما إيلينا تيتا، بنظرة واحدة منها، بالخروج من الصالة والتخلص من الورد. انتبه بيدرو لجرأته متأخراً جداً. لكن ماما إيلينا رmqته بالنظرة المناسبة، التي جعلته يعرف انه مازال بإمكانه إصلاح الضرر الذي سببه. وهكذا و بعد أن استأذن خرج بحثاً عن روساورا. كانت تيتا تضم الورد إلى صدرها بقوة إلى درجة انها عندما وصلت إلى المطبخ تحول الورد و الذي كان لونه في البداية وردياً إلى اللون الأحمر من دماء يدي وصدر تيتا. كان عليها أن تفكر بسرعة ماذا تفعل به. كان جميلاً للغاية! لم يكن في وسعها القائه في القمامة، أولاً لأنها لم تتلق قط زهوراً من قبل وثانياً؛ لأن بيدرو هو الذي أعطاها لها. فجأة سمعت صوت ناتشا بوضوح وهي تملها في أذنيها وصفة من العهد قبل الإسباني عندما كانت تستخدم بتلات الزهور. كانت تيتا شبه ناسية تلك الوصفة لأنها كانت تحتاج في صنعها إلى الديوك البرية وفي المزرعة لم يوجهوا جهودهم البتة في تربية ذلك النوع من الطيور.

كان الشيء الوحيد الموجود في ذلك الوقت هو السمّان، وهكذا قررت أن تحدث تغييراً بسيطاً في الوصفة بهدف استخدام الزهور.

ويدون إطالة التفكير في ذلك خرجت إلى الفناء وركزت اهتمامها في ملاحقة السمّان. وبعد أن امسكت بستة منها

ووضعتها فى المطبخ و تهيأت لذبحها وهو ما لم يكن سهلاً بالمرة عليها بعد أن قامت برعايتها و إطعامها لوقت طويل .

وبعد أن أخذت نفساً طويلاً أمسكت بأول سمانة ولوت عنقها كما رأت ناتشا تفعل عدة مرات ولكن ليس بالقوة الكافية فلم تمت السمانة المسكينة بل جابت المطبخ كله وهى تتألم بشكل يشير الشفقة ورأسها مدلى على جانبها . أربعها هذا المنظرا أدركت انه لايجب أن تكون ضعيفة فيما يتعلق بأمر الذبح : إما أن تقوم به بثبات وإلا ستسبب فى ألم كبير . فكرت فى تلك اللحظة فى أنه كم يكون طيباً لو امتلكت قوة ماما إيلينا ، فهى تذبح بحدة و بلا رحمة . ولكن إذا تفكرت فى الأمر جيداً ، كلا ، كان ثمة استثناء فى حالتها ، فقدت بدأت تذبح منذ طفولتها ، قليلاً قليلاً ، ومع ذلك ما زالت لا تقوى على الإجهاز النهائي . لقد أصابها زواج بيدرو وروساورا بما أصاب السمانة ، حطم قلبها ونفسها ، وقبل أن تسمح بأن تشعر السمانة بنفس الآلام التى تشعر بها ويدافع الرحمة ويتصميم أجهزت عليها فى الحال . وكان الأمر أسهل مع البقية . فما كان عليها إلا أن تتخيل أن كل سمانة قد سدت حوصلتها ببيضة نصف مسلوقة وبأنها ، رحمةً منها ، ستحررها من العذاب بلى رقبة خاطف . ففي طفولتها كم تمتن الموت قبل أن تأكل البيض نصف المسلوق المقرر والإجباري . كانت ماما إيلينا تجبرها على تناوله . كانت تشعر أن مريثها يغلق بشدة ، يبلغ

الشدة بحيث يغدو غير قادر على ابتلاع أي غذاء، إلى أن عاجلتها أمها بضربة قوية على الرأس كان لها فعل السحر في حل عقدة حلقها؛ ومنذ ذلك الحين كانت البيضة تنزلق منه بلا أدنى مشكلة. الآن أصبحت أكثر هدوءاً وقامت بالخطوات التالية بمهارة شديدة.

كانت تبدو كأنها ناتشا ذاتها في جسد تيتا فقامت بكل تلك الأعمال: نتف ريش السمان وهو جاف وتفريغ أحشائه وقلبه. بعد نتف ريش السمان وتفريغ أحشائه توثق أرجله حتى يحتفظ بشكل جميل بينما يوضع للقلبي في الزبد بعد تنيله بالفلفل الحار والملح حسب الذوق.

مهم جداً نتف ريش السمان جافاً؛ لأن غمره في الماء المغلي يغير طعم لحمه. وهذا واحد من أسرار المطبخ التي لا تخصى والتي لاكتسب إلا بالممارسة. ولأن روساورا لم ترغب في المشاركة في أعمال الطهي منذ أن احترقت يداها من صينية الخبز فإنها كانت تجهل هذا بالطبع وتجهل معلومات أخرى كثيرة عن فن الطهو. ومع ذلك حاولت في مرة أن تطهو، ولا ندري هل كان ذلك رغبة منها في أسر زوجها بيدرو أم لمنافسة تيتا في مجالها. وحين حاولت تيتا بلطف إعطاءها بعض النصائح غضبت روساورا بشدة وطلبت منها أن تتركها وحدها في المطبخ.

وبالطبع فسد الأرر منها، أما اللحم فكان ملحه زائداً

واحترق الحلو . لم يجرؤ أحد على المائدة على إبداء أي شعور بالكدر . علفت ماما إيلينا بشكل فيه إيعاز قائلة :

- إنها المرة الأولى التي تطبخ فيها روساورا، وأرى أنها قامت بذلك على نحو لا بأس به . ما رأيك يا بيدرو؟

أجاب بيدرو وهو يبذل مجهوداً كبيراً، بدون رغبة في إيلام زوجته :

- نعم، لكونها المرة الأولى لا بأس به .

وبالطبع أصيبت الأسرة كلها مساء ذلك اليوم بألم في معدتها .

كانت مأساة حقيقية، ولكنها لم تكن بالطبع على نفس درجة المأساة الأخرى التي وقعت في المزرعة في ذلك اليوم . فقد كان امتزاج دم تيتا بيتلات الورد الذي أهدها لها بيدرو الأمر الأكثر تفجراً .

عندما جلسوا إلى المائدة خيم جو يشوبه بعض التوتر، بيد أن التوتر لم يزد إلا حين قُدِّم طبق السمَّان . لم يتمالك بيدرو الذي لم يكن سعيداً لأنه أثار أحاسيس زوجته، لم يتمالك نفسه بمجرد أن تذوق أول قضمة من الطبق فصاح وهو يغلق عينيه بشبق حقيقي :

- إن هذه لمتعة إلهية!

على الرغم من اعترافها بأنها طبخة لذيدة حقاً، قالت ماما إيلينا وهي مستاءة من تعليقه:

- ملحقها زائد.

لم تستطع روساورا، متعللة بإغماءات ودوار، تناول أكثر من ثلاث قضمات. أما خيرتروديس، في المقابل، فقد حدث لها أمر غريب.

يبدو أن الطعام الذي كانت تأكله قد أحدث بها تأثيراً أفروديتياً إذ بدأت تشعر بحرارة شديدة تغزو ساقها ودغدغة في أغوار جسدها لم تجعلها تجلس براحة على مقعدها. راحت تنصبب عرقاً وهي تتخيل أنها تمتطي صهوة جواد ويضمها إليه أحد ثوار بيبا^(١٠)، أحد أولئك الذين رأتهم قبل أسبوع قادمًا إلى ساحة القرية تفوح منه رائحة عرق وطین ونذر خطر وريبة، رائحة حياة أو موت. كانت هي ذاهبة إلى السوق بصحبة تشيتشا الخادمة عندما رآته مقبلاً من شارع بيدراس نجراس الرئيسي، جاء متقدماً الجميع يقود بجلاء فرقة الجند. التقت نظراتهما وما رآته في عينيه جعلها ترتعد. رآته ليالي كثيرة

(١٠) PANCHO VILLA: الثائر المكسيكي (١٨٨٧ - ١٩٢٣).

بجانب النار يرغب في مصاحبة امرأة يستطيع أن يقبلها، امرأة يستطيع أن يعانقها، امرأة... مثلها. أخرجت مندليها وحاولت أن تزيل من رأسها، إلى جانب العرق، كل تلك الأفكار الآثمة.

لكن بلا جدوى، كان يحدث لها أمر غريب. التمسست معاونة تيتا لكنها كانت غائبة، كان جسدها جالساً على المقعد، وفي منتهى الانضباط بالتأكيد، لكن لم يكن في عينيها أي علامة حياة. كانت تبدو كأن ظاهرة كيميائية غريبة قد أذابت كيائها في صلصة الورد وفي لحم السمّان وفي النبيذ وفي كل رائحة من روائح الطعام. وينفس الطريقة نفذت إلى أعماق جسد بيدرو شهوانية زكية الرائحة ودافئة وحسية تماماً.

لاح الأمر وكأنهم اكتشفوا شفرة جديدة للمعاشرة كانت تيتا مبعثها وبيدرو متلقيها وخيرتروديس المحظوظة هي التي اصطنعت فيها هذه العلاقة الجنسية الفريدة عبر الطعام.

لم يبدِ بيدرو أية مقاومة، جعلها تنفذ حتى الركن الأخير من ذاته دون أن يستطيع أحدهما رفع عينيه عن الآخر، قال لها:

- لم أذق قط شيئاً بهذه اللذة. شكراً جزيلاً.

والحق أن هذا الطبق لذيذ. فالورد يكسبه مذاقاً خاصاً جداً. بعد الحصول على البتلات، تسحق في مدق مع الينسون. وتوضع ثمرات "أبو فروة" لتحمص على حدة في الفرن ثم

تقشر وتسلق في ماء. ثم تهرس تماماً ؛ يفرم الثوم ربيعاً ويحمر في الزيت؛ وعندما يسوى يضاف إليه مهروس أبو فروة وحب الصبار المطحونة والعسل وبتلات الورد وملح حسب الذوق لعمل صلصة سميكة بعض الشيء، ويمكن أن تضاف إلى الخليط ملعقتان من نشا الذرة. وفي النهاية تصفى وتضاف إليها نقطتان فقط من ماء الورد لا أكثر خشية أن تصبح رائحتها نفاذة ويتغير طعمها. وعند نضجها ترفع من فوق النار. يغمر السمّان لمدة عشر دقائق فقط في هذه الصلصة لكي يتشرب الطعم ثم يُرفع.

إن رائحة خلاصة الورد الزكية شديدة النفاذ إلى درجة أن المدق الذي استخدم لطحن البتلات ظل محتفظاً بها لعدة أيام.

كانت خيرتروديس هي المكلفة بغسل المدق وبقية أواني المطبخ. كانت تقوم بهذا العمل بعد تناول الطعام، في الفناء، فقد كانت تستغل وجودها بالمكان لإلقاء بقايا الطعام التي بالأواني للحيوانات. ولأن أواني المطبخ كانت كبيرة إلى حد ما فإنها كانت تنظفها بشكل أفضل في حوض الغسيل. لكنها في يوم أكلة السمّان لم تفعل وطلبت من تيتا أن تسدي لها معروف القيام بذلك عنها. كانت خيرتروديس تشعر بالفعل بأنها متوعدة، كانت كافة أنحاء جسدها تنضح عرقاً، وكان لحبات العرق التي تتصبب منها لون وردي ورائحة عرق نفاذة. كانت تشعر بحاجة ملحة إلى حمام وأسرعت إلى إعدادة.

كانت ماما إيلينا أمرت بإنشاء منضحة بدائية في الجانب الخلفي من الفناء بجوار الحظائر ومخزن الغلال . عبارة عن غرفة صغيرة مبنية من ألواح خشب متجاورة، وبين كل لوح وآخر منفرجات كبيرة تسمح برؤية من يستحم بداخلها بلا مجهود كبير . على أي الأحوال، كانت تلك أول منضحة عرفت في القرية وكان قد اخترعها أحد أبناء عمومة ماما إيلينا كان يعيش في سان أنطونيو بتكساس . كان الغرفة خزان بارتفاع حوالي المترين ويسعة أربعين لتراً، وكانت تخزن المياه فيه مسبقاً باستخدام قوة الجاذبية . وكان يحتاج إلى مجهود للصعود بدلاء مملوءة بالماء فوق سلم خشبي، لكن يلي ذلك الشعور باللذة ما أن يفتح صنبور والشعور بالماء وهو يسيل فوق الجسم كله مرة واحدة وليس على دفعات كما كان يحدث لدى الاستحمام في الطست الخشبي . بعد سنوات قام الجرينجوس^(١١) بدفع مبلغ كبير من المال لابن العم لقاء اختراعه وقاموا على تحسينه وصنعوا ألوف المناضح دون الحاجة إلى الخزان المذكور فقد استخدموا مواسير لتشغيلها .

لو كانت خيرتروديس علمت! المسكينة صعدت وهبطت مايربو على العشر مرات وهي تحمل الدلاء . كانت على وشك أن يغشى عليها فقد كان هذا التمرين القاسي يكتف ما كانت تشعر به من حرارة محرقة .

(١١) لقب احتقار يطلق في أمريكا اللاتينية على غير الناطقين بالإسبانية وعلى لغتهم .

كان الشيء الوحيد الذي يشجعها هو تخيل الحمام المنعش الذي ينتظرها ولكنها للأسف لم تستطع أن تستمتع به فلم تكن قطرات الماء التي تسقط من المنضحة تصل إلى جسدها: كانت تبخر قبل حتى أن تحتك بها. كانت الحرارة التي تنبعث من جسدها من الشدة بحيث راح الخشب يردد ويضطرم. وأمام الذعر من الموت حرقاً من اللهب خرجت مسرعة من الغرفة الخشبية وهي على حالها، عارية تماماً.

عندئذ كان شذى الزهور المنبعث من جسدها قد وصل إلى بعيد جداً جداً، إلى ضواحي القرية حيث كان ثوار واتحاديون يتقاتلون في معركة شرسة، وبرز من بينهم لشجاعته ذلك الثائر الموالي لبيّا الذي كان دخل قبل اسبوع شارع بيدراس نجراس ورآها في الساحة.

بلغته سحابة وردية، احتوته وحثته على الاتجاه مسرعاً نحو مزرعة ماما إيلينا. غادر خوان، وهذا اسمه، ميدان المعركة مخلفاً وراءه عدواً نصف هالك دون معرفة السبب. كانت هناك قوة عليا تسيطر على أفعاله، وتحركة ضرورة قوية للوصول في أسرع وقت ممكن للقاء شيء مجهول في مكان غير محدد. لم يكن الأمر صعباً عليه. كان يرشده عبق جسد خيرتروديس. وصل في الوقت المحدد ليجدها وهي تجري وسط الحقول. عندئذ عرف لم وصل حتى هناك. كانت هذه المرأة في حاجة سريعة إلى

رجل يطفئ النار المحرقة المتولدة داخل أحشائها .

رجل في حاجة إلى الحب بقدر حاجتها إليه ، رجل مثله .
توقفت خيرتروديس عن العدو عندما رأته قادماً نحوها . كانت
وهي عارية وشعرها مسترسل ومتهدل حتى خصرها وتشع طاقة
مشرقة ، تمثل ما يمكن أن يكون تركيبة بين امرأة ملائكية وأخرى
جهنمية . كانت رقة ملامحها وكمال جسدها الطاهر والعذري
يتناقضان مع الولع والشبق المنبعثين من عينيها ومسامها . أدت
هذه العناصر ، بتوحيدها مع الرغبة الجنسية التي كان خوان يكتبها
زمناً طويلاً وهو يكافح في الجبال ، إلى أن يكون اللقاء بينهما
مشيراً .

قام هو ، بدون التوقف عن العدو بحصانه حتى لا يضيع
الوقت ، بالإنحناء والتقططها من خصرها ورفعها فوق الحصان امامه
ولكن بوضعها وجهاً لوجه وانطلق بها . أما الحصان الذي كان
على ما يبدو يتبع أيضاً أوامر عليا ، فقد استمر في عدوه كما
لو كان على علم تام بنهاية مساره بالرغم من أن خوان كان قد
أرخصى له اللجام ليستطيع عناق وتقبيل خيرتروديس بحرارة . كانت
حركة الحصان تعوق حركة جسديهما وهما يقومان بأول اتصال
جنسى في سرعة شديدة و بصعوبة بالغة .

مر كل شيء بسرعة كبيرة لدرجة أن الحرس الذي كان يتبع
خوان لمحاولة اللحاق به وإعادته لم يوفق في ذلك بالمرّة . فعاد

يائساً ، و كان الخبر الذى نقله هو أن القائد قد أصيب بالجنون فجأة خلال الحرب ، وأنه - بسبب ذلك - قد هجر الجيش .

عامّة تلك هى الصورة التى تروى بها الحكاية عبر روايات شهود العيان والتى لا تنتمى دائماً إلى الحقيقة . أما وجهة نظر تيتا فيما حدث فكانت مغايرة تماماً لوجهة نظر الثوار . فقد راقبت كل شئ من الفناء حيث كانت تغسل الأواني . لم يفتها أى تفصيل بالرغم من أن سحابة من البخار الوردى و ألسنة لهب حجرة الاستحمام كانت تعوق رؤيتها . وكان بجوارها بيدرو هو الآخر و الذى حظى بمتابعة المشهد حيث كان قد خرج إلى الفناء بدراجه للتنزه .

ومثل شاهدين صامتين لفيلم تأثر بيدرو و تيتا حتى البكاء لدى رؤية بطلين فى حالة جماع وهو ما كان محرماً عليهما . وكانت لحظة ، لحظة واحدة كان بإمكان بيدرو أن يغير فيها مجرى القصة . فقد استطاع و هو يمسك بيد تيتا أن يقول :- تيتا . . فقط . لم يكن هناك وقت ليقول أكثر من ذلك . فقد حالت الحقيقة القدرة دون ذلك . فقد سمعت صيحة ماما إيلينا وهى تسأل عما كان يجرى فى الفناء . لو كان بيدرو قد طلب من تيتا الهروب معه لما فكرت فى الأمر لحظّة ، لكنه لم يفعل ، بل صعد إلى دراجته بسرعة و هو يبدّل غضبه . لم يستطع أن يحو من عقله صورة خيرتروديس وهى تجرى فى الحقل . . . عارية تماماً!

أما حركة نهديها الكبيرين وهما يتأرجحان من جانب لآخر فقد تركته منوماً. انه لم يرَ زوجته عارية قط. ففي علاقته الجنسية مع روساورا لم يشعر برغبة في رؤية جسدها ولا مداعبته. ففي هذه الحالة كانا يستخدمان دائماً ملاءة الزواج التي لم تكن تسمح برؤية شئ سوى الأماكن البارزة من زوجته. وبعد انتهاء الجماع كان يغادر غرفة النوم قبل أن تنكشف هي. و الآن، على العكس، استيقظ لديه الفضول لرؤية تيتا لوقت طويل هكذا بلا أى ملابس.

فاحصاً ومتشهماً ومتقصياً عن نكهته حتى آخر سنتيمتر من ملمس جسدها الهائل و الجذاب. مؤكداً أنه يشبه جسد خيرتروديس فليستا هباءً شقيقتان.

كان الجزء الوحيد الذى يعرفه تمام المعرفة من جسد تيتا، بخلاف الوجه و اليدين، هو الجزء الملفوف من بطن الساق و الذى استطاع أن يراه ذات مرة. تلك الذكرى كانت تؤرقه ليلاليه. كم كان يشعر بالرغبة فى وضع يده على ذلك الجزء من البشرة ثم يمر بعد ذلك بكل أنحاء جسدها تماماً مثلما رأى الرجل الذى حمل خيرتروديس يفعل: بولع وبتفجر و يشبق!

حاولت تيتا، من جانبها، أن تصرخ فى بيدرو لينتظرها، ليحملها بعيداً، إلى حيث يتركانهما يتحابان، إلى حيث لم تخترع بعد قواعد لتتبع وتحترم، إلى حيث لا تكون أمها، ولكن

حنجرتها لم تصدر أى صوت. فقد انعقدت الكلمات و خنق بعضها بعضاً قبل أن تخرج .

كانت تشعر بأنها وحيدة وجد مهجورة! كانت أسوأ من فلفلة حارة فى صلصة الجوز بالتوابل المنسية فى صينية بعد وليمة عظيمة. كم من المرات كان عليها وهى وحدها فى المطبخ أن تأكل إحدى هذه الأكلات اللذيذة قبل تركها لتفسد. و مسألة أن لا أحد يأكل آخر فلفلة حارة فى الصينية تحدث عامة عندما لا يرغب الناس فى إظهار نهمهم بالرغم من أنهم كان سيسعدهم التهامها غير أن أحداً لا يجرؤ. وهكذا يكون رفض فلفلة حارة محشوة تحوى كل المذاقات التى يمكن أن نتخيلها، حلاوة السكر المعقود بالليمون و حرارة الفلفل وخفة صلصة الجوز وبرودة الرمانة.

فلفلة حارة رائعة فى صلصة الجوز! تحتوى داخلها كل اسرار الحب و لكن لا أحد يستطيع نزع أحشائها بسبب اللياقة.

اللعة على اللياقة! اللعة على كتيب كارينيو! فسيبه ظل جسدها معرضاً للذبول شيئاً فشيئاً بدون أى علاج، واللعة على بيدرو المهذب للغاية... المستقيم للغاية... الرجل للغاية و المحبوب للغاية... للغاية!

لو كانت تيتا تعلم حينئذ أنه لن يمر وقت طويل حتى يعرف جسدها الحب لما يئست بهذا القدر فى تلك اللحظة.

أدت الصيحة الثانية لماما إيلينا إلى اخراجها من تفكيرها العميق فى أمرها وجعلتها تفكر بسرعة فى إجابة. لم تكن تعلم ماذا سوف تقول لأمها، هل تقول لها أولاً إن الجزء الخلفى من الفناء يحترق، أو أن خيرتروديس قد ذهبت مع أحد اتباع بيّا على ظهر جواد... وعارية.

قررت أن تنسج رواية تذكر فيها أن الفيدراليين، الذين كانت تيتا تمقتهم، قد دخلوا أفواجاً و أشعلوا النيران فى الحمامات و اختطفوا خيرتروديس. صدقت ماما إيلينا القصة كلها ومرضت من الأسى ولكنها كانت على وشك الموت لدى علمها بعد أسبوع على لسان الأب اجناثيو راعى كنيسة القرية - والذى لا يعرف أحد كيف علم - أن خيرتروديس كانت تعمل فى بيت دعاة على الجبهة، فحرمت ذكر اسم ابنتها و أمرت بإحراق صورها وشهادة ميلادها.

وبالرغم من ذلك، لا النيران و لا مرور السنين استطاعت محو رائحة الورد النفاذة التى كانت تفوح فى المكان الذى كان حماماً سابقاً، والذى يشغل حالياً موقف سيارات مبنى دواوين. لم يستطع أيضاً أن يمحو من عقل بيدرو و تيتا المناظر التى رآها و التى أثرت فيهما إلى الأبد. منذ ذلك اليوم تحول السَّمَان المصنوع ببتلات الورد إلى ذكرى صامته لهذه التجربة الساحرة.

كانت تيتا تعد الوجبة كل عام كقربان للحرية التى نالتها
شقيقتها وكانت تولى عناية خاصة لتزيين السَّمَّان.

يوضع السَّمَّان فى طبق كبير و تصب الصلصة فوقه و يزين
بوردة كاملة فى وسطه و ببتلات على الأطراف أو يمكن تقديمه كل
واحدة على حدة فى طبق فردى بدلاً من استخدام الطبق الكبير.
كانت تيتا تفضله هكذا لأنه بهذه الطريقة لا يتعرض لخطر فقدان
شكل ريته عند توريعه. وهكذا بالضبط أفردته فى كتاب الطهى
الذى بدأت فى كتابته تلك الليلة ذاتها بعد أن غزلت جزءاً كبيراً
من مفرش سريرها. كما كانت تفعل يومياً. وبينما كانت تغزل.
كانت تدور برأسها وتدور صور خيرتروديس و هى تجرى فى
الحقل بجانب صور أخرى تخيلتها هى عما قد يكون حدث بعد
ذلك، بعد أن غابت أختها عن بصرها. وكان خيالها بالطبع فى
هذا الصدد محدوداً للغاية نظراً لعدم خبرتها.

كان لديها فضول لمعرفة هل تدرت بشيء من الملابس أم
أنها مازالت هكذا عا... غير مستورة! كان يشغلها أنها قد تشعر
بالبرد، مثلها، ولكنها انتهت إلى نتيجة تنفي ذلك. الأكثر احتمالاً
هو أن تكون قريبة من النار بين ذراعى رجلها وذلك لابد أنه يمنع
قطعاً الدفء.

فجأة اخترقت فكرة ما عقلها وجعلتها تقوم لتنظر إلى
السماء المليئة بالنجوم. كانت تعرف القوة التى يمكن أن تكون

عليها النار المنبعثة من نظرة فقد شعرت بها بلحمها و دماها .

إنها قادرة على إشعال الشمس ذاتها . تساءلت و هى تضع هذا الاعتبار ، ماذا يمكن أن يحدث لو أن خيرترووديس تنظر لنجمة ؟ من المؤكد أن حرارة جسدها ، المشتعل منذ الحب ، ستسافر ببصرها عبر الفضاء اللانهائى بدون أن تفقد طاقتها حتى ترسب فى بريق استقطابها . هذه النجوم العظيمة قد بقيت لملايين السنين بفضل حفاظها الجيد على ذاتها بعدم امتصاصها للإشعاعات الملتهبة التى يطلقها المحبون فى كل الدنيا ليلة بعد ليلة ؛ لأنها لو فعلت ذلك لتولدت فى داخلها حرارة كبيرة ولتفجرت إلى ألف قطعة . لذلك فإنها عند استقبالها لآى نظرة فإنها ترفضها مباشرة وتعكسها نحو الأرض كما يحدث فى مجموعة من المرايا . لهذا تلمع كثيراً فى الليل . ولذلك خالج تيتا الأمل فى أنها لو استطاعت أن تكتشف بين كل نجوم السماء أيها الذى تنظر إليه شقيقته فى تلك اللحظة فإنها ستستقبل عبر الانعكاس قليلاً من الدفء الذى فاض عنها .

حسنٌ ، كان ذلك أملها ولكن بالرغم من مراقبتها لكل نجم من نجوم السماء على حدة لم تشعر مطلقاً بأى حرارة ، و إنما كان على العكس تماماً حقاً . عادت إلى سريرها مرتعدة ومقتنعة تماماً بأن خيرترووديس تنام فى هدوء و النوم ملء جفניה وأنه لذلك لم تؤد التجربة عملها . وضعت عندئذ فوقها غطاء سريرها الذى كان

فى ذلك الوقت يطوى ثلاثاً، راجعت الوصفة التى كتبته لترى ما
اذا كانت قد نسيت تسجيل شىء، و أضافت: " اليوم لأننا أكلنا
هذا الطبق، هربت خيرتروديس من البيت... ".

الفصل الرابع

إبريل

موليه^(١٢) الديك الرومي باللوز والسمسم

المقادير:

- ربع كيلو من الفلفل الأحمر - ٣ وحدات من الفلفل البلدى -
- ٣ وحدات من القلف الرومى - قبضة من السمسم - حساء
- ديك رومى - بقسماط (من نوع كونتشا) - فول سودانى -
- نصف كيلو من البصل - نبيذ - ٢ لوح من الشيكولاته -
- ينسون - سمن - كبش قرنفل - قرفة - فلفل اسود -
- سكر - بنور فلفل حامى - ٥ فصوص من الثوم

(١٢) موليه: أكلة مكسيكية قوامها اللحم والفلفل الحار والسمسم... الخ. وهى ككلمة عامة تطلق على أى خليط أو عجين أو مكبوس أى طعام.

طريقة العمل

بعد يومين من ذبح الديك الرومى ينظف ويوضع لينضج مع ملح . يصبح لحم الديكة الرومى ممتعاً بل ولذيذاً إذا ما سمن بعناية . وهذا يكون بوضع الطيور فى حظائر نظيفة ومدها بالحبوب والماء بوفرة .

وقبل خمسة عشر يوماً من ذبح الديكة تتم تغذيتها بحبات جوز صغيرة . نبدأ اليوم الأول بحبة واحدة وفى اليوم الثانى توضع فى منقارها اثنتان و هكذا يتم تباعاً زيادة الكمية حتى ليلة ذبحها بدون إغفال الذرة التى تأكلها حسب إرادتها فى ذلك الوقت .

أولت تيتا عناية كبيرة بتسمين الديكة كما يجب فقد كان يهتمها للغاية أن توفق فى الاحتفال الهام جداً الذى سيقام بالمزرعة وهو: تعميد ابن أختها، أول ابن لبيدرو وروساورا . كان هذا الحدث يستحق وليمة كبيرة بصلصة المولىه . ولهذه المناسبة أرسل

فى طلب عمل طاقم أطباق خاص من الفخار يحمل اسم روبرتو ، وهو اسم الطفل المحظوظ ، الذى لم يتوقف عن تلقى رعاية وهدايا الأهل والأصدقاء ، وخاصة من جانب تيتا التى ، على عكس المتوقع ، كانت تشعر بعاطفة قوية نحو هذا الطفل ناسية تماماً انه كان نتاج زواج أختها من بيدرو ، حب حياتها .

واستعدت بحماس حقيقى لإعداد وجبة المولىة الخاصة بالتعميد قبل الموعد بيوم . كان بيدرو يسمعها من الصلاة وهى تمارس تأثيراً جديداً عليه . فصول الأوانى وبعضها يتخبط فى بعض ورائحة اللوز وهو يحمص فى الفرن وصوت تيتا الرخيم التى كانت تغنى وهى تطبخ ، قد أيقظ فيه غريزته الجنسية . وكما يشعر المحبون بدنو لحظة علاقة جنسية فإنه ، أمام قرب ورائحة المحبوب أو المداعبات المتبادلة فى علاقة حب سابقة ، فإن هذه الأصوات و الروائح وخاصة رائحة السمسم المحمص ، قد أنبأت بيدرو بقرب حدوث لذة حسية حقيقية .

يتم تحميص اللوز و السمسم فى محمصة . ويتم أيضاً تحميص الفلفل العريض بعد إزالة بذوره ولكن ليس بدرجة كبيرة حتى لا يصبح طعمه مرأً ويتم هذا فى مقلاة على حدة حيث يضاف إليه قليل من الشحم . بعد ذلك يتم طحنه فى رحنى إضافة إلى اللوز والسمسم .

كانت تيتا جاثية على ركبتيها فوق الرحنى ، كانت تتحرك بشكل إيقاعي ومنسجم وهى تطحن اللوز و السمسم . كان نهداها

يهتزان تحت بلوزتها بحرية فلم تستخدم قط أى حمالة للصدر.
وكانت تسيل من رقبته قطرات العرق التى كانت تنساب إلى
أسفل باتجاه الشياى التى بين نهديها المكورين و المشدودين .

ولعدم قدرته على مقاومة الروائح المنبعثة من المطبخ، توجه
بيدرو نحوه ووقف جامداً بالبَاب أمام الوضع المثير الذى وجد
عليه تيتا .

رفعت تيتا بصرها دون التوقف عن الحركة و التقت عيناها
بعينى بيدرو . ذابت نظراتهما مباشرة فى نظرة واحدة إلى درجة أن
من كان يراهما ما كان ليلحظ إلا نظرة واحدة وحركة إيقاعية
وحسية واحدة وتنفساً متفصلاً واحداً ورغبة واحدة .

مكثا فى حالة نشوة عاطفية حتى أخفض بيدرو بصره وثبته
على نهدي تيتا . توقفت هي عن الطحن واعتدلت و نصبت
صدرها لكى يتفحصها بيدرو بشكل تام . غير الاختبار، الذى
استهدفه، العلاقة بين الاثنين إلى الأبد . فبعد تلك النظرة
المتفحصية التى كانت تخترق ثيابها لن يصبح الأمر بالمرّة كما كان .
أدركت تيتا بنفسها لماذا تتغير العناصر لدى تلامسها بالنار . لماذا
تتحول قطعة العجين إلى عجة ولماذا يكون النهذ الذى لا يكوى
بنار الحب نهذاً خامداً، قطعة من عجين بلا أية فائدة . لقد استطاع
بيدرو فى لحظات فقط أن يحوّل نهدي تيتا من نهدين عفيفين إلى
نهدين شهوانيين دون الحاجة إلى لمسهما .

ولولا عودة تشينتشا من السوق حيث كانت تشتري الفلفل العريض، من يدري ماذا كان سيقع بين بيدرو و تيتا ؛ ربما انتهى الأمر ببيدرو بعجن النهدين اللذين تقدمهما إليه تيتا ولكن لسوء الحظ لم يحدث هذا، تظاهر بيدرو بأنه ذهب إلى المطبخ في طلب كوب من ماء الليمون بالتشيا^(١٣) تناوله بسرعة ثم خرج منه.

أما تيتا فقد حاولت، بيدين مرتعدين، مواصلة عملية الطحن كما لو لم يحدث شيء.

بعد طحن اللوز و السمسم جيداً، يخلطان بمرق الديك الحبشى ويضاف إلى الخليط الملح المناسب. ويتم طحن القرنفل فى هون (من الحجر) والقرفة و الينسون و الفلفل ثم يضاف فى النهاية البقسماط الذى تم قليه فى السمن مع البصل و الثوم المفرى. يخلط كل ذلك مباشرة بالنبيذ ويضاف إلى ماسبق.

عشياً حاولت تشينتشا أن تلفت انتباه تيتا وهى تطحن التوابل. فبالرغم من المبالغة لها فى الأحداث التى رأتها فى الميدان و التفاصيل الكاملة التى روت بها عنف المعارك التى وقعت فى القرية لم تلفت انتباه تيتا إلا للحظات قصيرة فقط.

ففى ذلك اليوم لم يكن يشغل بال الأخيرة شيء آخر سوى الإحساس الذى شعرت به لتوها. إضافة إلى أن تيتا كانت تعلم

(١٣) chia: نوع من بذور القويسة يصنع منه مشروباً منعشاً.

تماماً ما يدفع تشنيتشا إلى إخبارها بتلك الأشياء . فلأنها لم تكن الطفلة التي تخاف من حكايات البكاء و الساحرة الشريرة مصاصة دماء الأطفال وقصة أمنا الغول وغيرها من الحكايات المرعبة، فإن تشنيتشا كانت تحاول الآن إرعابها بحكايات المشوقين والمغتالين و المقطوعة أوصلهم و المذبوحين و بشكل خاص المضحين بأنفسهم، الذين كانت تقتلع قلوبهم في أوج المعركة! في أوقات أخرى كان يمكن أن يحلو لها الاستسلام لسحر حكايات تشنيتشا الظرفية وأن ينتهى بها الأمر بتصديق أكاذيبها بما في ذلك القصة التي تروى فيها أن بانتشو يياً كانت تُحمل له قلوب أعدائه الدامية لكي يأكلها، أما الآن فلا .

لقد جعلتها نظرة بيدرو تستعيد الثقة في الحب الذي كان يعترف لها به . لقد عاشت شهوراً وهي مسممة بفكرة إما أن بيدرو قد ضحك منها يوم الزفاف باعترافه لها بحبه لكي لا تتعذب فقط أو أنه مع الوقت قد أحب روساورا بالفعل . وقد تولّد عدم الأمان هذا عندما توقف هو عن التغزل بأطباقها بلا تفسير . فقد كانت تيتا شديدة الاعتناء بطهيها يوماً بعد يوم . كانت في الليل وهي يائسة وبعد بالطبع أن تقوم بغزل جزء طيب من غطاء سريرها، تتبكر وصفة طعام جديدة بغية أن تستعيد العلاقة التي نشأت بينها وبين بيدرو عن طريق الطعام . وفي تلك الفترة من العذاب ولدت أفضل وصفاتها .

وهكذا، ومثلما يلعب الشاعر بالكلمات، كانت هي تلعب حسب هواها بالمكونات والمقادير محققة نتائج هائلة. ولكن بلا فائدة، راحت كل مجهوداتها هباء. لم تنجح فى نزع كلمة استحسان واحدة من شفتى بيدرو. ومالم تكن تعلمه هو أن ماما إيلينا قد طلبت من بيدرو الامتناع عن الشاء على الطعام فقد كان يكفى روساورا ما تعانى من عدم الثقة لبدانتها وتشوه قوامها بسبب حملها، حتى يكون عليها فوق ذلك تحمل المجاملات التى كان يثنى بها على تيتا بحجة طهيها الشهى.

كم شعرت تيتا بالوحدة فى تلك الفترة. استوحشت للغاية ناتشا! كانت تكره الجميع بما فيهم بيدرو. كانت مقتنعة بأنها لن تعود أبداً إلى حب أحد طوال حياتها. كل هذه القناعات تلاشت بالطبع بمجرد أن استقبلت بيديها طفل روساورا.

كان صباحاً بارداً من مارس، كانت هى فى حظيرة الدجاج تجمع البيض الذى وضعت الدجاجات لتوها لاستخدامه فى وجبة الإفطار. كان بعضه مازال دافئاً، ولهذا كانت تضعه أسفل بلورتها و تلمسه بصدرها لتخفف البرد المزمّن الذى كانت تعانى منه والذى اشتد عليها مؤخراً. كانت قد استيقظت كالعادة قبل الجميع.

لكنها اليوم استيقظت قبل موعدها المعتاد بنصف ساعة لكى تعبئ ملابس خيرتروديس فى حقيبة. كانت تريد أن تستغل ذهاب

نيكولاس للسفر من أجل استلام ماشية، لتطلب منه معروف أن يوصلها إلى شقيقتها. كانت تفعل ذلك خفية عن أمها بالطبع. وقد قررت تيتا إرسال حقيبة الملابس تلك لأنه لم يكن يغيب عن عقلها فكرة أن خيرترووديس مازالت عارية. وواضح أن تيتا كانت ترفض قبول حقيقة أن ذلك كان بسبب ما يتطلبه عمل أختها في بيت دعارة على الحدود بل لأن السبب، في الأغلب، هو أنها ليس لديها ما ترتديه.

أعطت نيكولاس حقيبة الملابس بسرعة و مظهروفاً بعنوان الوكر الذي يمكنه أن يجد خيرترووديس فيه وعادت لتتولى أعمالها. فجأة سمعت بيدرو يُعد الكارته. استغربت أن يكون ذلك في ساعة مبكرة هكذا، ولكنها ما أن رأت ضوء الشمس حتى أدركت أن الوقت أصبح متأخراً جداً وأن إرسال جزءاً من ماضيها إلى خيرترووديس بجانب ملابسها أخذ منها وقتاً أكثر مما كانت تتصور. لم يكن سهلاً عليها أن تضع في الحقيبة ذكريات يوم أول مناولة لهن الثلاث معاً. فقد وجدت الشمعة و الكتاب وصورتهن خارج الكنيسة مكانها بشكل جيد جداً ولكن طعم التماليس والأثوليه الذي أعدته لهن ناتشا و الذي أكلته بعد ذلك مع أصدقائهن والأقارب لم يجد مكاناً له. وجدت عظيمات التشاباكانو الملونة مكانها ولم تجد الضحكات التي كن يطلقنها وهن يلعبن معهم في فناء المدرسة ولا خوييتا المعلمة ولا

الأرجوحة ولا رائحة حجرة نومهن ولا الشيكولانة المخفوقة الطازجة. والأمر الطيب أن الحقيبة لم تسع أيضاً ضرب و زجر ماما إيلينا؛ لأن تيتا قامت بإغلاقها بقوة قبل أن تتسلل.

خرجت إلى الفناء بالضبط فى اللحظة التى كان بيدرو يصبح باحثاً عنها بياس. كان عليه أن يصل إلى إيجل باس بحثاً عن دكتور براون، طبيب العائلة، ولم يكن يجدها فى أى مكان. فقد كانت روساورا قد بدأت تشعر بآلام الوضع.

سألها بيدرو أن تعتني بها إلى أن يعود. كانت تيتا هى الوحيدة التى يمكنها فعل ذلك. لم يكن أحد بالبيت. كانت ماما إيلينا و تشيتشا قد ذهبتا الى السوق من أجل إعداد خزين من الطعام لأنهما كانتا فى انتظار الولادة بين لحظة و أخرى ولم تشأ أن يخلو البيت من أى سلعة ضرورية فى هذه الظروف. لم تستطعيا القيام بذلك قبلاً فقد حال وصول الفيدراليين ووجودهم الخطر فى القرية دون ذلك. لم تتخيلا، عند خروجهما، أن قدوم الطفل سيقع فى أسرع مماكانتا تتصوران، فمجرد أن ذهبتا بدأت روساورا فى عملية الولادة.

لم يكن أمام تيتا عندئذ إلا الذهاب لتكون بجوار أختها على أمل أن يكون الأمر لوقت قصير.

لم يكن لدى تيتا أى اهتمام بالتعرف على الطفل أو الطفلة أو أى من كان.

ولكن مالم يكن منتظراً البتة هو أن يقوم الفيدراليون بالقبض على بيدرو ظلماً ومنعه من إحضار الطبيب و ألا تستطيع ماما إيلينا و لا تشييتشا العودة بسبب معركة بالرصاص اندلعت في القرية اضطرتها إلى اللجوء لبيت عائلة لوبو، وبهذه الطريقة أصبحت الوحيدة التي حضرت ميلاد ابن شقيقتها هي، وهي بالذات!

تعلمت في الساعات التي أمضتها بجوار شقيقتها أكثر مما تعلمته في كل السنوات التي درستها في مدرسة القرية. كرهت أكثر من أى وقت مضى معلمها وأما لأنهم لم يخبروها فى أى مناسبة ما يجب القيام به فى حالة ولادة، ففيم تنفعها فى تلك اللحظة معرفة أسماء الكواكب و كتاب كارينيو من الألف إلى الياء وأختها كانت قد زاد وزنها ٣٠ كيلو خلال الحمل، مما كان يزيد من صعوبة عملية الولادة كبرى. فإلى جانب بدانة شقيقتها المفرطة، لاحظت تيتا أن جسم روساورا ينتفخ بشكل غير عادى. بدأ بقدميها ثم الوجه و اليدين بعد ذلك. كانت تيتا تمسح لها عرق جبهتها و تحاول تشجيعها، ولكن روساورا بدت كأنها لا تسمعها.

كانت تيتا قد رأت ميلاد بعض الحيوانات، ولكن تلك الخبرات لن تنفعها فى شئ فى هذه اللحظات فقد كانت تحضر تلك الحالات كمتفرجة فقط. كانت الحيوانات تعرف جيداً ما

عليها أن تفعل. وعلى العكس، لم تكن تعرف هي أى شيء عن أى شيء. أعدت ملاءات وماء ساخنًا ومقصاً معقماً. كانت تعلم أن عليها أن تقص الحبل السرى ولكنها لم تكن تعلم كيف و لا متى و لا بأى طول. كانت تعلم أن عليها تنبيه الطفل بخبطات وقت خروجه إلى الدنيا ولكن لم تكن تعرف ما هي. كل ما كانت تعرفه هو أنه يجب أولاً أن يولد، ولم تكن تعرف متى! كانت تيتا تطل بين فخذي أختها بكثرة ولا شيء. نفق مظلم فقط، صامت عميق. طلبت تيتا من ناتشا و هي جاثية على ركبتها أمام روساورا، يائسة، إلهامها فى هذه اللحظات.

فإذا كان ممكناً أن تملأ عليها بعض وصفات الطعام، يمكنها أيضاً مساعدتها فى هذا الموقف الحرج! كان يجب أن يأتى روساورا أحد من أعلى لأن أهل الدنيا لاحيلة لهم.

لم تعرف كم من الوقت صلت و هي جاثية، ولكنها عندما فتحت عينيها تحول النفق المظلم بين لحظة و أخرى إلى نهر أحمر، إلى بركان مندفع، إلى شق من ورق. كان لحم شقيقتها يفتح لإعطاء فرصة للحياة. لن تنسى تيتا أبداً ذلك الصوت ولا صورة رأس ابن شقيقتها و هي تخرج منتصرة فى صراعها من أجل الحياة. لم تكن رأساً جميلة، كانت تشبه على الأكثر هاونا صغيراً نتيجة الضغط الذى خضعت له عظامها لساعات طويلة. ولكنها بدت لتيتا أجمل من كل الرؤوس التى رأتها فى حياتها.

غزا بكاء الطفل كل المساحات الخالية داخل قلب تيتا. عند ذلك عرفت أنها أحبت من جديد: الحياة وهذا الطفل و ييدرو وبين في ذلك أختها، والتي كانت تكرهها منذ زمن طويل. أخذت الطفل بين يديها وحملته إلى روساورا ويكت كلتاها لبرهة وهما تزمانه. بعد ذلك، وتبعاً للتعليمات التي كانت تعطيها لها ناتشا في أذنيها، عرفت تماماً كل الخطوات التي يجب عليها إتباعها: قطع الحبل السرى في المكان والوقت المناسب، تنظيف جسم الطفل بزيت اللوز الحلو، تقيط السرة و إلباسه. ويدون أى مشكلة عرفت كيف تضع له أولاً الفانلة و القميص ثم القماط على السرة ثم الحفاض من القطن الناعم ثم آخر أكثر سمكاً ثم بعده فانلة طويلة لتغطية الساقين ثم القميص والشراب و الحذاء ثم أخيراً، وضعت يديه فوق صدره وربطتهما بواسطة طرحة ناعمة الملمس حتى لا يخدش وجهه. وعندما عادت في الليل ماما إيلينا و تشييتشا ومعهما أسرة لوبو أعجبوا بالعمل المتقن الذى قامت به تيتا. وكان الطفل نائماً فى هدوء وهو ملفوف مثل قطعة خشب.

عاد ييدرو مع دكتور براون فى اليوم التالى بعد أن أطلقوا سراحه، أراحت عودتهما الجميع.

كانوا يخشون على حياته. أما الآن فلم يعد أمامهم سوى القلق على صحة روساورا، التى كانت ماتزال متوعكة و متورمة.

كشفت عليها دكتور بروان بدقة. وعند ذلك شعروا بمدى خطورة عملية الولادة. وحسب الطبيب فإن روساورا عانت من تشنج نفاسي كان سيودي بحياتها. ولقد أبدى دهشته لأن تيتا استطاعت إسعافها بهذا القدر من رباطة الجأش والعزيمة في ظروف غير مواتية إلى حد ما. حسن، ولكن من يعلم ما الذي لفت نظره أكثر، هل أن تيتا قد أعانت أختها وحدها وبدون أن تكون لديها أية خبرة أم أنه اكتشف فجأة أن تيتا، تلك الطفلة التي كان يتذكرها بأسنانها الكبيرة، قد تحولت إلى امرأة جميلة دون أن يلحظ ذلك؟

فمنذ وفاة زوجته قبل خمس سنوات، لم يشعر بميل إلى أية امرأة. فألم فقدان زوجته الذي وقع وهما حديثا الزواج جعله يفقد الإحساس بالحُب طيلة تلك السنين. أي شعور غريب انتابه حين رأى تيتا. سرت في جسده قشعريرة موقظة ومنبهة لحواسه النائمة. كان يتأملها وكأنه يراها لأول مرة. كم تبدو له أسنانها الآن مناسبة؛ إذ بلغت حجمها الحقيقي الملائم للإنسجام التام لقسمات وجهها الدقيقة والرقيقة.

قطع صوت ماما إيلينا أفكاره:

- دكتور، هل يضايك الحضور مرتين في اليوم حتى تتجاوز ابنتي الخطر؟

- بالطبع لا! أولاً لأنه واجبي، وثانياً لأنه يسرني التردد على منزلكم.

كان من حسن الحظ حقيقة أن تشغل ماما إيلينا بصحة روساورا وألا تلاحظ بريق الإعجاب في نظرة جون وهو يتأمل تيتا، فلو كانت فعلت لما فتحت له أبواب بيتها بثقة.

لم يكن الدكتور آنذاك يمثل أي مشكلة لماما إيلينا، فكل ما كان يشغلها بشدة هو خلو ثدي روساورا من اللبن.

من يمين الطالع أنهم وجدوا في القرية مرضعة تولت إرضاع الطفل. كانت من قريبات ناتشا، وقد رزقت طفلها الثامن وقبلت برضى شرف تغذية حفيد ماما إيلينا. قامت بذلك على نحو رائع لمدة شهر، إلى أن جاء ذلك الصباح وكانت متجهة إلى القرية لزيارة أسرتها فأصابته رصاصة طائشة انطلقت من تراشق النيران بين المتمردين والفيديرالين وأصابته في مقتل. قدم أحد أقاربها ينعيها إلى المزرعة فيما كانت تيتا وتشيتشا تخلصان في إناء كبير من الفخار مكونات الموليه.

وهذه هي الخطوة الأخيرة، وتتم بعد طحن كل المكونات تماماً كما أُشير آنفاً. تخلط المواد في إناء وتضاف إليها قطع الديك الرومي والشيكولاتة والسكر حسب الطلب. وبعد أن ترسب ترفع على النار.

انتهت تيتا من إعداد الموليه وحدها، لأن تشيتشا ذهبت من فورها وبمجرد أن سمعت الخبر، إلى القرية لمحاولة إيجاد مرضعة أخرى لابن أختها. لم تعد إلا ليلاً ودون أن تحقق ذلك. كان

الطفل يبكي في حلق. حاولن إعطائه لبناً بقرياً فرفضه. حاولت تيتا عندئذ إعطائه شاياً كما كانت ناتشا قد فعلت معها لكن بلا طائل: رفضه الطفل تماماً. فجال بخاطرها أن تضع اللثام الذي كانت نسيته لوبيتا المرضعة، معتقدة أن الطفل قد يهدأ عندما يشم الرائحة المألوفة المنبعثة منه، لكن حدث العكس، بكى الطفل على نحو أشد لأن تلك الرائحة كانت تبشره بقرب حصوله على غذائه دون أن يفهم سبباً لتأخره. كان يبحث في يأس عن لبنه بين ثديي تيتا. والشيء الوحيد الذي لم تكن تيتا تتحمله أن ترى جوعان يطلب طعاماً ولا تستطيع منحه له. كان ذلك يسبب لها ضيقاً شديداً. وحين فاق الأمر احتمالها فتحت تيتا بلورتها وقدمت ثديها للطفل. كانت تعلم أنه جاف تماماً، ولكنه على الأقل كان سيفيده كحلقة ويشغله فيما تقرر هي ما سوف تفعله لكي تهديء من جوعه.

التقط الطفل الحلمة بيأس وامتنص وامتنص بقوة خارقة حتى استطاع استخراج لبناً من تيتا. عندما رأت هي الطفل يستعيد هدوء محياه شيئاً فشيئاً وسمعته يتلع، ارتابت من حدوث شيء غريب. أمن الممكن أن يرضع الطفل منها؟ للتأكد من ذلك، أبعدت الطفل عن ثديها ورأت كيف ينبع منها سرسوب لبن. لم تستطع تيتا إدراك ما يحدث. فلا يمكن لفتاة لم تتزوج أن تدر لبناً. كان بالفعل أمراً خارقاً وبلا تفسير في ذلك الوقت. حين

شعر الرضيع بأنهم يسعدونه عن غذائه راح يبكي من جديد. وسرعان ما تركته تيتا يمتصها إلى أن أشبع جوعه تماماً. ونام في دعة كقديس. كانت مستغرقة في تأمل الطفل فلم تنتبه لدخول بيدرو المطبخ. في تلك اللحظة كانت تيتا تجسد تماماً صورة ثيريس، إلهة الغذاء.

لم يندهش بيدرو البتة، ولم يحتج إلى تفسير. اقترب منها وهو مفتون ومبتسم، ومال على تيتا وقبلها في جبهتها. جذبت تيتا ثديها من فم الطفل بعد أن أشبع جوعه، حيثلذ رمقت عينا بيدرو بشكل فعلي ما كانتا رأتاه من قبل تحت الملابس: نهدي تيتا.

حاولت تيتا أن تغطي نفسها بالبلوزة وساعدها بيدرو في صمت وبحنان شديد. عند القيام بذلك تمكنت منهما مجموعة من المشاعر المتلاقية: حب ورغبة وحنان وشهوة وحياء... ورعب من أن يكتشف أمرهما. فوق خطوات ماما إيلينا فوق الأرضية الخشبية حذرهما في الوقت المناسب من الخطر. تمكنت تيتا من أن تصلح جيداً من بلوزتها وابتعد بيدرو عنها قبل أن تدخل ماما إيلينا المطبخ بحيث إنها عندما فتحت الباب لم تجد ما يقلقها من حيث ما تسمح به المعايير الاجتماعية. تظاهر بيدرو وتيتا برباطة جأش كبيرة. ولا ريب من أنها اشتمت في الجو شيئاً جعلها ترهف كل حواسها وتحاول اكتشاف ما كان يثير قلقها.

- تيتا، ماذا يحدث لهذا الطفل؟ هل نجحت في إطعامه؟

- أجل يا مامي، شرب شايه ونام.

- تبارك الله! ماذا تنتظر إذن يا بيدرو لحمل الطفل إلى

امراتك؟ لا يجب أن يظل الأطفال بعيداً عن أمهاتهم.

خرج بيدرو حاملاً الطفل بين ذراعيه؛ ولم تتوقف ماما

أيلينا عن مراقبة تيتا بدقة فقد كان في عينيها وميض اضطراب لم يكن يعجبها بالمرة.

- هل مشروب^(١٤) أختك معد؟

- أجل يا مامي.

- أعطيني إياه لكي أحمله إليها، فهي في حاجة إلى تناوله

ليل نهار لكي يدر لبنها. فبالرغم من كم المشروب الذي تناولته لم تدر لبناً بعد.

في المقابل، كان بثدي تيتا في ذلك اليوم لبن كافٍ لتغذية

ليس روبرتو وحده بل وطفلين آخرين، إن شاءت. ولما امتد

وهن روساورا لعدة أيام لم يتعجب أحد لأن تيتا تتولى إطعام ابن

اختها؛ وما لم يكتشفوه قط هي الطريقة التي كانت تتهجها في

(١٤) ذكر اسم مشروب الشامبورادو EL CHAMPURRADO، وهو مزيج من المشروبات الروحية.

ذلك، إذ كانت تيتا، بمساعدة بيدرو، تحتس تماماً من أن يراها أحد.

وبذلك عزز الطفل ارتباطهما بدل أن يكون سبب فرقتهما فبدت تيتا هي أم الطفل وليس روساورا. كانت هي تشعر بذلك وتبديه. ففي يوم تعميده كم كانت فخورة وهي تحمل ابن شقيقتها وترية لكل المدعوين! لم تستطع روساورا الحضور إلا إلى الكنيسة لأنها كانت لاتزال تشعر بالإعياء. لذا، احتلت تيتا مكانها في المأدبة.

كان الدكتور جون براون ينظر إلى تيتا مفتوناً. لم يكن يستطيع أن يرفع عينيه عنها. لقد حضر جون حفل التعميد فقط لكي يرى هل سيتمكن من التحدث معها على انفراد. فبالرغم من أن كلاهما كان يرى الآخر يومياً أثناء الزيارات العلاجية التي كان جون يقوم بها لروساورا، لم تسنح لهما فرصة الحديث بحرية وبدون وجود شخص آخر. نهض مستغلاً أن تيتا كانت تسير بالقرب من المائدة التي كان يجلس إليها، واقترب منها بحجة رؤية الطفل.

- كم يبدو هذا الطفل جميلاً بجوار خالة بهذا الجمال!

- شكراً يا دكتور.

- إذا كان ذلك والطفل ليس ابنك فإنني أخال الجمال الذي

سأراه عندما يكون الطفل الذي تحمله ابنك.

مرت سحابة حزن على وجه تيتا . اكتشفها جون وقال :

- معذرة، يبدو أنني قلت شيئاً غير مناسب .

- لا ، ليس كذلك . كل ما في الأمر هو أنني لا أستطيع

الزواج ولا أن يكون لي أولاد، لأن عليّ أن أرى أمي حتى وفاتها .

- لكن كيف ! إن ذلك حمق .

- ولكنه هكذا . والآن أرجو المعذرة، سأذهب لأهتم

بضيوفي .

ابتعدت تيتا بسرعة، تاركة جون مرتبكاً تماماً . كانت هي أيضاً كذلك ، ولكنها أفاقت في الحال عندما شعرت بروبرتو بين ذراعيها ، ففيمَ يهتما قدرها طالما وجدت ذلك الطفل قريباً منها ، وكان ملكاً لها قبل غيرها . لقد كانت تمارس بالفعل دور الأم بدون اللقب الرسمي . إن بيدرو وروبرتو ينتميان إليها ، وهي لم تكن تحتاج في حياتها إلى أكثر من ذلك .

ومن فرط سعادتها لم تنتبه تيتا إلى أنها لم تغيب لحظة واحدة عن بصر أمها أو بصر جون وإن اختلف السبب . كانت الأم موقنة من أن شيئاً ما يشغل أمر تيتا وبيدرو . وفي محاولة استكناها لم تذق الطعام وصرفت اهتمامها إلى مهمة المراقبة مما حال دون انتباهها إلى نجاح الحفل . كان الجميع متفقاً على أن

الفضل في جانب كبير من ذلك النجاح يعود لتيثا، فقد كان الموليه الذي أعدته لذيذاً! ولم تتوقف هي عن تلقي التهاني على جدارتها كطاهية، وكان الجميع يرغبون في معرفة السر. كان من المؤسف حقاً أنه في اللحظة التي كانت تيثا تجيب فيها بأن السر هو أنها أعدت الموليه بحب عميق، كان بيدرو على مقربة ونظر كل منهما إلى الآخر متذكرين معاً اللحظة التي كانت فيها تيثا تطحن مكونات الموليه في المدق ولكن حدة بصر ماما إيلينا، والتي كانت كحدة الصقر، اكتشفت من مسافة عشرين متراً ذلك البريق وضايقتها للغاية.

من بين جميع الحضور، كانت هي المستاءة الوحيدة، فبعد تناول الموليه انتابت الجميع حالة من الانتعاش فجاءت ردود أفعالهم على شكل شعور بسعادة غير عادية. كانوا يضحكون ويضحجون بصخب لم يعهدوه من قبل، وقد يمر وقت طويل قبل أن يتكرر. كان الكفاح الثوري يهدد بالجوع والموت أينما حل. لكن، في تلك اللحظات، لاح الجميع كأنهم يجتهدون لنسيان وجود تراشق النيران في القرية.

والوحيدة التي لم تفقد هدوءها هي ماما إيلينا التي كانت جد منشغلة بالبحث عن حل لحرقتها، قالت مستغلة لحظة كانت فيها تيثا على مقربة منها بحيث لن تفوتها كلمة مما يقال، قالت للأب إجناتيو بصوت عال:

- نظراً لما يستجد من أمور يا أبانا، يساورني قلق من أن تحتاج ابنتي روساورا يوماً إلى الطبيب فلا نستطيع إحضاره، مثلما حدث يوم أن وضعت. أعتقد أنه من الأنسب أن تذهب عندما تقوى مع زوجها وطفلها لتعيش في سان أنطونيو بتكساس، مع ابن أخي. فهناك ستحصل على رعاية طبية أفضل.

- أنا لا أرى ما تريه يا دونيا إيلينا، وبالأخص لما هو عليه الموقف السياسي، أنت في حاجة إلى رجل في البيت لحمايتك.

- لم أحتج به المرة في شيء، لقد رعت وحدي المزرعة وبناتي. لا أهمية للرجال في الحياة إلى هذه الدرجة يا أبانا - ودعمت قولها- كما أن الثورة ليست خطيرة كما يصفونها. فالفلفل الحار يكون أسوأ في غياب الماء!

- نعم، ذلك حق! -أجاب ضاحكاً- آه، يالها من امرأة دونيا إيلينا! دائماً سريعة البديهة جداً. وأخبريني، هل فكرت بعد أين سيعمل بيدرو في سان أنطونيو؟

- يمكنه العمل كمحاسب في شركة ابن أخي، لن تكون لديه مشكلة فهو يتحدث الإنجليزية بأتقان.

دوت الكلمات التي سمعتها تينا في رأسها كطلقات مدفع. لم يكن في وسعها أن تسمح بذلك. لا يمكنهم أن يتزعوا الطفل منها. كان عليها أن تمنع ذلك بكل السبل. فجأة، نجحت ماما إيلينا في أن تفسد عليها الحفل، أول حفل تستمتع به في حياتها.

الفصل الخامس

مايو

سجق منه الشمال

المقادير:

٨ كجم من لحم ^(١٥) الفلتو - ٢ كيلو من قطع لحم الفلتو أو
 أطرافه - كيلو جرام واحد من القلف الأحمر الرومي -
 ٦٠ جم من الكمون - ٦٠ جم من الزعتر - ٢٠ جم من
 حبات القرنفل - كويان من الثوم - لتران من خل التفاح -
 ١/٤ كجم من الملح أمعاء غنم ^(١٦)

(١٥) ذكر لحم مختزير.

(١٦) لم تذكرها المؤلفة في الكتاب.

طريقة الصنع

يوضع الخل فوق النار ويضاف إليه الفلفل الأحمر الحار العريض بعد أن تنزع منه البذور. وعندما يبدأ في الغليان يرفع من فوق النار ويوضع غطاء فوق الإناء لكي يطرى الفلفل.

وضعت تشينتشا الغطاء وأسرعت إلى الحديقة لمساعدة تيتا في البحث عن ديدان الأرض. فبين لحظة وأخرى ستصل ماما إيلينا إلى المطبخ لمراجعة عمل السجق وإعداد الماء لحمامها وكانتا متأخرتين في الأمرين. ومرد ذلك أن تيتا منذ أن ذهب بيدرو وروساورا والطفل للعيش في سان أنطونيو تكساس فقدت كل رغبة في الحياة ماعدا تلك التي كان يوقظها فيها فرخ حمام أعزل كانت هي تطعمه ديدان الأرض. فيما خلا ذلك لم يكن يهمها حتى لو انهدم البيت.

لم تكن تشينتشا تريد تخيل ما يمكن أن يحدث لو علمت ماما إيلينا أن تيتا لاتريد المشاركة في عمل السجق. وكن قررن

إعداده لكونه أفضل وسيلة لاستخدام لحم الخنزير بطريقة اقتصادية إذ كان يؤمن لمن لهن غذاء جيداً لمدة طويلة بدون خطر أن يفسد. وأعددن أيضاً كمية كبيرة من اللحم المقدد وفخذ الخنزير المملح وشحم الخنزير والسمن. كان عليهن الإفادة بقدر المستطاع من هذا الخنزير وهو من الحيوانات القليلة التي نجت من زيارة الجيش الثوري لمن قبل أيام.

ففي اليوم الذي وصل فيه الثوار، لم يكن بالمرزعة سوى ماما إيلينا وتيتا وتشينتشا وعاملين: روسالو وجوادالوبي. أما نيكولاس الخولي فإنه لم يكن عاد بعد بالماشية، وكان نظراً إلى الحاجة الماسة قد ذهب لشرائها، فلإزاء نقص الغذاء اضطروا إلى قتل الحيوانات التي لديهم واحداً تلو الآخر ولزم تعويضها. وكان اصطحب معه اثنين من أكثر العمال أمانة لمساعدته. وترك ابنه فيليبي لحراسة المزرعة لكن ماما إيلينا أعفته من المهمة وتولتها هي عنه ليتمكن فيليبي من الذهاب إلى سان أنطونيو تكساس بحثاً عن أخبار حول بيدرو وأسرته. فقد كانوا يخشون من أن يكون قد أصابهم مكروه لعدم الاتصال منذ ذهابهم.

جاء روسالو مسرعاً ليلغهم بأن قوة من العسكر تقترب من المزرعة، فحملت ماما إيلينا بندقيتها في الحال وبينما كانت تنظفها فكرت في إخفاء أكثر الأشياء التي تمتلكها قيمة عن جشع وشهوة هؤلاء الرجال. فلم تكن الشواهد التي أبلغت بها عن الثوار طيبة

بالمرة. ولم تكن بالطبع جديرة بأية ثقة؛ لأنها كانت صادرة من الأب لإجناثيو ورئيس بلدية بيدراس نجراس. فقد عرفت عن طريقهما كيف كانوا يدخلون البيوت ويخربون كل شيء وكيف كانوا يغتصبون الفتيات اللاتي كن يجدونهن في طريقهم. لهذا إذن أمرت بأن تبقى تيتا وتشينتشا والحنزير في البدروم.

وعندما وصل الثوار وجدوا ماما إيلينا عند مدخل البيت. كانت تخفي بندقيتها تحت تنورتها وإلى جوارها روساليو وجوادالوبي. التقت نظرتها بنظرة الضابط الذي يتولى القيادة والذي فطن في الحال، من شراسة تلك النظرة، إلى أنهم أمام امرأة ينبغي الحذر منها.

- مساء الخير يا سيدتي، هل سيادتك صاحبة هذه المزرعة؟

- أجل. ماذا تريدون؟

- جئنا نطلب من سيادتك تعاونك، عن طيب خاطر، من

أجل القضية.

- وأنا أقول لكم، عن طيب خاطر، أن تحملوا ما تشاءون

من المؤن التي تجدونها في الشونة وفي الحظائر. ولكن ما بداخل بيتي لا تلمسوه، مفهوم؟ فذلك يخص قضيتي الشخصية.

أدى لها القائد التحية مارحاً وأجابها:

- مفهوم يا سيادة القائد.

وقعت المزحة موقعاً حسناً من الجنود جميعاً وتغزلوها ولكن

القائد انتبه إلى أن المزاح لا يفيد مع ماما إيلينا، فقد كانت تتحدث بجدية، بجدية صارمة.

وفي محاولة للتصدي لنظرتها المتسلطة والحادة أمر بتفتيش المزرعة. لم يجدوا شيئاً ذا قيمة، قليل من الذرة بدون درس وثمانى دجاجات. اقترب أحد العسكر، ببالح الضيق، من القائد وقال له:

- لابد أن هذه العجوز تخفي كل شيء داخل المنزل، دعني ادخل لمراجعة ذلك!

أجاب ماما إيلينا وهي تضع إصبعها على الزناد:

- أنا لا أمزح وقلت لن يدخل أحد بيتي!

حاول الرقيب وهو يضحك ويؤرجح بعض الدجاجات التي كان يحملها في يده أن يتجه نحو المدخل. رفعت ماما إيلينا البندقية واستندت إلى الحائط حتى لا تسقط على الأرض من الدفعة التي كانت ستلتقاها وأطلقت النار على الدجاجات. انتشرت في كل الأنحاء قطع من اللحم ورائحة ريش محترق.

أخرج روسالو وجوادالوبي بندقيتهما مرتعدين ومقتنعين تمام الاقتناع بأن ذلك كان آخر يوم لهما على الأرض. حاول الجندي الذي كان بجوار القائد إطلاق النار على ماما إيلينا، لكن القائد منعه بإشارة منه. كان الجميع في انتظار أمر منه بالهجوم.

- أنا ماهرة جداً في الرماية وسيئة الطبع جداً يا كابتن .
الطلقة القادمة ستكون من نصيبك ، وأؤكد لك أنني أستطيع
إطلاق النار عليك قبل أن يقتلونني ، وعليه فمن الأفضل أن يحترم
كل منا الآخر ، لأننا لو قُتلنا فلن يحتاجني أحد ، لكن المؤكد أن
الامة سوف تأسف كثيراً لفقدك . أليس كذلك ؟

كان من الصعب حقيقةً تحمل نظرة ماما إيلينا حتى على
القائد . كان بها شيء يثير الرعب . وكان الأثر الذي تخلفه فيمن
يتلقاها هو خوف يفوق الوصف : كانوا يشعرون بأنهم حوكموا
وصدر ضدهم حكم لجرائم ارتكبوها . وكان الواحد منهم يقع
فريسة لخوف صبياني من سلطة الأم .

- أجل ، معك حق . لكن لا تقلقي ، لن يقتلك أحد أو
يفقدك احترامك . لم يبقَ سوى ذلك ! إن امرأة بهذه الشجاعة
تحور دائماً إعجابي .

وقال متوجهاً إلى جنوده :

- لن يدخل أحد هذا البيت ، انظروا ما يمكن أن تجدوه هنا
وهيا بنا .

كان ما اكتشفوه هو برج الحمام الذي يحتل سطح واجهتي
المنزل الضخم . وللوصول إليه كان عليهم أن يتسلقوا سلماً طوله
سبعة أمتار . صعد ثلاثة من الثوار وظلوا مدهولين لمدة طويلة قبل
أن يستطيعوا الحركة . هالهم حجمه وظلمته وهديل الحمام

المجتمع هناك والذي كان يدخل ويخرج من كوات صغيرة جانبية .
أغلقوا الباب والكوات حتى لا تستطيع أية حمامة الهروب وبدأوا
في الإمساك بصغار الفرخ وبالحمام .

جمعوا كمية كبيرة تكفي لأطعام الكتية لمدة أسبوع . وقبل
الانسحاب تفقد القائد وهو يمتطي جواده الفناء الخلفي واستنشق
بعمق أريج الورد الذي لا ينمحي والذي كان لا يزال في المكان .
أغمض عينيه ولبث على ذلك لبرهة طيبة . ولدى عودته إلى ماما
إيلينا سألتها :

- أعلم أن لديك ثلاث بنات ، فأين هن ؟

- الكبرى والصغرى تعيشان في الولايات المتحدة والأخرى
ماتت .

بدا على القائد التأثر للخبر ، فأردف بصوت لا يكاد يسمع :

- شيء مؤسف ، مؤسف حقاً .

ودّع ماما إيلينا بانحناءة . وذهبوا بهدوء مثلما قدموا تماماً
ولبثت ماما إيلينا في حيرة إزاء السلوك الذي اتبعوه معها والذي
لم يكن ينتمي إلى سلوك السفاحين العتاة الذين كانت تنتظرهم .
منذ ذلك اليوم ، فضلت ألا تظن السوء بالثوار . وما لم تكن
تعلمه مطلقاً هو أن ذلك القائد كان خوان أليخاندريس ذاته الذي
أخذ قبل ذلك بشهور ابتها خيرتروديس .

وما لم يكن القائد يعلمه بدوره أن ماما إيلينا دفنت في رماد الجهة الخلفية من البيت كمية كبيرة من الدجاج كانت في تناول يدهم. فقد استطعن ذبح عشرين دجاجة قبل وصولهم. يحشى الدجاج بحبوب القمح أو الشوفان وتوضع الدجاجة بأكملها وبريشها في إناء من الفخار المطلي. يغطى الإناء جيداً بقطعة قماش وبهذه الطريقة يمكن حفظ اللحم في حالة جيدة لأكثر من أسبوع. كانت هذه الطريقة معروفة في المزرعة منذ زمن بعيد ومتبعة عند الحاجة إلى حفظ الطيور بعد عملية قنص.

كان أول ما استوحشته تيتا عند خروجها من مخبئها هديل الحمام المستمر وكان منذ أن ولدت يمثل جانباً من حياتها اليومية. ذلك الصمت المبالغ جعلها تشعر فجأةً بالوحدة. كانت تلك اللحظة التي شعرت فيها تيتا بوطأة رحيل بيدرو وروساورا وروبرتو عن المزرعة. صعدت بسرعة درجات السلم الكبير الذي كان ينتهي إلى برج الحمام وكان الشيء الوحيد الذي وجدته كمظهر للمكان بساطاً من الريش والقذارة.

كانت الريح تتسلل من الباب المفتوح، وتطير بعض الريش فيقع فوق بساط من الصمت. فجأةً سمعت صوتاً خافتاً: كان فرخاً صغيراً فقس حديثاً ونجا من المذبحة. أخذته تيتا واستعدت للنزول ولكنها توقفت قبل ذلك لتشاهد لوهلة غيمة الغبار التي خلفتها جياد الجنود عند رحيلهم. وتساءلت متعجبة عن سبب

عدم تعرض أمها لأي أذى. فقد كانت تصلي في مخبئها حتى لا يقع مكروه لماما إيلينا، ولكنها بلا وعي منها كانت تأمل أن تجدها لدى خروجها ميتة.

في خجل من تلك الأفكار، وضعت فرخ الحمام بين صدرها لكي تحرر يديها وتمسك جيداً بالسلم الخطير، ثم هبطت برج الحمام. ومنذ ذلك اليوم وشاغلها الأكبر إطعام الفرخ الهزيل. بهذه الطريقة فقط كان للحياة معنى. وهي لا تقارن بالمتعة التي كانت تشعر بها عند إرضاع طفل لكنها، بشكل ما، كانت تشبهها.

كان ثدياها قد جفا بين يوم وآخر من جراء الألم الذي سببه لها إبعاد ابن شقيقته عنها. لم تكن تستطيع وهي تبحث عن الديدان التوقف عن التفكير فيمن وكيف تراه يطعم روبرتو. كان هذا التفكير يعذبها ليلاً ونهاراً. خلال شهر كامل، لم تستطع مصالحة النوم ولو للحظة. كان كل ما حققته خلال تلك الفترة هو مضاعفة حجم مفرش سريرها الكبير خمس مرات. جاءت تشينتشا لتخرجها من أفكارها المثيرة للشفقة ودفعها دفعاً إلى المطبخ. أجلستها أمام المدق وجعلتها تطحن التوابل مع الفلفل الأحمر الحار. ولتسهيل هذه العملية من المستحسن أن نضع من حين لآخر قليلاً من الخل ونحن نقوم بالطحن. وأخيراً يخلط اللحم المفروم جيداً أو المهروس مع الفلفل والبهارات ويترك

ليترسب مدة طويلة وليكن طوال الليل .

كانت عملية إعداد حمام ماما إيلينا مثل الإعداد لاحتفالية .
إذ كان يلزم وضع الماء ليغلي مع زهور خيري البر وهي الرائحة
المفضلة لماما إيلينا . تلي ذلك مرحلة استخلاصها بقطعة قماش
نظيفة ثم تضاف إليها قطرات من الروم . وأخيراً يحمل هذا الماء
الساخن في إجانان خشبية واحدة تلو الأخرى حتى الحجرة
المظلمة وهي حجرة صغيرة تقع في نهاية البيت بجوار المطبخ .
وهذه الحجرة ، كما يشير اسمها ، لا تستقبل أي شعاع ضوء لأنها
بلا نوافذ . كان لها باب ضيق فقط . وبالدخل ، في وسط
الحجرة ، كان ثمة حوض خشبي كبير يوضع فيه الماء . وإلى
جانبه ، في إناء من القصدير ، يصب الماء مضافاً إليه " تشي
تشي " (١٧) لغسيل شعر ماما إيلينا .

كانت تيتا فقط ، ومهمتها خدمة أمها حتى مماتها ، هي
الوحيدة التي تستطيع حضور ذلك الطقس ورؤية أمها عارية . ولا
أحد غيرها . من أجل ذلك صنعت تلك الحجرة للتصدي لمحبي
الاستطلاع . كان على تيتا أن تغسل أولاً جسم أمها ثم شعرها
وأخيراً تتركها للحظات للراحة مستمتعة بالماء ، بينما تقوم هي بكيّ
الملابس التي سترتيديها ماما إيلينا عند خروجها من الحوض
الخشبي .

(١٧) صنف من الصابون .

وبأمر من أمها تساعدها تيتا في تخفيف جسدها وفي ارتداء ملابسها الدافئة تماماً في أسرع وقت ممكن تفادياً لنزلات البرد. بعد ذلك كانت تفتح الباب مليمتراً واحداً حتى تبرد الحجرة تدريجياً فلا يتأثر جسم ماما إيلينا لأي تغيير مفاجيء في درجة الحرارة؛ فيما تمشط تيتا لها شعرها وهي لا ترى سوى على ضوء الشعاع الخافت الذي يتسرب من فتحة الباب الضيقة والذي كان يخلق جواً من السحر بإظهاره الأشكال الوهمية لبخار الماء. كانت تمشط لها شعرها إلى أن يجف تماماً، عندئذ كانت تصنع لها ضفيرة وينتهي الطقس. كانت تيتا تشكر الله دائماً لأن ماما إيلينا لم تكن تستحم سوى مرة واحدة في الأسبوع وإلا لكانت حياتها عذاباً حقيقياً.

وكانت ماما إيلينا ترى أن ما يحدث في الاستحمام يحدث في الطعام، فكلما اجتهدت تيتا ارتكبت عدداً لانهائياً من الأخطاء. فإما أن تكون بالقميص تجعيدة صغيرة أو لا يكون الماء ساخناً بالقدر الكافي أو أن خط الضفيرة ليس مستقيماً؛ عموماً، يبدو أن فضيلة ماما إيلينا الوحيدة هي إيجاد العيوب. غير أنها لم تجد في حياتها كما مثل ذلك اليوم. والحق أن تيتا كانت قد أهملت بالفعل كل تفاصيل تلك الطقوس. فكان الماء شديد السخونة فتحترقت قدما ماما إيلينا عندما وضعتهما فيه، كما أنها نسيت إحضار الـ "تشي تشي" لغسل الشعر وأحرقت البطانة

والقميص الداخلي وفتحت الباب أكثر من اللازم، وفي النهاية، وصلت بالفعل إلى درجة أن ماما إيلينا قامت بزجرها وطردها من حجرة الحمام.

اتجهت تيتا بسرعة نحو المطبخ وهي تحمل تحت ذراعها الملابس المتسخة وتتجنب بسبب الزجر وإخفاقاتها الجسيمة. كان أشد ما يؤلمها هو العمل الإضافي الذي يستتبع إحراقها للملابس. كانت المرة الثانية في حياتها التي يقع لها فيها هذا النوع من سوء الحظ. فالآن عليها أن تبلل البقع الضاربة للحمرة بمحلول كلورات البوتاسا والماء المقطر ومحلول قلوي مخفف ويتم الدك المتكرر حتى تزول البقعة، وعليها أيضاً أن تضيف إلى هذا العمل الشاق غسل الملابس السوداء التي كانت ترتديها أمها، وللقيام بذلك كان عليها إذابة مرارة بقرة في كمية صغيرة من الماء المغلي وتغمر إسفنجة ناعمة في هذا الماء وتبلل بها الملابس كلها، ثم تشطف الملابس مباشرة بالماء النظيف. كانت تيتا تدعك وتدعك الملابس كما كانت تفعل من قبل مع غيسارات روبرتو لإزالة البقع منها. كانت تفعل ذلك بغلي كمية من البول و تغمر فيها البقعة للحظة ثم تشطفها بالماء. وهكذا بكل بساطة كانت تختفي البقع. ولكنها الآن بالرغم من كثرة ما غمرت الغيارات في البول لم تستطع إزالة ذلك اللون الأسود الفظيع، ولكنها سرعان ما انتهت إلى أنها ليست حفاضات روبرتو وإنما ملابس أمها. لقد ظلت

تغمرها في المبوالة التي نستها منذ الصباح بجانب حوض الغسيل دون أن تنظفها. بدأت في تصحيح خطئها وهي مغمومة.

زمت تيتا، عندما أقامت أسباب معيشتها في المطبخ، على الاهتمام أكثر بما تقوم به. كان عليها أن تضع حداً للذكريات التي كانت تعذبها أو لشدة غضب ماما إيلينا التي كان يمكن أن تنفجر بين لحظة وأخرى.

كانت تيتا قد تركت خلطة السجق لترسب منذ أن بدأت في إعداد حمّام ماما إيلينا لذا كان قد مر وقت كافٍ لأجل البدء في حشو الأمعاء.

يجب أن تكون أمعاء الغنم نظيفة ومملحة. ولحشوها يستخدم قمع. تُربط جيداً على أبعاد أربعة أصابع وتوخز بأبرة لإخراج الهواء لأنه يمكن أن يفسد السجق. مهم جداً ضغطه جيداً أثناء الحشو حتى لا يبقى فراغ.

بالرغم من إصرار تيتا على تفادي أن تحضرها الذكريات وتجعلها ترتكب أخطاء أخرى، لم تستطع تجنبها، وفي يدها قطعة كبيرة من السجق، وتذكرت ليلة الصيف التي خرج فيها الجميع للنوم في صحن البيت. ففي أيام القيظ، كانوا يعلقون في صحن البيت شبكات كبيرة للنوم، إذ كان الحر لا يطاق، ويوضع فوق منضدة دن مليء بالثلج ويدخله بطيخة مقطعة حتى إذا ما قام أحد في منتصف الليل وهو حران وأراد أن يتعش فبوسعه تناول

شريحة. كانت ماما إيلينا خبيرة بتقطيع البطيخة: كانت تدخل طرف سكين مسنون في البطيخة بحيث يولج فقط إلى حيث ينتهي الجزء الأخضر من قشرتها تاركة قلب البطيخة دون أن يمس.

كانت تحدث عدة قطوع في القشرة بإتقان محسوب بحيث أنها ما إن تنتهي كانت تحمل البطيخة في يدها وتخبطها خبطة واحدة فوق قطعة حجر ولكن في المكان المناسب بالضبط، وبطريقة سحرية كانت قشرة البطيخة تنفتح مثل بتلات زهرة تاركة قلبها سليماً على المنضدة. ومما لا شك فيه أنه فيما يتعلق بالتقطيع والهدم وقطع الأوصال والتدمير والفظام والعقر والتحطيم وعزل أي حيوان عن أمه كانت ماما إيلينا أستاذة. فمئذ أن ماتت ماما إيلينا لم يستطع أحد أن يعود إلى فعل تلك المأثرة (مع البطيخ).

سمعت تيتا من أعلى شبكة نومها كما لو أن أحداً قد نهض ليتناول شريحة من البطيخ. أما هي فقد أيقظتها الرغبة في الذهاب إلى دورة المياه. كانت احتست بيرة طوال النهار، ليس للتخفيف من الحر وإنما لتدر لبناً أكثر لإرضاع ابن أختها.

كان هذا ينام في هدوء بجوار أختها. نهضت تتلمس الطريق أمامها، لم تكن تستطيع تمييز أي شيء، كانت ليلة مظلمة تماماً. سارت باتجاه الحمام محاولة أن تتذكر موضع الشبكات فلم تكن ترغب في أن تتعثر بأحد.

كان بيدرو جالساً في شبكته يتناول شريحة البطيخ ويفكر في تيتا. فقد كان قربها يصيبه ببالغ الاهتياج. لم يكن يستطيع النوم وهو يتخيلها هناك على بعد خطوات منه. . . ومن ماما إيلينا، بالطبع. توقف تنفسه للحظات لدى سماعه وقع خطوات في الظلام، لابد أنها تيتا، فالعبق الخاص الذي شاع في الجو ما بين ياسمين وروائح المطبخ لا يمكن أن ينتمي إلا إليها فقط. اعتقد لبرهة أن تيتا قامت تلمسه. امتزج وقع خطواتها وهي تقترب منه بدقات قلبه الذي كان ينبض بشدة. لكن لا، إن الخطوات لتبتعد الآن صوب الحمام. نهض بيدرو مثل قط ويدون أن يحدث أي صوت لحق بها.

فوجئت تيتا عندما شعرت بأن أحداً يجذبها ويغطي فمها ولكنها تنهت بسرعة إلى من تنتمي تلك اليد وسمحت لها بلا أدنى مقاومة أن تنساب أولاً عبر رقبتها حتى نهديها ثم بامتنان كامل عبر كل جسدها. وبينما كانت تتلقى قبلة في فمها أخذت يد بيدرو يدها ودعتها إلى تعرف جسده. تلمست تيتا بخجل عضلات ذراعي وصدر بيدرو القوية. ثم، إلى أسفل أكثر، كانت جذوة مشتعلة تخفق تحت الملابس. جذبت يدها منزعجة ليس بسبب الاكتشاف بل لصيحة من ماما إيلينا.

- تيتا، أين أنت؟

- هنا يا مامي، جئت إلى الحمام.

وخشية أن تشك أمها في شيء، عادت تيتا بسرعة وأمضت ليلة من العذاب متحملة الرغبة في التبول المصحوبة بشعور آخر مشابه. ولكن تضحياتها لم تفدها في شيء. ففي اليوم التالي قامت ماما إيلينا، التي اعتقد لفترة أنها غيرت رأيها فيما يتعلق بذهاب بيدرو وروساورا للعيش في سان أنطونيو بتكساس، بالإسراع من الرحيل وخلال ثلاثة أيام نجحت في أن يرحلوا عن المزرعة.

طرد دخول ماما إيلينا المطبخ الذكريات. وتركت تيتا السجق يسقط من يدها. كانت ترتاب من قدرة أمها على قراءة أفكارها. دخلت خلفها تشينتشا وهي تبكي بحزن.

- لا تبكي يا بنتي! تؤلني رؤيتك تبكين. ما الذي جرى؟

- لقد جاء فيليبي وقال إنه مات.

- ماذا تقولين؟ من الذي مات؟

- الطفل!

- أي طفل؟

- من سيكون؟ حفيدك. كان كل ما يأكله يؤله. وعليه فقد

مات.

شعرت تيتا بضربة فوق رأسها وسقطت. وبعد الخبطة، صوت أطباق تتكسر إلى ألف قطعة كالمدفوعة من زنبرك.

- اجلسي للعمل ولا أريد دموعاً. مسكين يا صغيري،
عسى الله يشملها في جنته، ولكننا لا يجب أن نجعل الحزن ينتصر
علينا، فأمامنا الكثير من العمل. انتهى أولاً منه ثم افعلي ما
تشائين إلا البكاء، أسمعني؟

شعرت تيتا بهياج شديد يسيطر على كيائها. واجهت بثبات
نظرة أمها وهي تربت على السجق ويعد ذلك، بدلاً من أن
تطيعها، حملت السجق الذي كان أمامها ومزقته إرباً وهي تصيح
بجنون.

- انظري ما أفعل بأوامرك! لقد سئمت! لقد سئمت من
طاعتك!

اقتربت ماما إيلينا والتقطت ملعقة خشبية ولطمت بها
وجهها.

- أنت المسئولة عن موت روبرتو! صرخت فيها تيتا وهي
خارج وعيها وخرجت وهي تجرى، مجففة الدماء التي كانت
تسيل من أنفها؛ اخذت فرخ الحمام ووعاء الديدان وصعدت إلى
برج الحمام.

أمرت ماما إيلينا برفع السلم وتركها تمضي طوال الليل
هناك. وأكملت ماما إيلينا وتشتتسا حشو السجق في صمت.
وبرغم درجة اتقان ماما إيلينا والاهتمام الذي كانت توليه دائماً

حتى لا يتبق هواء داخل السجق، كان أمراً بلا تفسير بحق لدى الجميع عندما وجدوا بعد اسبوع أن الديدان قد غزت السجق في مخزن المؤن حيث وضع ليجف.

وفي اليوم التالي أمرت ماما إيلينا تشييتشا بإنزال تيتا. لم تكن ماما إيلينا تستطيع القيام بذلك فالشيء الوحيد الذي كانت ماما إيلينا تخشاه في حياتها هو الخوف من الارتفاعات. لم تكن تتحمل حتى التفكير في أن عليها الصعود على سلم طوله سبعة أمتار، وأن تفتح للخارج الباب الصغير لكي تستطيع الدخول. وكانت عليها بالطبع أن تتظاهر بالكبرياء أكثر مما تمتلك، وأن ترسل شخصاً آخر لإنزال تيتا بالرغم من أنها كانت تقتلها الرغبة في الصعود بنفسها وانزالها جراً من شعرها.

وجدتها تشييتشا وفرخ الحمام بين يديها. كان يبدو أن تيتا لم تنتبه إلى أنه قد مات. كانت تحاول اطعامه ديداناً أكثر. يبدو أن المسكين قد مات من التخممة لأن تيتا أطعمته أكثر من اللازم. كانت نظرة تيتا تائهة وكانت تنظر إلى تشييتشا وكأنها تراها لأول مرة في حياتها.

هبطت تشييتشا وهي تقول إن تيتا تبدو كالمجنونة وأنها لا تريد مغادرة برج الحمام.

- حسناً جداً، إذا كانت مجنونة فسوف تنتهي بمستشفى المجانين. فلا مكان في هذا البيت لمخايل!

وبالفعل قامت فوراً بإرسال فيليبييه ليحضر دكتور بروان ليحمل تيتا إلى مستشفى للأمراض العقلية. جاء الدكتور وسمع الرواية حسب رؤية ماما إيلينا و استعد لصعود البرج .

وجد تيتا عارية وانفها مكسور وكل جسدها مغطى بقاذورات الحمام . وقد التصق بعض الريش بجلدتها و شعرها . وما أن رأت الدكتور حتى جرت إلى ركن وأخذت وضع القرفصاء .

لم يعرف أحد كم ما قاله لها دكتور بروان خلال الساعات التي أمضاها معها ولكنه هبط بتيتا في المساء و هى بملابسها ووضعها في عربته و ذهب بها .

استطاعت تشيتشا بالكاد و هى تجرى وتبكي بجوارهما، أن تضع لتيتا على اكتافها المفروش الهائل الذى غزلته فى ليالى الأرق التي كانت بلا نهاية. كان كبيراً وثقيلاً لدرجة أن العربية لم تكفيه . تشبثت تيتا به بقوة بحيث لم يكن هناك أى وسيلة إلا حمله جراً مثل ذيل فستان عروس ضخم متغير الألوان غطى طوله كيلومتراً كاملاً . ولأن تيتا كانت تستخدم فى غزل مفروشها ما يقع بين يديها من صوف دون أن يهتمها اللون، فإن المفروش كان يمثل خليطاً من الألوان والنسج والأشكال التي كانت تظهر وتختفى بشكل يشبه الفن السحري، بين غيمة الغبار الهائلة التي كان يثيرها فى طريقه .

الفصل السادس

يونيو

عجينة لصنة أعواد الثقاب

المقادير:

أوقية من ملح البارود المطحون - ١/٢ أوقية من أكسيد
الرصاص الأحمر (سلاقون) - ١/٢ أوقية من الصمغ
العربي المطحون - درهم واحد من الفسفور - زعفران -
كرتون

طريقة الصنع

أذب الصمغ العربي في ماء ساخن حتى يصير عجينة لينة، يضاف إليها بعد ذلك الفوسفور ويذاب فيها كذلك ملح البارود المطحون. ثم يضاف السلاقون بالقدر الذي يعطيها لوناً.

كانت تيتا تراقب في صمت الدكتور براون وهو يقوم بهذه الخطوات. كانت تجلس بجانب نافذة معمل صغير للدكتور يقع في الجانب الخلفي من صحن البيت. كان الضوء المتسرب من النافذة يسقط على ظهرها وينفحها شعوراً بالدفع. كان خائياً ولا يكاد يُحس به. كان شعورها المزمّن بالبرد لا يسمح لها بالدفع بالرغم من أنها تتدثر بغطائها الصوفي الثقيل. كانت تتابع الغزل من أحد طرفيه بصوف أحضره لها جون.

من بين أرجاء المنزل، كان ذلك المكان المفضل لكليهما. وكانت تيتا اكتشفته بعد أسبوع من وصولها إلى بيت الدكتور جون براون. وكان جون، بدل أن يودعها مصحة عقلية، قد أخذها

لتعيش معه . لم تكف تينا قط عن شكره لذلك . إذ كان محتملاً أن تنتهي في المصححة العقلية إلى الجنون بالفعل . غير أنها ، بكلمات جون الدافنة وسلوكه معها ، راحت تشعر بتحسن يوماً بعد يوم . وكانت تتذكر وصولها إلى البيت . كالحلم . كانت تحتفظ في ذاكرتها بصور مطموسة للألم الشديد الذي شعرت به عندما أعاد الدكتور أنفها إلى مكانه . ثم يدي جون ، الكبيرتين والحنيتين ، وهما تخلعان ملابسها وتحميمانها ؛ ثم تزيلان بكل الحرص عن جسدها قاذورات الحمام لتصبح نظيفة ومعطرة . كما أنهما ، في النهاية ، صففتا شعرها في لين وأنامتاها في سرير بملاءات منشة .

إن هاتين اليدين أنقذتاها من الرعب وهي لن تنسى ذلك أبداً .

يوماً ما ، عندما تصبح لديها الرغبة في الكلام ، فإنها تفضل الإفصاح لجون عن ذلك ؛ أما الآن فتفضل الصمت . كان لديها الكثير من الأمور التي عليها أن ترتبها في ذهنها ولا تجد الكلمات للتعبير عما كان يختمر في داخلها منذ أن تركت المزرعة . كانت تشعر بأنها مشوشة . ففي الأيام الأولى لم ترد حتى الخروج من حجرتها ؛ وكانت تحمل إليها الطعام إلى هناك كاتي ، وهي سيدة أمريكية في السبعين من عمرها ، كانت إضافة إلى تولي أمور المطبخ تسهر على رعاية أليكس ، الابن الصغير للدكتور . فقد

ماتت أمه عند ولادته. كانت تيتا تسمع أليكس يضحك ويحب
الفناء ركضاً ولا ترغب في التعرف عليه.

أحياناً، لم تكن تيتا حتى تذوق الطعام، كان ماسخاً ولا
يعجبها. كانت تفضل على الأكل قضاء ساعات طويلة تنظر إلى
يديها. كانت تتأملهما كطفل وتسلم بأنهما يداها. كانت تستطيع
تحريكهما كما تشاء ولكنها لم تكن تعرف بعد ماذا تفعل بهما،
فضلاً عن الغزل. لم يكن أمامها وقت من قبل للتوقف والتفكير
في مثل هذه الأشياء. فبجوار أمها كان ما على يديها أن تفعله
محددًا بجفاء، بلا أدنى شكوى. كان عليها الاستيقاظ وارتداء
ملابسها وإشعال النار في المدفأة وإعداد الإفطار وإطعام البهائم
وغسل الأواني وترتيب الأسرة وإعداد الغداء وغسل الأواني وكي
الملابس وإعداد العشاء وغسل الأواني، يوماً بعد يوم، عاماً بعد
عام. دون التوقف لحظة ودون التفكير فيما إذا كان ذلك
يناسبهما. وعند رؤيتهما الآن متحررتين من أوامر أمها لم تكن
تعرف ماذا تطلب منهما أن تفعله، فلم تكن هي قد قررت ذلك
قط. كانتا تستطيعان القيام بأي شيء أو التحول إلى أي شيء.
لو تستطيعان التحول إلى طائر وتحلقان! كانت تريد أن تحملها
بعيداً، إلى أعلى ارتفاع ممكن. اقتربت من النافذة المطلة على
الفناء ورفعت يديها إلى السماء، كانت تريد الهروب من نفسها،
لم تكن ترغب في العودة إلى الكلام. لم تكن ترغب في أن
تصرخ كلماتها بألمها.

رغبت من كل قلبها أن تعلو يداها. ظلت فترة طويلة هكذا وهي ترى الخلفية الزرقاء للسماء من خلف يديها الساكنتين. اعتقدت تيتا أن المعجزة تتحول إلى حقيقة عندما لاحظت أن أصابعها بدأت في التحول إلى بخار خفيف يرتفع في السماء. تأهبت للصعود تجذبها قوة عليا، ولكن لا شيء من ذلك حدث. اكتشفت، يائسة، أن الدخان لم يكن يخصها.

كان الدخان صادراً من حجرة صغيرة في نهاية الفناء. كانت مدخنة تشر في الجو رائحة زكية للغاية ومألوفة في نفس الوقت جعلتها تفتح النافذة حتى تتمكن من استنشاقها بعمق. رأت نفسها وهي مغمضة العينين جالسة بجوار ناتشا في حجرة المطبخ وهما تصنعان عجة الذرة: رأت الإناء؛ حيث كان يطهى به أكلة من أزكى الروائح وكانت بجانبها الفاصوليا تطلق أول غليان لها... وبلا تردد قررت الذهاب للبحث عن كان يطهو. لم يكن الأمر يتعلق بكاتي. فالشخص الذي كانت تنبعث من طهوه تلك الرائحة كان يجيد الطهو بالفعل. كانت تيتا تشعر بأنها وجدت نفسها في ذلك الشخص دون أن تراه، أياً كان.

عبرت الفناء بعزم، فتحت الباب فوجدت امرأة لطيفة في حوالي الثمانين من عمرها. كانت شديدة الشبه بناتشا، وتغطي رأسها ضفيرة هجين طويلة وتمسح عرق جبهتها بمرولتها. كان لوجهها ملامح واضحة لأهل البلد الأصليين. كانت تغلي شايًا في إناء من الفخار.

رفعت بصرها وابتسمت لها بلطف داعية إياها للجلوس بجوارها. فعلت تيتا ما طلبت. قدمت لها في الحال فنجاناً من ذلك الشاي اللذيذ.

احتسته تيتا على مهل، مستمتعة إلى أقصى حد بمذاق تلك الأعشاب المجهولة والمعروفة في نفس الوقت. يا للإحساس الشديد بالمتعة الناشيء عن حرارة وطعم هذا المنقوع.

لبثت وقتاً طويلاً بجوار هذه السيدة. لم تكن هي الأخرى تتحدث، بيد أن ذلك لم يكن ضرورياً. فمنذ البداية قام بينهما اتصال مداه أبعد من الكلمات.

كانت تزورها يومياً منذ ذلك اليوم. ولكن، شيئاً فشيئاً، بدأ الدكتور براون يظهر بدلاً منها. تعجبت لذلك في المرة الأولى. فلم تكن تنتظر أن تجده هناك ولا التغييرات التي أحدثها في ديكور المكان.

توجد الآن أجهزة علمية كثيرة، أنابيب اختبار، مصابيح، ترمومترات، إلخ. فقدت المدفأة مكانها المعتاد لتحتل حيزاً صغيراً في ركن من الحجرة. شعرت بأن إهمال المدفأة على ذلك النحو لم يكن من الصواب في شيء لكنها، لعدم رغبتها في أن تحدث شفتها أدنى صوت، احتفظت برأيها في هذا الأمر إلى ما بعد بجانب السؤال عن مكان وهوية هذه المرأة. وكان عليها أيضاً أن تعترف بأنها كانت تستمتع كثيراً برفقة جون. كان الفارق الوحيد

أنه كان بالفعل يتكلم، وبدلاً من الطهي كان يجرب نظرياته علمياً.

كان قد ورث هواية إجراء التجارب هذه عن جدته، وهي هندية من كيكابو كان جده اختطفها وحملها للعيش معه بعيداً عن قبيلتها. وبالرغم من كل شيء ومن أنه تزوج منها، لم تقبلها قط عائلة الجد الأريكية الخالصة والمتغترسة كزوجة شرعية. عندئذٍ بنى لها الجد هذه الحجرة في الجانب الخلفي من البيت حيث كان بمسئطاع الجدة أن تمضي معظم فترة النهار في القيام بالنشاط الذي يشغل اهتمامها أكثر: إجراء التجارب على الخواص العلاجية للنباتات.

كما كانت هذه الحجرة ملجأً لها من إهانات أسرته. وفي مقدمة هذه الإهانات أنهم أطلقوا عليها لقب "الكيكابو" بدلاً من أن ينادوها باسمها الحقيقي، معتقدين بذلك أنهم سوف يضايقونها بشدة. وبالنسبة إلى عائلة براون، كانت كلمة "كيكابو" تشمل كل ما هو كريه في هذا العالم، ولكنها لم تكن كذلك عند "ضوء الفجر". كانت تعني لها العكس تماماً وكانت مدعاة لبالغ الفخر.

كان هذا مثلاً بسيطاً للاختلاف الكبير في الآراء والمفاهيم بين ممثلي ثقافتين على درجة كبيرة من التباين كانت تحول دون شعور عائلة براون بالرغبة في مقارنة عادات وتقاليد "ضوء

الفجر". كان يجب أن تمر سنوات قبل أن يولجوا قليلاً في ثقافة الـ "كيكابو". وكان ذلك حين أصيب بيتر، جد جون لأبيه، بمرض شديد في الشعب الهوائية. كانت نوبات السعال تحيل لونه دائماً إلى البنفسجي. لم يكن الهواء يدخل رتثيه بسهولة. وكانت زوجته ماري، الملمة بالمعارف الطبية لكونها ابنة طبيب، تعلم أن جسم المريض في مثل هذه الحالات ينتج أكبر قدر ممكن من كرات الدم الحمراء؛ ولمقاومة هذا القصور كان ينصح بفصد الدم للحيلولة دون الإصابة بذبحة أو جلطة؛ لأن أياً منهما قد تودي بحياة المريض.

عندئذ، بدأت ماري جدة جون في إعداد العلق الذي ستقوم به بعمل بذل لزوجها. كانت تشعر وهي تقوم بذلك بزهو كبير لكونها ملمة بأفضل المعارف العلمية والتي تسمح لها برعاية صحة أسرتها بطريقة حديثة ومناسبة، وليس بالأعشاب مثل الـ "كيكابو"!

يوضع العلق في كوب مع ٩ مم ٣ ماء لمدة ساعة. وتغسل منطقة الجسم التي سوف يبذل منها الدم بماء فاتر مسكر. في أثناء ذلك يوضع العلق في قطعة قماش نظيفة من الكتان أو القطن وتلف به. ثم توضع فوق المنطقة التي سوف يعلقون منها مع سندھا جيداً بقطعة القماش ومحاولة ضبطها حتى لا تلدغ في مكان آخر. وإذا كانت هنالك رغبة بعد نزعها في سحب دماء

أخرى فيتم ذلك عن طريق التدليك بماء ساخن . ولوقف الدم والتنام الشقوق فإنها تغطى بصوفان الحور أو بقطعة قماش ثم توضع لبخة من لبابة الخبز والحليب ولا ترفع إلا بعد أن تكون التشققات قد التأمت تماماً.

فعلت ماري كل ذلك حرفياً ولكنهم عندما رفعوا العلق عن ذراع بيتر بدأ ينزف ولم يتمكنوا من وقف النزيف . وحين سمعت الـ "كيكابو" صيحات اليأس المنبعثة من البيت أسرعت لترى ما يجري . وفي لحظة اقتربت من المريض وما إن وضعت إحدى يديها على الجروح حتى توقف النزيف . بقي الجميع في ذهول . حيثئذ رجتهم أن يتركوها وحدها مع المريض . لم يجرؤ أحد على الرفض بعد ما شاهدوه لتوهم . أمضت طوال المساء بجوار حميها وهي تغني له أغنيات غربية وتضع له لبخة من الأعشاب بين دخان البخور والكوباليه التي أشعلتها . مكثت حتى جن الليل ثم فتحت باب حجرة النوم وخرجت محوطة بسحب من البخور؛ وظهر خلفها بيتر وهو معافى تماماً.

منذ ذلك اليوم أصبحت الـ "كيكابو" طبيبة العائلة واعترُف بها تماماً كشافية لها معجزاتها بين الجالية الأمريكية . أراد الجد أن يبنى لها مكاناً أكبر لإجراء تجاربها لكنها رفضت . فلم يكن هنالك مكان في البيت أسمى من معملها الصغير . وأمضى جون فيه الجزء الأكبر من طفولته وفترة المراهقة . وعندما دخل الجامعة كف

عن التردد عليه وذلك لأن النظريات الحديثة التي كانوا يدرسونها له هناك كانت تتعارض بشكل كبير مع نظريات جدته ومع ما تعلمه هو منها. وحمل تقدم الطب جون إلى العودة شيئاً فشيئاً إلى المعارف التي لقيتها له جدته في بداياته، والآن، وبعد سنوات كثيرة من العمل والدراسة، كان يعود إلى المعمل مقتنعاً بأنه هناك فقط سوف يجد آخر ما توصل إليه الطب وهو شيء يمكن أن يكون من المعارف العامة ولكنه كان يستطيع أن يختبر علمياً كل الوسائل العلاجية المعجزة التي كانت "ضوء الفجر" قد حققها.

كانت تيتا تستمتع للغاية برؤيته وهو يعمل. فكانت معه تجد دائماً أشياء لتعلمها واكتشافها. مثلما حدث الآن، فكان وهو يصنع أعواد الثقاب يعطيها درساً بكل أستاذية في الفوسفور وخواصه.

- في عام ١٦٦٩ اكتشف براندت، وهو كيميائي من هامبورج، الفوسفور أثناء بحثه عن أكسيد حجر الفلاشفة. كان يعتقد أنه باتحاد خلاصة البول مع معدن ما يمكن تحويله إلى ذهب. ولكن ما حصل عليه كان جسماً مضيئاً إضاءة ذاتية، كان يسطع بنشاط غير معروف وقتئذ. وبعد وقت طويل تم الحصول على الفوسفور بالتكليس الشديد لبقايا بخار البول في أنبوب ملتوي من الطين كان يغمر عنقه في الماء. أما اليوم فيستخرج من عظام الحيوانات التي تحتوي على أكسيد الفوسفور والكلس.

لم يكن الطبيب يغفل، لكونه يتحدث، عملية تحضير الفوسفور. وكان يفصل النشاط الذهني عن الفيزيائي بلا أي مشاكل. كان يستطيع حتى التفلسف في مظاهر عميقة جداً في الحياة دون أن تخطيء يده أو تتوقف لحظة. وبذلك يستطيع مواصلة عملية تصنيع الثقاب وهو يتحدث مع تيتا.

- وبعد الحصول على عجينة الفوسفور فإن الخطوة التالية هي تحضير الكرتون لعيدان الثقاب. يذاب في حوالي نصف لتر من الماء رطل من ملح البارود ويضاف إليه قليل من الزعفران ليكسبه لوناً ويتم غسل الكرتون في المحلول. عندما يجف يقطع إلى أشرطة صغيرة يوضع في أطرافها قليل من العجين. ثم تترك لتجف مدفونة في الرمل.

وبينما كانت الأشرطة الصغيرة تجف قام الطبيب بتجربة لتيتا.

- بالرغم من أن الفوسفور لا يحترق مع الأكسجين في درجة الحرارة العادية، فإنه قابل للاشتعال بسرعة كبيرة في درجة حرارة مرتفعة، انظري...

ادخل الدكتور قطعة صغيرة من الفوسفور داخل أنبوب مغلق من أحد طرفيه وملئ بالزئبق. ثم صهر الفوسفور بتقريب الأنبوب من شعلة شمعة. ثم بعد ذلك بواسطة ناقوس تجارب

مليء بغاز الأكسجين قام بإمرار الغاز إلى الناقوس قليلاً قليلاً .
وعندما وصل غاز الأكسجين إلى المنطقة العليا من الوعاء حيث
يوجد الفوسفور المصهور، حدث احتراق نشط وخاطف، خطف
بصرهما كما لو كان برقاً.

- كما ترين، كلنا نملك في داخلنا العناصر اللازمة لإنتاج
الفوسفور. بل دعيني أخبرك بشيء لم أأتمن عليه أحد. كانت
لجدتي نظرية هامة جداً، كانت تقول إذا كنا جميعاً نولد بعلبة
كبريت في داخلنا فإننا لا نستطيع أن نشعلها وحدنا، نحتاج،
مثلاً في التجربة، إلى أكسجين وشمعة. إلا أن الأكسجين، في
هذه الحالة، ينبغي أن يستمد من أنفاس المحبوب؛ والشمعة يمكن
أن تكون أي نوع من الغذاء، موسيقى، لمسة حب، كلمة، صوت
يطلق صمام التفجير وهكذا يشتعل عود الثقاب. نشعر للحظة
أننا نشعل بعاطفة قوية. وينشأ في داخلنا دفء ممتع يبدأ في
الاختفاء تدريجياً تبعاً لمرور الزمن، إلى أن يأتي انفجار جديد
لينشطه. وعلى كل إنسان أن يكتشف ما هي صمامات تفجيره
ليستطيع الحياة، فإن الوقود الناتج عن اشتعال أحدها هو الذي
يغذي الروح بالطاقة. بمعنى آخر، إن هذا الوقود هو غذاؤها.
فإذا لم يكتشف المرء في الوقت المناسب صمامات تفجيره الذاتي،
فإن أعواد الثقاب تندى ولا نستطيع عندئذ إشعال ثقاب واحد.

إذا حدث ذلك فإن الروح تفر من جسدنا وتهيم في دياجير

الظلام محاولة في غير جدوى لإيجاد غذاء لذاتها، جاهلة أن الجسد الذي تركته أعزل، مترعاً بالبرودة، هو وحده القادر على إعطائه لها.

كم كانت هذه الكلمات حقيقية! لو كان هنالك من يعلم ذلك فإنها هي.

من سوء طالعها كان عليها أن تعترف بأن ثقابها مليئة بالعفن والرطوبة. لا أحد يستطيع العودة إلى إشعال ثقاب واحد. والمؤسف أنها كانت تعرف بالفعل ما هي صمامات إشعالها، لكنها في كل مرة تمكنت فيها من إشعال ثقاب كانوا يطفئونه بلا رحمة.

ساور جون القلق، وكأنه يقرأ أفكارها:

- لذلك يجب أن نظل بمنأى عن الأشخاص ذوي الأنفاس الجليدية. إن وجودهم يمكن أن يطفىء أشد النيران كثافة. فستبعاً للنتائج التي عرفناها، كلما ابتعدنا عن هؤلاء الأشخاص، كانت حمايتنا أسهل من نفحته. - وأضاف بدمائة وهو يأخذ إحدى يدي تيتا بين يديه: - هنالك طرق كثيرة للبدء في تخفيف علبة ثقاب رطبة. لكن تأكدي من أن هناك علاجاً لذلك.

سمحت تيتا لبعض الدموع بأن تنساب على وجهها. مسحها جون بمنديله في رقة.

- وبالطبع يجب أيضاً الحرص الشديد عند إشعال الثقاب

على أن يكون عوداً بعد عود. لأنه لو أدت عاطفة قوية إلى اشتعالها كلها مرة واحدة فإنها تحدث بريقاً قوياً جداً يضيء أبعد مما نستطيع رؤيته بشكل عادي، وعندئذ يظهر أمامنا نفق مضيء يشير لنا إلى الطريق الذي نسيناه عند مولدنا والذي ينادينا للعودة إلى اللقاء بأصلنا الإلهي الضائع. تشاق الروح إلى العودة إلى مصدر نشأتها تاركة الجسد جامداً. . . منذ ماتت جدتي وأنا أحاول أن أثبت علمياً هذه النظرية. ربما أحقق ذلك يوماً. ما رأيك؟

ظل الدكتور براون صامتاً، لإعطاء تيتا وقتاً لتقول شيئاً لو كانت ترغب في ذلك. لكن صمتها كان كالحجر.

- حسنٌ، لا أريدك أن تملّي من حديثي. هيا لنسترح ولكن قبل أن نذهب أريد أن أريك لعبة كنا نمارسها أنا وجدتي كثيراً. كنا نقضي هنا معظم النهار وكانت تنقل لي عن طريق الألعاب كل معارفها. كانت امرأة صموتاً، مثلك. كانت تجلس أمام تلك المدفأة بصفيرتها الكبيرة الملتفة فوق رأسها واعتادت دائماً أن تتكهن بما كنت أفكر فيه. كنت أرغب في تعلم ذلك وبعد إصرار شديد أعطتني أول درس. كانت تكتب دون أن أراها جملة على الحائط بمادة غير مرئية. وفي الليل عندما كنت أرى الحائط، كنت أتكهن بما كتبه. هل تريدان أن نقوم بالتجربة؟

بهذه المعلومة أدركت تيتا أن المرأة التي جلست معها مرات عديدة كانت جدة جون الراحلة. لم يكن عليها أن تسأل في

ذلك . أخذ الدكتور قطعة من الفوسفور بريشة وأعطائها لتيثا .

- لا أريد كسر قانون الصمت الذي فرضته على نفسك .
ولكنني سوف أطلب منك كسر بيننا أن تقومي بمجرد خروجي
بكتابة أسباب امتناعك عن الكلام على هذه الحائط ، اتفقنا؟ وغداً
سوف أتكهن بها أمامك .

وبالطبع أخفى الدكتور على تيثا أن إحدى خصائص
الفوسفور أنه سيضيء في الليل ما ستكتبه على الحائط . وواضح
أنه لم يكن يحتاج هذه الحيلة لمعرفة ما كانت تفكر فيه ، ولكنه
كان واثقاً من أنها سوف تكون بداية طيبة لكي تبدأ تيثا من جديد
اتصالاً واعياً بالعالم ، حتى لو كان ذلك عبر الكتابة . كان جون
يشعر أنها أصبحت مهياة لذلك . بعد أن خرج الدكتور ، تناولت
تيثا الفوسفور واقتربت من الحائط .

وفي الليل ، عندما دخل جون براون المعمل ابتسم برضى
عندما رأى مكتوباً على الحائط بحروف ثابتة وفوسفورية لأنني لا
أريد . بهذه الكلمات الثلاث كانت تيثا قد بدأت أول خطوة نحو
الحرية .

وفي أثناء ذلك ، لم تكن تيثا وعيناها مثبتتان على الحائط
تستطيع أن تتوقف عن التفكير في كلمات جون : هل من الممكن
جعل روحها تنتفض من جديد؟ رغبت في ذلك بكل كيانها .

كان عليها أن تجد أحداً يستطيع أن يشعل فيها هذه الرغبة .

وماذا لو كان ذلك الشخص هو جون؟ تذكرت الإحساس
الممتع الذي سرى في جسدها عندما أخذها من يدها إلى العمل .
كلا . لم تكن تعرفه . الشيء الوحيد الذي كانت مقتنعة به هو
أنها لم تكن تريد العودة إلى المزرعة . لم تكن ترغب في العيش
بالقرب من ماما إيلينا بعد ذلك مطلقاً .

الفصل السابع

يوليو

حساء عكاوى الغنم

المقادير:

٢ عكاوى غنم - بصلة - فصان - فصان من الثوم - ٤
ثمرات من الخيتوماتس (كاكا)^(١٨) Jitomates - ١/٤ كجم
من اللوييا الخضراء - ٢ ثمرة من البابا - ٤ ثمرات من
الفلف الأحمر الحار

(١٨) ثمرة دائرية قطرها من ٦ إلى ٨ سم، لونها أحمر ويجلد لامع، وهي تستخدم بكثرة في
عمل أطباق مختلفة و صلصات مكسيكية مميزة.

طريقة العمل

توضع العكاوى المقطعة مع قطعة من البصل وفص ثوم وملح وفلفل حسب الذوق على النار لتطهى. من المناسب وضع كمية من الماء أكثر من التي تستخدم عادة في عمل حساء اللحم بالخضار واضعين في الاعتبار أننا سنعد حساءً. وحساء جيد يعتد به يجب أن يكون كثير المرق دون أن يصل إلى درجة الميوعة.

إن الحساء يمكن أن يشفى أى مرض جسدى أو عقلى، حسناً، كان ذلك على الأقل اعتقاد تشييتشا و تيتا، التى ظلت لوقت طويل لا تصدقه بالشكل الكافى. الآن لم يكن أمامها إلا قبوله كاعتقاد مؤكد.

كان ذلك منذ ثلاثة أشهر، فعندما ذقت ملعقة من الحساء الذى كانت قد أعدته تشييتشا وحملته لها إلى منزل الدكتور جون بروان، استعادت تيتا كل رشدها.

كانت مستندة إلى زجاج النافذة تنظر من خلالها إلى أليكس

ابن جون وهو يجرى فى الفناء خلف بعض الحمام.

سمعت خطوات جون وهو يصعد الدرج، كانت تنتظر بشوق زيارته المعتادة. كانت كلمات جون هى صلتها الوحيدة بالعالم. لو كان باستطاعتها الكلام لقاتلته له كم كان مهماً بالنسبة لها وجوده وحديثه. لو كان باستطاعتها النزول و تقبيل أليكس، تقبيلها لابن لم تلده وأن تلعب معه حتى التعب، لو كان باستطاعتها أن تذكر كيف تطهو حتى لو بيضتين، لو كان باستطاعتها تذوق أى طبق كان، لو كان باستطاعتها. . . العودة إلى الحياة. أحست برائحة أرجفتها. كانت رائحة غريبة على هذا البيت. فتح جون الباب وظهر بصينية فى يديه و طبق به حساء عكاوى غنم!

حساء عكاوى الغنم! شئ لا يمكن تصديقه. وخلف جون دخلت تشيتشا غارقة فى دموعها. كان العناق بينهما قصيراً حتى لا يبرد الحساء. عندما تناولت أول رشفة اقتربت ناتشا منها وداعبت رأسها وهى تأكل، كما كانت تفعل عند مرضها وهى طفلة، وقبلتها عدة مرات فى جبهتها. كان هناك، بجانب ناتشا، لعب طفولتها فى المطبخ، الخروج إلى السوق، عجة البيض المطهية لتوها، بذور التشاباكانو الملونة، كعك أعياد الميلاد، بيتها، رائحة الحليب المغلى، وحلو القشدة وكوكيل المشروبات والكمون والثوم و البصل. والمعتاد طوال حياتها؛ فإنها ما أن شعرت

بالرائحة المنبعثة من البصل حتى ظهرت دموعها . بكت كما لم تبك من قبل منذ مولدها . كم أفادتها ملازمتها الطويلة لناتشا . كما كان يحدث فى الزمن الماضى ، وناتشا مازالت على قيد الحياة وقد أعدتا سوياً مرات بلا نهاية حساء العكاوى . ضحكنا وهما تحييان تلك اللحظات وبكتا عند تذكر الخطوات المتبعة لإعداد هذه الوصفة . أخيراً استطاعت أن تتذكر وصفة أكلة ، عندما تذكرت أول خطوة فيها وهى بشر البصلة .

تفرم البصلة و الثوم جيداً ويوضعان على النار ليحمرافى قليل من الزيت ، بعد أن يحمرافى يضاف إليهما البابا و اللوبيا الخضراء و الخيتوماتيه المفرومة ويترك الخليط حتى ينضج .

قطع جون هذه الذكريات عندما دخل فجأة الحجرة و هو منززع نتيجة رؤيته لنهير صغير ينحدر على السلم .

عندما انتبه إلى أنهادموع تيتا شكر تشيتشا وحساء العكاوى الذى أعدته لأنهما استطاعا تحقيق ما لم يستطيع أى دواء تحقيقه : أن تبكى تيتا بذلك الشكل . حزناً لتدخله ، هم بالخروج من الحجرة . حال دون ذلك صوت تيتا . ذلك الصوت الطرب الذى لم ينطق بكلمة طوال ستة أشهر .

- جون! لا تذهب .

بقى جون بجوارها وشاهد كيف انتقلت تيتا من الدموع إلى

الابتسام عندما سمعت من قم تشيتشا كل أنواع النكات و
المصائب. وهكذا علم الدكتور أن ماما إيلينا قد حرمت زيارة
تيتا. ففي عائلة دى لا جارثا كان يمكن أن تغتفر بعض الأشياء،
ولكن لا يغتفر بالمرّة عقوق ولا مناقشة تصرفات الأبوين. فلن
تغفر ماما إيلينا أبداً لتيتا، مجنونة كانت أم لا، أنها حملتها ذنب
موت حفيدها. ونفس الشيء مع خيرتروديس التي كانت تجزع من
مجرد أن ينطق اسمها. ومما لاشك فيه أن نيكولاس كان قد عاد
منذ فترة قصيرة بأخبار عنها.

كان قد وجدها بالفعل تعمل فى بيت دعارة، كان قد حمل
لها ملابسها وقامت هى بإرسال رسالة إلى تيتا. أعطتها لها
تشيتشا وقرأتها تيتا فى صمت:

عزيزتى تيتا:

لن تعرفى مدى شكرى لك لقيامك بإرسال ملابسى. من
حسن الحظ أننى كنت ما أزال هنا واستطعت استلامها. سأترك
غداً هذا المكان لأنه ليس مكانى. لا أعرف حتى الآن أى مكان
يكون لكنى أعرف أنه فى جهة ما على أن أجد مكاناً مناسباً لى.
إذا كنت قد حللت هنا فلأننى كنت أشعر بنار قوية تحرقنى
داخلياً، إن الرجل الذى التقطنى فى الحقل قد أنقذ حياتى
بالفعل. ياليتنى أقابله ثانية يوماً ما. لقد تركنى لأن قواه كانت
تخور بجوارى دون أن يستطيع إطفاء نارى الداخلية. وأخيراً وبعد

أن مر عليّ عدد لانهاى من الرجال، فإننى أشعر براحة كبيرة.
ربما أعود يوماً إلى البيت وأستطيع أن أشرح لك الأمر.

أختك التى تحبك خيرتروديس

حفظت تيتا الرسالة فى جيب فستانها ولم تبد أدنى تعليق.
وأما أن تشيتشا لم تسألها أى شئ عن محتوى الرسالة المشار إليها
فلأنها كانت قد قرأتها بالطبع كلمة كلمة.

بعد ذلك قام كل من تشيتشا وجون بتجفيف حجرة النوم و
السلم و الدور الأرضى.

وعند لحظة الوداع أبلغت تيتا تشيتشا قرارها بعدم العودة
مطلقاً إلى المزرعة وطلبت منها أن تعرف أمها ذلك. وبينما كانت
تشيتشا تعبر للمرة التى لا حصر لها الجسر الذى بين ايجل باس
وييدراس لجراس، كانت تفكر بلا انتباه فى أفضل طريقة لنقل
الخبر إلى ماما إيلينا. أوقف تفكيرها حراس البلديتين فقد كانوا
يعرفونها منذ أن كانت طفلة. إضافة إلى أنهم كانوا يتسلون
برؤيتها وهى تسير من جهة إلى أخرى وهى تحدث نفسها وتقرض
عصابة رأسها. شعرت تشيتشا بأن براعتها فى الاختلاق قد شلت
من الرعب.

فأى رواية سوف تحكيها ستغضب بالتأكيد ماما إيلينا. كان
عليها أن تخلق واحدة بحيث تخرج بها هي على الأقل سالمة

تماماً. ولتحقيق ذلك كان عليها أن تجد حجة تبرر بها زيارتها لتيثا. لكن ماما إيلينا لن تنظلي عليها أى منها. هذا لو لم تكن على علم بها أصلاً! كانت تحسد تيثا لأنها امتلكت الشجاعة لعدم العودة إلى المزرعة. ليتها تستطيع فعل نفس الشيء هى أيضاً، ولكنها لم تكن تجرؤ. فمئذ طفولتها وهى تسمع عن سوء عاقبة النساء اللاتى يعصين آباءهن أو أسيادهن ويهربن من البيت. فإن نهايتهن تكون بالتمرغ فى قارعة طريق الحياة الفاجرة الدنس. ظلت تدبر وتدبر مهماتها فى عصبية، محاولة أن تعتصر أفضل كذباتها لهذه اللحظات. ولم تخذلها من قبل مطلقاً. كانت مع مهمتها المائة تجد الكذبة المواتية للمناسبة. كان الكذب عندها ممارسة للنجاة تعلمتها منذ وصولها إلى المزرعة. كان أفضل لها بكثير أن تقول إن الأب إجنائيو جعلها تجمع الصدقات على الاعتراف بأن الحليب قد طرح منها نتيجة لثرثرتها فى السوق، فقد كان العقاب الذي تجلبه على نفسها مختلفاً تماماً.

كل شيء قد يكون حقيقة أو كذباً خالصاً. هذا يعتمد على تصديق الإنسان للأشياء إن كانت حقيقته أم لا. فمثلاً، كل ماكانت تتخيله عن مصير تيثا لم يكن حقيقياً.

فقد أمضت كل هذه الشهور مغمومة وهى تفكر فى الأهوال التى يمكن أن تمر بها وهى خارج مطبخ بيتها، محوطة بمجانين يصيحون ببذاءات وهى مكبلة بقميص المجانين وتأكّل من يدرى

أى صنف من الطعام، مرعوبة وهى خارج البيت. كانت تتخيل طعام مستشفى للمجانين وحقير سيتهى باضمحلها كأشوأ شىء فى الدنيا. والحقيقة أنها وجدت تيتا فى أحسن حال، لم تطأ قدمها قط مستشفى مجانين، كان واضحاً أنها تعامل أحسن معاملة فى منزل الدكتور ولم يكن هنالك أى طعام سئ بهذه الدرجة بل لقد لاحظت عليها زيادة فى وزنها. ولكن الصحيح هو أنها مهما أكلت فإنهم لم يقدموا لها قط مثل حساء العكاوى. كانت متأكدة جداً من ذلك بالفعل، والإ فلماذا بكت إلى هذه الدرجة عندما تناولته ؟

مسكينة تيتا، مؤكد أنها تبكى الآن من جديد لأنها تركتها، تؤلمها الذكريات والتفكير فى أنها لن تعود للطهى بجوار تشينتشا أبداً بعد اليوم. نعم، مؤكد أنها تعاني بشدة. لم يدر بخلدها قط تخيل ماكانت عليه حقيقة، جميلة للغاية، مشرقة بفستان من الساتان متموج الألوان بالدانتيل، وهى تتناول العشاء على ضوء القمر وتلقى اعترافاً بالحب. كان هذا بالنسبة لعقيلة معذبة ومبالغة كعقيلة تشينتشا شيئاً مفرطاً. كانت تيتا جالسة بالقرب من نار موقدة أسفل خنزير يشوى. وكان جون بروان بجوارها يعرض عليها الزواج. كانت تيتا قد وافقت على مصاحبة جون فى يوم للشواء فى المزرعة المجاورة احتفالاً بتمائلها للشفاء، وكان جون قد أهداها فستاناً رائعاً اشتراه منذ فترة من سان انطونيو بتكساس

لهذه المناسبة. كان تعدد ألوانه يذكرها بألوان رقاب الحمام ولكن بدون أي تداعيات مؤلة خاصة بذلك اليوم البعيد الذي حبست فيه في برج الحمام. كانت بصراحة قد شفيت تماماً ومعدة لبداية حياة جديدة بجوار جون، وطبعاً ارتباطهما بقبلة حانية. لم تشعر تيتا بنفس الإحساس عندما قبلها بيدرو، ولكنها كانت تأمل أن تتمكن روحها التي خبت لمدة طويلة من أن تستضاء، شيئاً فشيئاً، بقرب هذا الرجل الشديد الروعة.

وأخيراً وبعد أن سارت تشيئتشتا ثلاث ساعات اهتدت إلى الجواب! فقد وجدت، كعادتها دائماً، الكذبة المناسبة. ستقول لماما إيلينا إنها وهى تعبر إيجل باس وجدت فى ناصية متسولة بملايس قدرة ومزقة. وقد اخذتها الشفقة بها فاقتربت منها لإعطائها عشرة سنتات وأنها اكتشفت عندما ارتبكت أنها تيتا. فقد فرت من مستشفى الأمراض العقلية وهامت على وجهها فى الدنيا لتدفع بذلك ثمن سبها لأمها. وقد دعته للعودة ولكن تيتا رفضت. فإنها لم تكن تشعر بأنها جديرة بالعيش من جديد بجوار أم بهذه الطيبة وأنها طلبت منها معروفاً وهو أن تبلغ أمها أنها تحبها جداً وأنها لم تنسَ بالمرّة الكثير مما فعلته من أجلها وأنها تعدها بالعودة عندما تصبح امرأة صالحة إلى جوارها لمنح ماما إيلينا كل الحب و الاحترام اللذين تستحقهما.

كانت تشيئتشتا تشعر بفخر كبير بهذه الكذبة ولكن لسوء

الحظ لم تحققها. فعند وصولها للبيت فى تلك الليلة هاجمت مجموعة من قطاع الطرق المزرعة. وقاموا باغتصاب تشيتشا وعندما حاولت ماما إيلينا الدفاع عن شرفها تلقت ضربة قوية على ظهرها أدت إلى إصابتها بشلل نصفى أقعدها عن الحركة من منطقة الوسط حتى أسفل جسدها. وفى تلك الظروف لم تكن فى وضع يسمح لها بتلقى تلك النوعية من الأخبار ولا تشيتشا كانت فى حالة تسمح لها بإبلاغها بها.

من جهة أخرى كان من الخير أنها لم تخبرها بشئ، فبعودة تيتا إلى المزرعة لدى علمها بالمأساة، فإن كذبة الشفقة كانت ستكشف أمام الجمال الرائع و القوة اللذين كانا يشعان من تيتا. استقبلتها أمها بالصمت. ولأول مرة نظرت إليها تيتا نظرة ثابتة وسحبت ماما إيلينا نظرتها. فقد كان فى نظرة تيتا بريق غريب.

تجاهلت ماما إيلينا ابتها. وتبادلتا العتاب بدون كلمات وبهذا انقطع بينهما ما كان يعتبر حتى ذلك الوقت صلة الدم القوية والطاعة اللتين كانتا تجمعهما و لم تلتصبا أبداً. كانت تيتا تعلم جيداً أن أمها تشعر ببالغ الذل لأن عليها أن تقبل عودتها من جديد للبيت، وليس ذلك فقط، بل ولحاجتها إلى رعايتها حتى تستعيد قواها. لذلك حاولت بكل صدق رعايتها على أفضل نحو ممكن. كانت تعد بكل حرص الطعام لأمها وخاصة حساء العكاوى، مع صدق النية في أنه سيساعدها على استرداد عافيتها كما حدث معها.

أفرغت الحساء بعد نضجه مع البابا و اللوبيا الخضراء فى الإناء الذى وضعت فيه العكاوى لتنضج .

بعد إفراغها به يترك الخليط كله ليغلى لمدة نصف الساعة .
يرفع مباشرة من على النار ويقدم ساخناً جداً .

أعدت تيتا الحساء وصعدت به إلى أمها فى سلطانية رائعة من الفضة ومغطاة بفوطة من القطن المطرز بالشبيكة تطريزاً جميلاً والمبيض والمنشى تماماً .

كانت تيتا تنتظر بلهفة رد الفعل الإيجابى لأمها عندما تتناول أول رشفة، ولكن حدث العكس، فقد بصقت ماما إيلينا الطعام فوق مفرش السرير وطلبت من تيتا صائحةً أن تبعد عن بصرها مباشرة تلك السلطانية .

- لكن لماذا ؟

- لأنه مرّ بشكل مقزز، لا أريده! ألم تسمعينى ؟

وبدلاً من أن تطيعها أدارت ظهرها محاولة أن تخفى عن نظر أمها حالة الإحباط التى كانت تشعر بها . لم تفهم تصرف ماما إيلينا . لم تكن تفهمها بالمرة . كانت لا تستطيع أن تفهم كيف أن إنساناً، بصرف النظر عن صلة القرابة التى يمكن أن تربطه بغيره، يرفض، لمجرد الرفض، بتعال، وبطريقة فظة للغاية، رعاية ما . لأنها كانت متأكدة من أن الحساء كان لذيذاً . لقد ذاقته هى

بنفسها قبل أن تصعد به لها . كان لا يمكن أن يكون غير ذلك ، فقد أولته عناية كبيرة و هي تعده .

شعرت أنها غبية بالفعل لعودتها إلى المزرعة لرعاية أمها . كان من الأفضل أن تظل بمنزل جون بدون التفكير مطلقاً في المصير الذى يمكن أن توؤل إليه ماما إيلينا . ولكن وخز الضمير ماكان ليتركها . إن الطريقة الوحيدة للتحرر منها بالفعل تكون بموت ماما إيلينا وهو ما لا يُعرف موعده .

كانت تشعر بالرغبة فى الجرى بعيداً ، بعيداً جداً لحماية النار الداخلية القليلة التى جاهد جون للنجاح فى إشعالها من طلعة أمها الجليدية . كانت تشعر و كأن بصقة ماما إيلينا قد سقطت بالضبط فى وسط النار المبتدئة وأنها أطفأتها . كانت تعاني فى داخلها من آثار الانطفاء ؛ كان الدخان يصعد إلى حلقها ويتجمع حول نفسه مكوناً عقدة سميكة كانت تغيم لها الرؤية وتسيّل دموعها .

فتحت الباب بعنف و جرت فى نفس اللحظة التى كان جون قادماً فيها للقيام بزيارته الطبية . تصادما فى وقت غير ملائم . سندها جون بين ذراعيه فى الوقت المناسب لتفادى سقوطها . أنقذها عناقه الدافئ من التجمد ، كانت لحظات التى ظلا فيها متحدين ولكنها كانت كافية لتقوية روحها من جديد . كانت تيتا قد بدأت فى الشك فيما إذا كان شعور الأمان و الأمن

الذى كان جون يمنحه لها هو الحب الحقيقى وليس شعور اللوعة
و العذاب الذى كانت تشعر به بجوار بيدرو. انفصلت بجهد شديد
عن جون وخرجت من غرفة النوم.

- تيتا! تعالى هنا. لقد قلت لك إنك سوف تتحملين
ذلك!

- دونيا إيلينا، أرجوك لا تغضبى من ذلك، فهذا يضرک.
سوف أبعد تلك السلطانية، ولكن أخبرينى، أليست لديك الرغبة
فى تناول الطعام؟

طلبت ماما إيلينا من الدكتور إغلاق الباب بالمفتاح وفى شبه
تكنم أفضت له بجزعها بشأن ما يتعلق بمرارة الطعام. أجابها
جون بأنه ربما كان ذلك نتيجة تأثير الأدوية التى كانت تتناولها.

- بالمرّة يادكتور، لو كان من الدواء لظل هذا الطعم فى
فمى وليس هكذا. إنهم يدسون لى شيئاً فى الطعام. والغريب أن
ذلك منذ عودة تيتا. أريدك أن تختبره.

اقترب جون، وهو يبتسم أمام التعليمات الخبيثة، ليجرب
حساء العكاوى الذى أحضروه لها و الذى كان لم يمس فى
السلطانية.

- لئلا، سنكتشف ماذا يضعون لك فى الطعام. مم!
ياللذة! إن بهذا لوييا خضراء وبابا وفلفل حار و.. لا أستطيع أن
أميز جيداً.. أى نوع من اللحم هو؟

- لست فى حالة تسمح بالمزاح ، ألا تشعر بطعم مر ؟
- نعم ، يا دونيا إيلينا ، البسة . لكن إذا أردت سأرسله
للتحليل . أنا لا أريدك أن تقلقى . ولكن بينما يرسلون لى بالتائج
يجب أن تأكلى .

- أرسل لى إذن طاهية جيدة .
- لكن كيف ولديك فى المنزل أفضل واحدة ؟ لقد نما إلى
علمى أن ابتكت تيتا طبخة غير عادية ! يوماً ما سوف أطلب منك
يدها .

- أنت تعلم أنها لا تستطيع الزواج ! - صاحت وهى أسيرة
هياج حائق .

صمت جون . لم يكن من المناسب إثارة ماما إيلينا أكثر .
ولا كان متأكداً من اقتناعه التام بأنه سيتزوج تيتا بإذنها أو بغير
إذنها . كان يعلم أيضاً أنه لا يبالى كثيراً بمصير تيتا المحال حالياً
وأنها حين تبلغ الثامنة عشرة سوف يتزوجان . أنهى زيارته بأن
طلب من ماما إيلينا الهدوء واعدأ إياها بأنه سوف يرسل لها فى
اليوم التالى طاهية جديدة . وفعل ذلك ولكن ماما إيلينا لم تفضل
حتى باستقبالها . فقد كان حوار الدكتور حول طلب يد تيتا قد
فتح عينها .

مؤكد أن هناك علاقة عاطفية بين الاثنين .
كانت تشك منذ وقت طويل أن تيتا كانت ترغب فى

اختفائها من هذه الدنيا لكي تستطيع بذلك الزواج بحرية، ليس مرة واحدة و إنما ألف مرة إذا رغبت في ذلك. كانت تدرك هذه الرغبة بينهما كحقيقة مؤكدة، في كل احتكاك، كل كلمة، كل نظرة. لكن الآن ليس لديها أدنى شك في أن تيتا كانت تحاول أن تسمها قليلاً بقليل لتستطيع الزواج من دكتور بروان. وعليه، فإنها منذ ذلك اليوم رفضت بشكل قاطع أن تأكل أى شئ يكون من طهى تيتا. أمرت تشينتشا بأن تتولى عملية إعداد طعامها. هي فقط ولا أحد غيرها كان يستطيع تقديم الطعام لها وكان عليها أن تذوقه أمامها قبل أن تقدم ماما إيلينا على أكله.

لم يؤثر الأمر الجديد على تيتا فى شئ بل على العكس كان راحة بالنسبة لها تكليف تشينتشا بالواجب الشاق الخاص برعاية أمها وهكذا يكون لديها مطلق الحرية للبدء فى تطريز ملاءات جهاز عرسها. كانت قد قررت الزواج من جون عندما تتحسن حالة أمها.

كانت تشينتشا هي التي وجدت نفسها متأثرة بهذا الأمر. فقد كانت ماتزال تستعيد قواها البدنية و الانفعالية نتيجة الاعتداء الوحشى الذى استهدفها. وبالرغم من أنها كانت تبدو ظاهرياً مستفيدة، لأنها لن يكون عليها سوى طهى الطعام و حمله لماما إيلينا، إلا أنها لم تكن كذلك. استقبلت النبأ فى البداية بسرور، ولكن ما أن بدأ الصراخ والتأنيب حتى تنبعت إلى أنه لا توجد

حلاوة بدون نار. وكان أن ذهبت يوماً إلى الدكتور جون بروان ليزيل عنها خيوط الجرح التي اضطر إلى عملها لها لإصابتها بتهتك خلال الاغتصاب، فقامت تيتا بإعداد الطعام مكانها.

اعتقدتا أن بإمكانهما خداع ماما إيلينا بدون أى مشكلة. ولدى عودتها قامت تشييتشا بحمل الطعام لها وذاقته كما كانت تفعل دائماً ولكنها عندما قدمته لها لتأكله هي، اكتشفت ماما إيلينا في الحال الطعم المر. فألقت بالسلطانية على الأرض بغضب وطردت تشييتشا من البيت لمحاولتها الاستهزاء بها.

استغلت تشييتشا هذه الحجة لقضاء بضعة أيام في قريتها. كانت تحتاج إلى نسيان حادثة الاغتصاب ووجود ماما إيلينا. حاولت تيتا أن تقنعها بعدم الاهتمام بما قالت ماما إيلينا.

فإنها تعرفها منذ سنوات بعيدة و تعرف تماماً كيف تسوسها. - نعم يابنتي، لكن لماذا أجلب على نفسي مرارة أكثر إذا كان لدى ما يكفيني! اتركيني أذهب، لا تكوني صعبة.

عانقتها تيتا وواستها كما كانت تفعل معها كل ليلة منذ عودتها. لم تكن تجد الوسيلة التي تخرج بها تشييتشا من اكتئابها وتفكيرها في أن أحداً لن يتزوج منها بعد الاعتداء العنيف الذي واجهته من جانب قطاع الطرق.

- تعلمين كيف هم الرجال. جميعهم يقولون إن الطعام البائت ولا في الآخرة، إلا في هذا!

وأمام ياسها، قررت تيتا أن تتركها تذهب. فقد كانت تعلم عن تجربة أنها لو ظلت في المزرعة و بالقرب من أمها فلن يكون أمامها أى خلاص. البعد فقط هو الذى كان يمكن أن يشفيها. أرسلتها فى اليوم التالى مع نيكولاس إلى قريتها.

وجدت تيتا نفسها فى حاجة إلى تأجير طاهية. ولكن هذه غادرت البيت بعد ثلاثة أيام من وصولها. لم تتحمل الطلبات الملحة ولا المعاملة السيئة لما إيلينا. عندئذ بحثوا عن أخرى استمرت يومين فقط وأخرى وأخرى حتى لم تعد هنالك امرأة في القرية تريد العمل في البيت. كانت أكثر من بقين امرأة صماء بكماء: تحملت ١٥ يوماً، ولكنها ذهبت؛ لأن ماما إيلينا قالت لها بالإشارة إنها غبية.

حيثئذ لم يكن أمام ماما إيلينا خيار آخر سوى أن تأكل مما كانت تطهوه تيتا، ولكنها كانت تفعل ذلك مع الإجراءات الوقائية اللازمة. فبجانب مطالبة تيتا بتذوق الطعام قبلها، كانت تطلب منها دائماً كوباً من الحليب الدافئ مع كل وجبة وكانت تشربه قبل أن تتناول الطعام لمقاومة آثار السم المر والذى، حسب رأيها، تشعر به مذاًباً فى الطعام. أحياناً كانت هذه الوسيلة كافية، ولكن فى أوقات أخرى كانت تشعر بآلام حادة فى البطن، عندئذ كانت تتناول، إضافة إلى الحليب الدافئ، جرعة نيذ إيبىكا كوانا وأخرى من بصل الفأر كعمقئ. ولكن ذلك لم يدم وقتاً طويلاً. بعد شهر

ماتت ماما إيلينا ضحية آلام رهيبة مصحوبة بتقلصات وتشنجات شديدة. فى البداية لم يفهم كل من تيتا وجون أسباب هذه الميتة الغريبة، فما عدا الشلل النصفى لم تكن ماما إيلينا تعاني طيباً من أى مرض. ولكن عند فحص مكتبها وجدا رجاجة نبيذ أيبىكا كوانا واستنتجا أن ماما إيلينا كانت بالتأكيد تتناوله فى الخفاء. وقد أخبر جون تيتا بأن هذا المقيى قوى جداً إلى درجة التسبب فى الموت.

لم تستطع تيتا أن تبعد عن بصرها وجه أمها خلال التكفين. فحتى الآن، منذ وفاتها، تراها لأول مرة قد بدأت تفهمها. فمن يراها كان يمكن أن يخلط نظرة الامتان تلك بنظرة ألم، ولكن تيتا لم تشعر بأى ألم. فالآن فقط تعرف معنى جملة " باردة مثل ورقة خس "؛ فهكذا كانت تشعر ورقة الخس بأنها غريبة وبعيدة أمام انفصالها المفاجئ عن الورقة الأخرى التى نمت معها. كان يبدو غير منطقي أن ينتظر من ورقة خس أن تتعذب لانفصالها عن الأخرى التى لم تستطع البتة التحدث معها ولا إقامة أى نوع من الاتصال، والتى لم تعرف عنها إلا أوراقها الخارجية جاهلة أنه كانت بداخلها خفايا أخرى كثيرة.

لم تكن تستطيع تخيل ذلك الفم ذا الكشرة المرة وهو يقبل بحرارة و لاهذين الخدين الأصفرين الآن، وهما موردان من حرارة ليلة حب. كان ذلك ما حدث بدون شك يوماً ما. ولم

تكن تيتا قد اكتشفته إلا الآن، متأخراً جداً وبالصدفة البحتة. عندما كانت تيتا تضع لها ملابسها للصلاة عليها، أخذت من وسطها سلسلة المفاتيح الكبيرة التي كانت تلازمها كسلسلة منذ أن وعيت. كل شيء في البيت كان مغلقاً بمفتاح و تحت مراقبة صارمة. لم يكن أحد يستطيع إخراج حتى فنجان من السكر من خزانة الأطعمة دون إذن ماما إيلينا. كانت تيتا تعرف كل مفاتيح الأبواب و المخابئ. ولكن بالإضافة إلى سلسلة المفاتيح الكبيرة، كانت معلقة في رقبته حلية صغيرة على شكل قلب، وكان بداخلها مفتاح صغير لفت نظرها.

ربطت فوراً بين المفتاح و القفل الدال عليه. فقد كانت يوماً تلعب الاستغماية واختبأت في دولا ب ملابس ماما إيلينا. واكتشفت بين الملاءات صندوقاً صغيراً. وبينما كانت تنتظر البحث عنها حاولت فتحه ولكن دون جدوى لأنه كان مغلقاً بمفتاح. وبالرغم من أن ماما إيلينا لم تكن تلعب الاستغماية إلا أنها هي التي وجدتتها عندما فتحت الدولا ب. كانت تريد إحضار ملاءة أو شيء كهذا و ضبطتها متلبسة. عاقبتها في الشونة، وكان العقاب هو فرط مائة قولحة. شعرت تيتا أن الخطأ لم يكن يستوجب عقاباً بهذا الحجم، فالاختباء بالحذاء بين الملاءات النظيفة لم يكن يستحق كل ذلك. ولكنها الآن وأما مبيتة، وهي تقرأ الخطابات التي كان يحتويها الصندوق، تنبهت إلى أنها لم تعاقب

لذلك، ولكن لأنها حاولت معرفة ما يحتويه الصندوق، وأن العقاب كان بالفعل مناسباً.

فتحت تيتا الصندوق بحب استطلاع مريض، كانت به مجموعة من الخطابات من شخص يدعى خوسيه تريبينيو ويوميات. كانت الخطابات موجهة إلى ماما إيلينا. رتبها تيتا حسب تواريخها وعرفت قصة الحب الحقيقية لأمها. كان خوسيه هو حب حياتها. لم يسمحوا لها بالزواج منه لأن بعروقه دماء سوداء. وكانت مستعمرة من السود قد هربت من الحرب الأهلية في الولايات المتحدة الأمريكية ومن خطر إعدامها، ووصلت لتستقر بالقرب من القرية. وكان خوسيه نتاج العلاقة غير الشرعية بين خوسيه تريبينيو الأب وزنجية جميلة. وعندما اكتشف والدا ماما إيلينا العلاقة التي كانت بين ابنتهما وهذا المولّد، أجبرها وهما منزعجان، على الزواج فوراً من خوان دي لا جارثا، أبيها. هذا التصرف لم يستطع أن يمنعها حتى وهى متزوجة من الاستمرار في مراسلة خوسيه سراً ويبدو أنهما لم يكتفيا بهذا النوع من الاتصال بل، وحسب تلك الرسائل، فإن خيرتروديس كانت ابنة خوسيه وليست من أبيها.

حاولت ماما إيلينا الهرب مع خوسيه عندما علمت بذلك الحمل، ولكن في الليلة التي كانت تنتظره فيها مختبئة في ظلام الشرفة ظهر طيف رجل مجهول، دون سبب ظاهر، وتحت ستار

الليل هاجم خوسيه وأزاحه عن هذه الدنيا. وبعد معاناة كبيرة استسلمت ماما إيلينا للعيش بجانب زوجها الشرعى. وكان خوان دي لاجارثا يجهل لسنوات طويلة كل هذه القصة، ولكنه علم بها عند مولد تيتا بالضبط. كان قد ذهب إلى الحانة للاحتفال مع بعض الأصدقاء بميلاد ابنته الجديدة و هناك نقل له المعلومة لسان مسمم. أصابه الخبر الرهيب بسكته قلبية. هكذا كان الأمر.

كانت تيتا تشعر بالذنب لأنها شاركت فى هذا السر. لم تكن تعرف ماذا تفعل بهذه الرسائل. فكرت فى إحراقها ولكنها لم تقوَ على ذلك ؛ فإذا كانت أمها لم تجرؤ عليه فهى أقل منها جرأة. حفظت كل شئ كما وجدته ووضعت مكانه.

بكت تيتا بكاء حقيقياً خلال دفن أمها. ولكن ليس على المرأة الجافة التى كبستها طوال حياتها، وإنما لذلك الكائن الذى عاش حباً محبطاً. وأقسمت أمام قبرها على أنها لن تتخلى أبداً عن الحب، وليكن ما يكون. فى تلك اللحظات كانت مقتنعة بأن حبها الحقيقى هو جون. الرجل الذى وقف بجانبها يساندها بلا قيد أو شرط. ولكنها ما أن رأت مجموعة من الناس تقترب من الضريح وميزت من بعيد صورة خيال بيدرو بصحبته روساورا لم تعد واثقة بنفس الدرجة من مشاعرها.

كانت روساورا التى تبدو حاملاً ويطنهما كبير، تسير ببطء.

عندما رأت تيتا اقتربت منها و عانقتها و هى تبكى بحزن. كان يليها فى الدور بيدرو. فما أن عانقها بيدرو حتى أرتج جسدها مثل الجيلاتين. باركت تيتا أمها لأنها أعطتها الذريعة لتستطيع العودة إلى رؤية ومعانقة بيدرو. بعد ذلك مباشرة انسحبت فجأة. لم يكن بيدرو يستحق أن تحبه بهذه الدرجة. لقد أظهر ضعفاً يبعده عنها وهى لن تغفر له ذلك.

أخذ جون تيتا من يدها أثناء العودة إلى المزرعة، وأمسكته تيتا بدورها من ذراعه لتؤكد أن ما بينهما شئ أكثر من الصداقة. كانت تريد أن تسبب لبيدرو نفس الآلام التى كانت تشعر بها دائماً عندما كانت تراه بجوار أختها.

كان بيدرو يراقبهما و عيناها مطبقتان. لم يكن يعجبه فى شئ رفع الكلفة التى كان جون يقترب بها و التى كانت تيتا تحدثه بها فى أذنه. ما الذى كان يجرى ؟ إن تيتا له ولن يسمح بأن تؤخذ منه، والآن أكثر من أى وقت مضى بعد أن زال أكبر حائل أمام ارتباطهما: ماما إيلينا.

الفصل الثامن

أغسطس

تشامباندونجو Champondongo

المقادير:

ربع كجم من لحم الغنم المفروم - ربع كجم من اللحم^(١٩)
 المفروم - ٢٠٠ جم من الجوز - ٢٠٠ جم من اللوز - بصلة
 - ثمرتان من الخيتوماتس (كاكا) - سكر - ربع كجم من
 الكريمة - نصف كجم من الجبنة المانتشيغو^(٢٠) - ربع
 كجم من المولييه - كمون - حساء لجاج - عجة نرة - زيت

(١٩) ذكر لحم خنزير.

(٢٠) نوع مشهور من الجبن الرومي يتسبب إلى إقليم «لامانشا» بإسبانيا.

طريقة الصنة

تفرم البصلة رفيعاً و تحمر مع اللحم فى قليل من الزيت .
وبينما تحمر يضاف إلى الخليط الكمون المطحون و ملعقة سكر .

وكالعادة ، كانت تيتا تبكى وهى تخرط البصلة . كانت
الرؤية أمامها غائمة إلى درجة أنها جرحت أحد أصابعها بالسكين
دون أن تتنبه . أطلقت صيحة غيظ وكما لو لم يقع شئ واصلت
إعداد التشامباندونجو . فى هذه اللحظات لم يكن باستطاعتها
التوقف و لو ثانية لتداوى الجرح . فاليوم يأتى جون ليلاً ليطلب
يدها وكان عليها أن تعد عشاءً طيباً فى خلال نصف ساعة فقط .
لم تكن تيتا تحب الطهى بتعجل .

كانت تعطى الطعام دائماً الوقت المناسب و اللازم لطهيه .
وكانت تحاول أن تنهى كل أعمالها حتى تصبح هادئة بما فيه
الكفاية فى المطبخ لتستطيع إعداد أطباق لذيذة ومتقنة . لكنها الآن

متأخرة جداً إلى درجة أن حركاتها كانت قلقة ومتعجلة وبالتالي كانت تتعرض إلى هذا النوع من الحوادث .

كان السبب الرئيسى فى تأخرها ابنة أختها المعبودة التى ولدت قبل أوانها بثلاثة أشهر . مثل تيتا، بشكل مبكر . فقد تأثرت روساورا بموت أمها مما أدى إلى تبكير ولادة ابنتها وبقيت عاجزة عن إرضاعها . وفى هذه المرة لم تستطع تيتا ولم تشأ تبني دور المرضعة مثلما حدث مع ابن أختها بل وأكثر من ذلك، لم تحاول حتى ذلك، ربما نتيجة التجربة المدمرة التى مرت بها عندما أبعادوها عن الطفل . عرفت الآن انه لا يجب إقامة علاقات حميمة مع اطفال ليسوا ابنائها .

على العكس فضلت أن توفر لاسبرانشا نفس الغذاء الذى كانت ناتشا قد استخدمته معها عندما كانت طفلة لا حول لها ولا قوة: آتوليه^(٢١) وشاى .

تم تعميدها وأطلق عليها اسم اسبرانشا بطلب من تيتا . كان بيدرو مصمماً على أن تحمل الطفلة نفس اسم تيتا، خوزيفينا . ولكنها رفضت نهائياً . لم تكن تشاء أن يؤثر الاسم على مصير الطفلة . فكفاهما أن أمها عانت بميلادها من عدة اضطرابات

(٢١) Atole شراب سميك مكون من الذرة المطحونة ودقيق أرز . . . إلخ . مذاق ومغلى فى ماء أو حليب . يمكن أن يحتوى على مواد أخرى مثل السكر، و القرفة، الشيكولاتة، عسل أو عصير لإكسابه طعماً أكثر .

اضطرت جون إلى اجراء عملية عاجلة لها لإنقاذ حياتها ولتصبح عاجزة عن الحمل مرة أخرى.

شرح جون لتيثا أنه أحياناً، لأسباب غير عادية، فإن المشيمة لا تنزاع فقط في الرحم، وإنما تستقر فيه وعليه فإنه في اللحظة التي يولد فيها الطفل فإن المشيمة لا يمكنها الانفصال. تكون مثبته بقوة بحيث أنه لو حاول أحد غير خبير مساعدة الأم وجذب المشيمة مستخدماً الحبل السرى فإن الرحم يخرج معها بأكمله. عندئذ يجب التدخل الجراحي الفوري لإستئصال الرحم لتصبح هذه الإنسانية غير قادرة على الحمل بقية حياتها.

لم يكن التدخل الجراحي لروساورا بسبب عدم خبرة جون، وإنما لأنه لم يكن هناك أى خيار آخر يمكن به فصل المشيمة وعليه تصبح اسيرانثا هى ابنتها الوحيدة، والصغرى ولزيادة همها، أنثى! . وهو ما يعنى فى التقليد العائلى أنها المعنية برعاية أمهاحتى نهاية أيامها. لعل اسبرانثا قد تشبث ببطن أمها لأنها كانت تعرف مسبقاً ما ينتظرها فى هذه الدنيا. كانت تيثا تصلى من أجل ألا يخطر ببال روساورا فكرة تخليد هذا التقليد القاسى.

ولهذا، لم تشأ إعطاء أفكار خاصة باسمها وظلت تضغط ليل نهار حتى توصلت إلى أن يسموها اسبرانثا.

كانت هناك بلا شك مجموعة من المصادفات شاركت فى أن يكون مصير هذه الطفلة يشبه مصير تيثا، مثلاً، للصدفة البحتة

كانت تقضى معظم وقتها فى المطبخ ، لأن أمها لا تستطيع رعايتها ، وكانت خالتها تحاول العناية بها فى المطبخ فقط ، وهكذا بين الشاى و الآتوليه كانت تنمو بكل صحة بين روائح ومذاقات هذا المكان الفردوسى والدافئ .

أما من كانت لا يعجبها إلى حد كبير ما يمكن أن نطلق عليه هذه العادة فكانت روساورا ، كانت تشعر أن تيتا تأخذ منها ابنتها لوقت طويل من جوارها وعندما تماثلت للشفاء تماماً من العملية طلبت بأن يعيدوا إليها اسبرانثا بعد تناول طعامها مباشرة إلى حجرتها لتنام بجوار سريرها ، حيث مكانها . جاء هذا الوضع متأخراً جداً؛ لأن الطفلة كانت حينئذ قد تعودت على أن تظل فى المطبخ ولم يكن من السهولة بمكان إخراجها منه . كانت تبكى كثيراً عندما تشعر أنها تباعد عن حرارة المدفأة ، إلى درجة أن تيتا كانت تقوم بحمل الطعام الذى تقوم بطهيه إلى حجرة النوم لتخدع بذلك الطفلة بحيث أنها عند شم و الشعور بقرب حرارة الوعاء الذى تطهو فيه تيتا منها تستطيع مصالحة النوم . عند ذلك كانت تيتا تعيد إلى المطبخ الحلة الكبيرة وتواصل طهى الطعام .

لكن الطفلة اليوم كانت تتمتع ببصيرة ، و محتمل أنها كانت تتنبأ بأن خالتها تفكر فى الزواج ومغادرة المزرعة و تصبح هى بغير هدى ، وذلك لأنها لم تتوقف طوال اليوم عن البكاء . كانت تيتا تصعد و تهبط الدرج و هى تحمل أوانى بها طعام من مكان

لآخر. حتى وقع ما كان يجب وقوعه: " لا تسلم الجرة في كل مرة".

فعندما كانت تهبط للمرة الثامنة تعثرت و سقطت الحلة وبها الخلطة الخاصة بالشامباندونجو وتدحرجت على الدرج إلى أسفل. وتبددت معها أربع ساعات من العمل المكثف في فرم و طحن عناصر هذه الأكلة.

جلست تيتا فوق إحدى الدرجات ورأسها بين يديها لتلتقط أنفاسها. فقد استيقظت منذ الخامسة صباحاً حتى لا يسرقها الوقت وذهب كل شيء هباءً، عليها الآن أن تعد الخلطة من جديد.

لم يحسن بيدرو اختيار اللحظة المناسبة للحديث مع تيتا، ولكنه، مستغلاً أنه وجدها على السلم، تبدو ظاهرياً أنها تأخذ قسطاً من الراحة، اقترب منها بهدف الحديث معها حول عدم زواجها من جون.

- تيتا، كنت أريد أن أقول لك إنني أعتبر فكرة زواجك من جون خطأً مؤسفاً. مازال الوقت أمامك لعدم ارتكاب تلك الغلطة، لا تقبلي ذلك الزواج من فضلك!

- بيدرو ليس لك الحق في أن تقول لي ما على أن أفعل أو لا أفعل. عندما تزوجت لم أطلب منك ألا تفعل، بالرغم من أن ذلك الزواج دمرني. لقد صنعت حياتك، دعني الآن أصنع حياتي في سلام.

- بسبب ذلك القرار الذى اتخذته بالذات و الذى أُنِدم عليه تماماً، أطلب منك التروى. إنك تعرفين تماماً السبب الذى ربطنى بشقيقتك، ولكن ثبت أنه كان تصرفاً غير مجد ولم يؤتِ هدفه، إننى أريالآن أنه كان من الأفضل الهروب معك.

- لقد فكرت متأخراً جداً، لم يعد هناك حل لذلك الآن. أتوسل اليك ألا تعود أبداً إلى مضايقتى ولا أن تتجراً على تكرار ما قلته لى توأ، فيمكن أن تسمعك أختى، وليس هناك داع لخلق إنسان آخر تعيش فى هذا البيت. عن إذنك! آه وأنصحك بأنه عندما تحب فى المرة القادمة، لا تكن جباناً بهذه الدرجة! اتجهت تيتا وهى تحمل الحلة بغضب نحو المطبخ.

أنهت صنع خلطة المولى بين همهمات وتقليب الأوانى وبينما كانت تلك على النار حتى تنضج تابعت أعداد التšامباندونجو.

عندما يبدأ اللحم فى الاحمرار يضاف إليه الخيتوماتيه المطحونة مع الأترنج المسكر و الجوز واللوز المقطع قطعاً صغيرة. .
اختلطت حرارة البخار المتصاعد من الإناء مع الحرارة المنبعثة من جسد تيتا. كانت تشعر بالغضب الداخلى و هو يعمل ماتفعله الخميرة فى عجينة الخبز. كانت تشعر به ينمو بسرعة حتى يغمر آخر فجوة يمكن لجسدها أن يحتويها ومثل الخميرة التى تكون فى وعاء

صغير، فإنها تطفح إلى الخارج على شكل بخار عبر الأذنين وكل مسام جسمها.

هذا الغضب الهائل كان سببه في جانب قليل منه حديثها مع بيدرو، ومن جهة أخرى بسبب الأحداث والعمل في المطبخ، أما الجانب الأكبر المسبب لهذا الغضب فهي كلمات روساورا التي قالتها قبل أيام. كانوا مجتمعين في حجرة نوم أختها كل من تيتا وجون و أليكس، كان جون قد اصطحب معه ابنه أثناء الزيارة الطبية، فقد كان الطفل قد أوحشه للغاية وجود تيتا في بيته وكان يريد رؤيتها من جديد. أطل الطفل على مهد الطفلة ليتعرف على اسبرانثا وكان معجباً جداً بجمالها. ومثل كل الأطفال في ذلك السن الذين ينطلقون على سجيّتهم، قال بصوت عال:

- إسمع يابابى، أريد أن أتزوج أنا أيضاً، مثلك. ولكن من هذه الطفلة الصغيرة.

ضحك الجميع من النكته الظريفة ولكن عندما قالت روساورا لأليكس إن ذلك لا يمكن أن يكون لأن تلك الطفلة الصغيرة مكرسة لرعايتها إلى يوم وفاتها، شعرت تيتا أن شعرها قد اzybأر. فروساورا فقط هي التي كان يمكن أن يخطر ببالها هول كهذا، تخليد تقليد غير إنسانى بالمرّة.

ليت فم روساورا قد احترق! وما استطاع بالمرّة تسريب تلك

الكلمات المنفرة والتنتة و الوهنة كرهية الرائحة والبذينة و المقززة .
كان من الأفضل أن تبستلعهما ، وأن تحتفظ بها داخل أحشائها حتى
تتعفن وتلدؤ . وليتها تعيش طويلاً حتى تستطيع منع أختها من
تحقيق نوايا مشثومة بهذه الدرجة .

أخيراً ، لم تكن تعرف لماذا تفكر في تلك الأشياء المكدره
للغاية في هذه اللحظات التى يجب أن تكون بالنسبة لها أسعد أيام
حياتها ، ولم تعرف لماذا كانت تشعر بهذه الدرجة من الضيق . ربما
نقل لها بيدرو عدوى مزاجه السيئ . فمنذ أن عادا إلى المزرعة
وعلم أن تيتا تفكر في الزواج من جون وقد ركبهُ ألف عفريت .
لم يكن أحد يستطيع حتى توجيه الكلام له . كان يحاول الخروج
مبكراً جداً ويحجوب المزرعة وهو يمتطى حصانه . ويعود في الليل
وقت العشاء تماماً ويغلق على نفسه حجرة نومه بعد ذلك مباشرة .

لم يجد أحد تفسيراً لهذا السلوك ، اعتقد البعض أنه كان
نتيجة تأثره بأنه لن يصبح لديه أبناء آخرون . على كل ، كان يبدو
أن الغضب يسيطر على أفكار و تصرفات كل من في البيت .
كانت تيتا في حالة " غليان " بمعنى الكلمة . كانت تشعر بأنها
سريعة الغضب . حتى هديل الحمام ، أحب شيء لديها ، والذي
أعادوا تربيته فوق سطح البيت و الذي سبب لها متعة كبيرة يوم
عودتها ، كان يضايقها في تلك اللحظة . كانت تشعر بأن رأسها
سوف ينفجر مثل الفشار . وفي محاولة لمنع ذلك ضغطت بشدة

على رأسها بكلتا يديها. شعرت بخبطة ضعيفة على كتفها فانتبهت منفعة ولديها الرغبة في ضرب من فعل ذلك مهما يكن لأنه من المؤكد قد جاء ليسلبها المزيد من وقتها. ولكن كم كانت مفاجئتها عندما رأت تشينتشا أمامها. تشينتشا بذاتها، كطبيعتها دائماً، مبتسمة وسعيدة. لم تسعد في حياتها بالمرة برؤيتها كالآن. ولا حتى عندما زارتها في بيت جون. كانت تشينتشا كالمعتاد تهبط من السماء في اللحظة التي كانت تبتا فيها في أشد الحاجة إليها.

كانت شيئاً مفاجئاً أن ترى تشينتشا وقد تعافت، بعد أن رأتها وهي راحلة في حالة من الهم و اليأس مما حدث لها.

لم يكن هناك أى أثر للصدمة النفسية التي تعرضت لها. كان الإنسان الذي استطاع إزالة الصدمة بجوارها وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة بريئة وعريضة. كان يبدو بوضوح أنه رجل مستقيم وصامت، حسن، لكن من يدري؛ لأن ماحدث هو أن تشينتشا لم تسمح له أن يفتح فمه إلا ليقول لتيتا: " خيسوس مارتينيث في خدمتك ". بعد ذلك احتكرت تشينتشا، كالمعتاد، الحوار تماماً واستطاعت خلال دقيقتين، محطمة رقماً قياسياً في السرعة، أن تطلع تيتا على كل أحداث حياتها:

كان خيسوس أول حب في حياتها ولم تنسه قط. ولكن والدى تشينتشا عارضا تماماً ذلك الحب. ولولا عودة تشينتشا إلى

قريتها ورؤيتها مرة ثانية ما استطاع بالمرّة أن يجدها. ولم يهّمه بالطبع أن تشيئتسا ليست عذراء وتزوج منها مباشرة. وقد عادا إلى المزرعة معاً بهدف بدء حياة جديدة بعد أن ماتت ماما إيلينا، وقد فكرا في انجاب أولاد كثيرين وأن يحققا السعادة الدائمة . . .

توقفت تشيئتسا لالتقاط أنفاسها فقد ازرق لونها واستغلت تيتا هذا التوقف لتقول لها، ولكن ليس على نفس درجة سرعتها وإنما قرية منها، أنها سعدت بعودتها للمزرعة وانهم سوف يتحدثون في أمر التعاقد مع خيسوس وأن اليوم سيتم طلب يدها وأنها ستزوج قريباً وأنها لم تنه إعداد العشاء وطلبت منها أن تقوم هي بذلك لتستطيع أن تأخذ حماماً مهدئاً من الماء البارد جداً وهكذا يتحسن مظهرها لدى وصول جون، و الذي سيكون بين لحظة وأخرى.

طردتها تشيئتسا بالفعل من المطبخ و تولت مباشرة الأمر. فقد كانت حسب قولها تستطيع عمل الشامبا ندونجو وهي معصوبة العينين ومكبلة اليدين.

عندما ينضج اللحم و يجف مرقه، يتم بعد ذلك قلي العجة في الزيت و لكن ليس قلياً تاماً حتى لا تصبح جامدة. بعد ذلك نضع في الوعاء الذي سيوضع في الفرن طبقة من الزبد حتى لا يلتصق الطعام، ثم طبقة من العجة وفوقها طبقة من اللحم

المفروم ثم في النهاية خلطة الموليه و يغطى بشرائح الجبن، و الزبد. تكرر هذه العملية عدة مرات حتى يمتلئ الوعاء. يوضع في الفرن و نخرجه عندما يذوب الجبن و تصبح العجة طرية. وتقدم مع الأرز و الفاصوليا.

كم شعرت تيتا بالراحة لمعرفتها أن تشبثت في المطبخ. فليس أمامها الآن سوى الاهتمام بعنايتها الشخصية. عبرت الفناء مثل عصفرة ريح و بدأت تستحم. كان أمامها عشر دقائق فقط، لتستحم وتضع ملابسها و تعطر وتصفف شعرها بالشكل المناسب. كانت في عجلة شديدة إلى درجة أنها لم تر ييدرو في الطرف الآخر من الفناء الخلفى وهو يركل بقدمه الحجارة.

خلعت تيتا ملابسها ووضعت نفسها في المنضحة و جعلت الماء البارد يسقط فوق رأسها. يا للراحة التى شعرت بها! فو العينان مغلقتان تصبح الأحاسيس مرهفة، وكانت تستطيع الشعور بكل قطرة ماء بارد تتصفح جسدها. شعرت بحلمتى نهديها تتصلبان كالحجارة عند تلامسهما للماء. كان هناك خيط ماء يسقط على ظهرها ثم يهبط مثل شلال عند منحنى إلتها المستدرين والبارزين، ماراً بساقىها القويتين حتى قدميها. بدأ الضيق يذهب عنها شيئاً فشيئاً واختفت آلام الرأس. وفجأة بدأت تشعر أن الماء كان يسخن وتزداد سخوته شيئاً فشيئاً حتى بدأ يحرق جلدها. كان هذا يحدث أحياناً في فصل الحر عندما كانت مياه الخزان

تسخن بقوة أشعة الشمس طوال النهار، ولكن ليس الآن أولاً؛
لأنه لم يكن فصل الصيف وثانياً لأن الليل قد بدأ في الهبوط.
فتحت عينيها مذعورة خوفاً من أن تحترق حجرة الحمام مرة أخرى
فوجدت امامها وجه بيدرو الذي كان خلف ألواح الحجرة الخشبية
يراقبها بالتفصيل.

كانت عينا بيدرو تلمعان بطريقة يستحيل معها عدم رؤيتهما
في الظلام، تماماً مثل قطرتي ندى صغيرتين مهملتين مخبئتين بين
الأعشاب الضارة عندما تستقبلان أول أشعة للشمس. اللعنة على
نظرة بيدرو! وملعون النجار الذي صنع حجرة الحمام تماماً مثل
سابقته أو بمعنى أصح بفواصل بين كل لوح خشبي وآخر! عندما
وجدت بيدرو يقترب منها والرغبة الجنسية في عينيه، جرت
مسرعة من الحجرة وهي تضع ملابسها في عجلة. وصلت بسرعة
كبيرة إلى حجرتها وأغلقتها عليها.

انتهت بالكاد من زيتها عندما أخبرتها تشيشتشا بأن جون قد
وصل لتوه وأنه ينتظرها في الصالة.

لم يكن باستطاعتها التوجه مباشرة لاستقباله، فقد كان
مازال أمامها لإعداد المائدة. قبل وضع المفرش يجب تغطية المائدة
ببساط، لتفادي صوت الكتوس و الأطباق عند اصطدامها بالمائدة.
ويجب أن يكون من الصوف الأبيض ليظهر بياض المفرش. رلقته
تيساً برفق فوق المائدة الكبيرة التي تسع عشرين شخصاً والتي لا

تُستخدم إلا في مناسبات كهذه. حاولت ألا تحدث صوتاً، ولا حتى وهى تتنفس حتى تستطيع سماع فحوى الحوار الدائر في الصالة بين روساورا و بيدرو وجون. كان يفصل الصالة و حجرة الطعام ممر طويل لذلك لم يصل إلى أذنى تيتا سوى همس الأصوات الذكرية لبيدرو و جون، وقد أدركت بلا شك منها نبرة جدال. وقبل انتظار أن تصل الأمور إلى أشدها وضعت بسرعة وحسب الترتيب المفروض، الأطباق وطقم أدوات المائدة الفضة و الكئوس والملاحات وحمالات السكاكين. ووضعت مباشرة الشمعات أسفل سخانات الأطباق الرئيسية الأول والوسيط وتركتها جاهزة فوق خزانة الأرفف. جرت إلى المطبخ لإحضار نبيذ بورديوس الذي كانت قد وضعت في حمام بخار. يخرج نبيذ بورديوس من قبو الخمر قبل استخدامه بعدة ساعات ويوضع في مكان دافئ تؤدي الحرارة اللطيفة إلى نشر عبقه، ولكن لأن تيتا قد نسيت إخراجها لوقت كاف فإنها قامت بتطبيق هذه العملية صناعياً، كان الشئ الوحيد الذي ينقصها القيام به هو وضع سلة للزهور صغيرة من البرونز المذهب في وسط المائدة ولكن لأن الزهور لا توضع إلا قبل الجلوس إلى المائدة بلحظات حتى تحتفظ بنضارتها الطبيعية، فقد كلفت تيتا تشيئتها بالقيام بهذا العمل واتجهت بسرعة، على قدر ما سمح لها فستانها المنشى، إلى الصالة.

كان أول مشهد رآته عندما فتحت الباب هو النقاش المحتدم بين بيدرو وجون حول الوضع السياسي للبلاد. ويبدو أن كليهما قد نسي العناصر الأساسية لقواعد التحضر والتي تقول بأنه في أى اجتماع عائلى لا يجب أن يأتى ذكر مسائل حول شخصيات أو مواضيع حزينة أو أحداث مؤسفة أو حول الدين أو السياسة. أدى دخول تيتا إلى وقف الجدل و اضطرا إلى اعادة الحوار من جديد بنبرة أكثر ودية.

وفى جو من التوتر طلب جون يد تيتا. قام بيدرو، بصفته رجل البيت، باعطاء موافقته وهو متجهم. وبدأ في الاتفاق على تفاصيل الخطبة. وعندما حاولا تحديد موعد الزفاف، علمت تيتا برغبة جون في إرجائه قليلاً ليستطيع السفر إلى شمال الولايات المتحدة لإحضار عمته الوحيدة الباقية و التى كان يرغب في حضورها الاحتفال. مثل ذلك مشكلة بالنسبة لتيتا: كانت ترغب في مغادرة المزرعة وعدم التواجد بقرب بيدرو في أقرب وقت ممكن.

تمت الخطبة رسمياً بأن قدم جون لتيتا خاتماً رائعاً من الماس. تأملت تيتا الخاتم طويلاً وهو يلمع في يدها. كانت الشرارات المنبعثة منه تذكرها بالبريق الذي كان يعينى بيدرو قبل ذلك بلحظات، عندما كان ينظر لها و هى عارية وجاءت بذاكرتها

قصيدة أتوميه (٢٢) كانت ناتشا قد علمتها إياها وهى طفلة :

" تلمع الشمس في قطرة الندى

تجف قطرة الندى

في عيني ، تلمع أنت في عيني

وأنا ، أحيأ أنا . . . "

تأثرت روساورا برؤية الدموع في عيني شقيقتها وفسرتها على أنها دموع السعادة وشعرت بشئ من الراحة من الذنب الذي كان يؤرقها أحيانا لكونها تزوجت من خطيب تيتا . عند ذلك قامت ، وهى في شدة حماسها ، بتوزيع كئوس الشمبانيا على الجميع ودعتهم إلى شرب نخب سعادة العروسين . عند القيام بذلك وكان الأربعة مجتمعين في وسط الصالة ، ضرب بيدرو كأسه بكئوس الآخرين بقوة أدت إلى كسره إلى ألف قطعة ونثر المشروب الذي بباقي الكئوس على وجوههم وملابسهم .

هبطت البركة بين الإرتباك الذي سيطر على الموقف عندما ظهرت تشييتشا وذكرت الكلمات السحرية وهى : " العشاء جاهز " . أدى هذا الإعلان إلى رباطة جأش وهدوء الحاضرين وهو ما كان الموقف يستوجبه بعد أن كانوا على وشك فقدانهما . فعندما

(٢٢) تنسب إلى قبيلة هندية أصلية فى المكسيك .

يكون الحديث عن الطعام فإنه أمر على درجة من الأهمية بحيث أن البلهاء أو المرضى هم فقط الذين لا يعطونه الاهتمام الذي يستحقه. وبما أن الحال لم يكن كذلك، توجه الجميع إلى حجرة الطعام وهم يبدون روح المرح.

كان كل شئ يسيراً للغاية خلال العشاء، بفضل تداخلات تشينتشا الظرفية وهي تخدم عليهم. لم يكن الطعام لذيذاً بالدرجة الكافية كما كان في مرات سابقة، ربما لأن الضيق كان ملازماً لتيتا وهي تعدّه، ولكن لا يمكن القول بأنه كان غير مقبول. إن التشامبا ندونجو طبق له طعم خاص إلى درجة أن أي مزاج سيئ لا يستطيع أن ينال منه أو يغير من طعمه. بعد الانتهاء من العشاء رافقت تيتا جون حتى الباب وهناك قبل كل منهما الآخر قبلة طويلة كوداع. وفي اليوم التالي كان جون يفكر في السفر ليعود في أقرب وقت ممكن.

وهي عائدة إلى المطبخ أمرت تيتا تشينتشا بتنظيف الحجرة والمرتبة حيث ستقيم من الآن مع زوجها خيسوس وذلك بعد أن شكرتها على مساعدتها الكبيرة. كان من الضروري قبل أن يذهبها للنوم التأكد من أنهما لن يجدا في الحجرة ما هو غير مرغوب وهو البق فقد تركت الخادمة الأخيرة التي نامت هناك الحجرة ملوثة بهذه الدويبات ولم تستطع تيتا تطهيرها نظراً للعمل المكثف الذي زاد عليها بميلاد ابنة روساورا.

أفضل طريقة للقضاء على البق هو خلط كوب من روح النبيذ ونصف أوقية من خلاصة التريبتين ونصف آخر من بودرة الكافور. تدهن بهذه التركيبة الأماكن التي بها البق وهي تقضى عليه تماماً.

بعد أن انتهت تيتا من ترتيب المطبخ بدأت في وضع الأواني والحلل في أماكنها، لم تكن تشعر بعد بالنعاس، وكان أفضل لها أن تستغل الوقت في ذلك على أن تمضيه وهي تتقلب في السرير. كانت تشعر بمجموعة من الأحاسيس المتلاقية وكانت أفضل وسيلة لترتيبها داخل رأسها هي أن ترتب أولاً المطبخ. تناولت إناء كبيراً من الفخار وحملته لتحفظه في الحجرة التي أصبحت الآن حجرة الكرار والتي كانت في السابق الحجرة المظلمة. فمع موت ماما إيلينا وجدوا أن أحداً لن يفكر في استخدامها كمكان للاستحمام، لأن الجميع كان يفضل الاستحمام في منضحة ولاستغلالها حولوها إلى حجرة للكراكيب.

كانت تحمل في إحدى يديها الإناء وفي الأخرى لمبة جاز. دخلت الحجرة بحرص حتى لا تصطدم بكم الأدوات التي كانت في الطريق إلى مكان حفظ أوعية المطبخ التي لا تستخدم باستمرار. كان ضوء المصباح يساعدها إلى حد ما، ولكن ليس بالقدر الذي تستطيع به الإضاءة حيث اندس ظل ما في صمت وأغلق باب الحجرة.

عند شعورها بوجود غريب، أدارت تيتا ظهرها فحدد الضوء بوضوح هيئة بيدرو وهو يضع قضيباً لإحكام غلق الباب.

- بيدرو ؟ ماذا تفعل هنا ؟

اقترب بيدرو منها دون أن يجيبها، أطفأ ضوء المصباح، جذبها نحو سرير اللاتون الذي كان يوما ما خاصاً بأختها خيرتروديس وبدفعها فوقه، أفقدها عذريتها وأشعرها بالحب الحقيقي.

كانت روساورا، في حجرتها، تحاول أن تنوم ابتتها التي كانت منفجرة في البكاء. كانت تجوب بها كل أنحاء الغرفة بدون أى نتيجة. وعندما مرت بالنافذة رأت ضوء غريباً يخرج من الحجرة المظلمة. دوائر حلزونية فوسفورية كانت ترتفع إلى السماء كأضواء رقيقة من الصواريخ النارية. على الرغم من صرخات إنذار الخطر التي أطلقتها وهي تنادى تيتا وبيدرو لرؤية ذلك، لم تجد إجابة سوى من تشيتشا التي كانت قد ذهبت بحثا عن طقم ملأءات. وعندما رأت الظاهرة الفريدة لأول مرة في حياتها انحبس صوتها من المفاجأة ولم تنطق ببنت شفة. حتى اسبرانثا، التي لم يفتها تفصيل واحد، توقفت عن البكاء. جثت تشيتشا وهي تؤشر على نفسها بإشارة الصليب، بدأت تصلى:

- يا عذراء يا مقدسة التي في السماء، اقبضى إليك روح

السيدة إيلينا حتى تتوقف عن أن تهيم في ظلمات التطهر!

- ماذا تقولين يا تشيتشا، عما تتحدثين ؟

- عما سيكون، ألا ترين أنه شبح المرحومة! المسكينة لا بد
وأنها تدفع ثمن شيء ما! أنا حتى لا يكون لديك شكوك، لن
أعود لا صدقة ولا لأى سبب إلى الاقتراب من هناك!
- ولا أنا.

لو أن ماما إيلينا المسكينة تعلم أن وجودها حتى بعد موتها
مازال يسبب رهبة وأن ذلك الخوف من الالتقاء بها قد أتاح لتينا
وييدرو الفرصة المثالية لانتهاك حرمة مكانها المفضل بلا عقاب،
بتمرغهما بشهوانية فوق سرير خيرتروديس، لكانت مانت من
جديد مائة مرة!

الفصل التاسع

سبتمبر

شيكولاته وكعكة عيد الظهور

المقادير:

رطلان من كاكاو السوكو نوسكو^(٢٣) - رطلان من كاكاو
المارا كاليو - رطلان من كاكاو الكاراكاس - من ٤ إلى ٦
أرطال من السكر حسب النوق

(٢٣) أنواع كاكاو منسوبة إلى أسماء أماكن شهرتها وجودتها.

طريقة العمل

الخطوة الأولى هي تحميص الكاكاو: ولذلك من المناسب استخدام إناء من الصفائح بدلاً من الإناء الفخاري، لأن الزيت الذي يستخلص من الحبوب يضيع بين مسام الإناء الفخاري. من المهم جداً الاهتمام بهذه الأنواع من التوجيهات، لأن جودة الشيكولاتة تعتمد على ثلاثة أشياء، أن يكون الكاكاو المستخدم صالحاً ولم يتلف، أن يكون قد اختلطت في صناعته أنواع مختلفة من الكاكاو وأخيراً، درجة تحميصه.

ودرجة التحميص التي ينصح بها هي التي يبدأ فيها الكاكاو في إفراز زيت. فإذا ما رفعناه من على النار قبل ذلك، فإنه إضافة إلى أنه يفقد لونه ويصبح غير مقبول، يصبح عسير الهضم. ويكون العكس لو ترك أكثر من اللازم فوق النار، فإن الحبوب تحمص أكثر من اللازم وتجعل الشيكولاتة حامضة ولاذعة الطعم. استخلصت تينا نصف ملعقة صغيرة من هذا الزيت لتخلطه

مع زيت اللوز الحلو لتحضير مرهم رائع للشفاة. ففي الشتاء كانت شفتاها تشققان دائماً مهما اتخذت من احتياطات. كانت وهى طفلة يضايقها ذلك كثيراً، فكل مرة كانت تضحك فيها كانت شفتاها الغليظتان تشققان و تدميان مما يسبب لها ألماً مبرحاً. ومع الزمن كانت تستسلم لذلك. وبما أنها الآن ليس لديها أسباب كثيرة، إذا ما أردنا القول، للضحك، فإن ذلك لم يقلقها بالمرة. فقد كانت تنتظر حتى مقدم الربيع حتى تزول التشققات. كان الاهتمام الوحيد الذي كان يدفعها إلى تحضير المرهم هو حضور بعض الزوار ليلاً لمشاركتهم الاحتفال بكعكة عيد الظهور.

كانت تريد أن تكون شفتاها رقيقتين و لامعتين خلال السهرة وذلك للمباهاة وليس لأنها ترغب في الضحك كثيراً. فالشك في أنها حامل لم يكن يشعرها بأن الضحك مرسوم على شفتيها. لم تكن تفكر بالمرة في هذا الاحتمال عند معاشرتها لبيدرو. لم تبلغه بعد بذلك. كانت تفكر في إبلاغه بذلك هذه الليلة، ولكن لم تكن تعرف كيف. ما التصرف الذي سيتخذه بيدرو وما الحل لهذه المشكلة الكبيرة، كانت تجهل ذلك تماماً.

كانت تفضل ألا تعذب نفسها أكثر وأن تبعد الأفكار عن رأسها نحو الأشياء الأكثر بساطة مثل إعداد مرهم جيد. ولهذا ليس هناك أفضل من زبدة الكاكاو. ولكن قبل أن تبدأ في تحضيرها كان من الضروري إعداد الشيكولاته.

عندما يحمص الكاكاو كما أشير، ينقى باستخدام غربال لفصل القشرة عن الحبة. . ويوضع أسفل قاعدة الرحاية التي سيسحق فيها قداحة وعندما تسخن الرحاية، يبدأ طحن الحبوب. يخلط حينئذ بالسكر المسحوق بمطرقة خشبية ويطحنان معاً. ويقسم مباشرة العجين إلى قطع. وتشكل ألواح الشيكولاته الصغيرة باليد، اما أشكال دائرية أو منبسطة، حسب الرغبة، وتترك في الهواء لتجف. ويمكن بطرف السكين أن نحدد الأشكال التي نريدها. وبينما كانت تبتا تشكل قطع الشيكولاته شعرت بحنين إلى أيام عيد الظهور في طفولتها، والتي لم تكن تعاني فيها من مشاكل بهذه الخطورة. كان كل ما يشغلها في تلك الفترة هو أن الملوك المجوس لم تكن تخضر لها ما كانت تريده هي وإنما ما كانت ماما إيلينا ترى أنه الأنسب لها. حتى أنها علمت من عدة سنوات أن المرة الوحيدة التي حصلت فيها على الهدية التي ترغب فيها كان بسبب أن ناتشا قد ظلت فترة تقتصد من مرتبها لتشتري لها "ثينيتو"^(٢٤) كانت قد رآته في واجهة دكان. كانوا يطلقون عليه ثينيتو لأنه كان جهازاً يظهر صوراً على الخائط باستخدام مصباح من الجاز كمصدر للضوء، معطياً تأثيراً يشبه تأثير السينما، ولكن اسمه الحقيقي كان "زوتروبو". كم كانت سعادتها عندما استيقظت صباحاً ووجدته بجوار حذائها. كم مساء استمتعت هي

(٢٤) تصغير كلمة cine سينما.

وشقيقاتها برؤية الصور المتسلسلة مرسومة على قطع من الزجاج،
والتي كانت تمثل مواقف مختلفة من أطرف ما يمكن. كم كانت
تبدولها بعيدة تلك الأيام السعيدة عندما كانت ناتشا بجوارها.
ناتشا! كانت تشتاق إلى رائحتها، رائحة حساء الشعيرة
والتشيلاكيليس (٢٥) والتشامبوررادو وصلصة المولكا خيتيه وخبز
بالقشدة وعبق الزمن الماضي، سيظل إلى الأبد فائقاً مذاق
طعامها، أتولها، شايها، ضحكاتها، كمادات صدغيها، طريقته
في تضيف شعرها و تغطيتها في الليل ورعايتها لها في المرض
وطهيها لها ما تشتهي و الشيكولاته المخفوقة التي كانت من
إعدادها. لو تستطيع إعادة لحظة واحدة من تلك الفترة لاسترجاع
قليل من سعادة تلك اللحظات و تستطيع إعداد كعكة عيد الظهور
بنفس حماس تلك الأيام! لو تستطيع أن تأكلها فيما بعد مع
شقيقاتها كما كان في الزمن الماضي، بين مزاح ونكات، عندما لم
تكونا بعد هي وروساورا في نزاع على حب رجل، عندما كانت
خيرتروديس لا تعرف أنها ستهرب من البيت وتعمل في بيت
دعارة وعندما كان يحدوها الأمل، بخروج دمية كعكة عيد الظهور
من نصيها، بأن ما تتمناه سوف يتم حرفياً بمعجزة. لقد علمتها
الحياة أن الأمور ليست بهذه السهولة، وأن قليلين الذين بالرغم من
ذكائهم هم الذين يستطيعون تحقيق رغباتهم على حساب ما يكون

(٢٥) لون من ألوان الطعام قوامه أقراص الذرة المطبوخة بمرق حار.

وأن الحصول على حق تحديد مسار حياتها الخاصة سوف يكلفها أكثر مما تتصور. كان عليها أن تتحمل هذا الصراع و حدها وكان ذلك ثقيلاً عليها. لو كانت أختها خيرتروديس على الأقل بجوارها! لكن كان يبدو ممكناً عودة ميت إلى الحياة على أن تعود خيرتروديس إلى البيت. لم تعد تسمع عنها أى أخبار، منذ أن سلمها نيكولاس ملبسها في بيت الدعارة الذي سقطت فيه. وأخيراً، تاركة في الهواء ذكرياتها بجانب قطع الشيكولاته التي انتهت من إعدادها لتوها، بدأت تيتا في إعداد كعكة عيد الظهور.

المقادير:

- ٣٠ جم من الخميرة الطازجة - كيلو ربيع من الدقيق -
- ٨ بيضات - ملعقة كبيرة من الملح - ٢ ملعقة من ماء الزهر
- فنجان ونصف من الحليب - ٣٠٠ جم من السكر -
- ٣٠٠ جم من الزبد - ٢٥٠ جم من الفاكهة المجففة - دمية
- من الخبز

طريقة العمل

تخلط الخميرة باليدن أو بشوكة مع ربيع كيلو من الدقيق مع إضافة قليلاً بقليل ١/٢ فنجان من الحليب الدافئ. عندما تخلط المقادير جيداً تعجن قليلاً وتترك لتخمر على شكل كرة حتى يصبح العجين ضعف حجمه.

ظهرت روساورا في المطبخ في نفس اللحظة التي تركت فيها ليتا العجين ليخمر. جاءت تطلب مساعدتها في تنفيذ نظام الطعام الخاص الذي وضعه لها جون. فمئذ أسابيع وهى تعاني من مشاكل خطيرة في الهضم، كانت تعاني من غازات ورائحة كريهة بالفم. كانت روساورا تشعر بالكرب نتيجة هذه التقلبات إلى درجة أنها اضطرت إلى اتخاذ قرار بأن تنام هى ويبدو في غرفتين منفصلتين. كانت بهذه الطريقة تقلل من معاناتها بأن تطرد الغازات حسب راحتها. كان جون قد أوصاها بالامتناع عن أغذية مثل الجذريات والبقول، وأن تمارس نشاطاً جسمانياً. كان الأمر الأخير صعباً عليها لشدة بذاتها. لم يكن هناك تفسير لسبب أنها منذ أن عادت للإقامة في المزرعة، وقد بدأت في البدانة بهذه الدرجة، فقد كانت تاكل بشكل معتاد. ولكن كان تحريك جسدها الهلامى الضخم يكلفها مجهوداً كبيراً. كل هذه المساوئ كانت تسبب لها مشاكل لا حصر لها، ولكن أخطرها كان تزايد تباعد يبدو عنها يوماً بعد يوم. لم تكن تلومه: فهى بنفسها لم تكن تتحمل رائحة غازاتها الكريهة. لم تعد تتحمل أكثر من ذلك.

كانت أول مرة تفتح فيها روساورا قلبها لليتا وتناقش معها هذه المواضيع. بل واعترفت لها أنها لم تتقرب منها من قبل لغيرتها منها. فقد كانت تعتقد أن بينها وبين يبدو علاقة عاطفية دفيئة، مستترة خلف الظواهر. لكنها الآن وهى ترى مدى حبها

لجون وقرب زواجها منه، فإنها قد أدركت استحالة استمرارها في أن تكن هذا النوع من الظنون. اعترفت لها بأن مازال هناك الوقت لإقامة صلة طيبة بينهما. والحقيقة أن العلاقة روساورا - تيتا كانت حتى الآن مثل التي بين الماء في الزيت المغلى! رجتها والدموع في عينيها بأن تقدم لها معروف ألا تحمل لها أى حق، لأنها تزوجت بيدرو. وطلبت منها نصيحتها لاسترداده. كما لو كانت هي المؤهلة لإعطائها ذلك النوع من النصائح! قالت لها روساورا بحزن إن بيدرو لم يقترب منها عاطفياً منذ شهور. كان يتهرب منها بالفعل. لم يكن هذا يشغلها كثيراً فلم يكن بيدرو ممن يميلون للإفراط الجنسي. ولكن مؤخراً لم يكن كذلك فقط، وإنما لاحظت من تصرفاته رفضاً صريحاً لشخصها.

وأكثر من ذلك، أنها تستطيع أن تحدد بالضبط منذ متى، أنها تتذكر تماماً. منذ الليلة التي بدأ فيها شبح ماما إيلينا في الظهور. كانت هي مستيقظة في انتظار عودة بيدرو من نزهة كان يقوم بها. عندما عاد، لم يلتفت حتى لروايتها عن الشبح، كان مثل الغائب. حاولت أثناء الليل أن تعانقه، لكنه، إما كان مستغرقاً في النوم، أو كان يتظاهر بذلك، فلم يستجب لتلميحاتها. بعد ذلك سمعته وهو يبكي بصوت خافت. ولكنها تظاهرت بدورها أنها لم تسمعه.

كانت تشعر أن بدانتها وغازات بطنها ورائحة فمها الكريهة

تبعد يبدرو عنها بشكل قاطع كل يوم أكثر ولم تكن تجد حلاً لذلك. وعليه فقد طلبت منها مساعدتها. كانت تحتاجها أكثر من أى وقت مضى ولم يكن أمامها أحد سواها للجوء إليه. كان موقفها يزداد خطورة يوماً بعد يوم. لم تكن تعرف كيف سيكون رد فعلها لما "سيقولون" إذا هجرها يبدرو، لن تتحمل ذلك. كان عزاؤها الوحيد الباقي لها هو على الأقل ابنتها اسبرانشا، فهي عليها واجب البقاء بجانبها إلى الأبد.

حتى هذه اللحظة كان كل شئ يسير على ما يرام، فالكلمات الأولى لروساورا سببت وخزاً في ضمير تيتا. ولكنها ما أن سمعت للمرة الثانية ما سيكون مصير اسبرانشا حتى بذلت مجهوداً كبيراً حتى لا تصرخ في أختها بأن هذه الفكرة كانت من أضل الأفكار التي سمعتها في حياتها. لم تستطع في هذه اللحظات أن تبدأ نقاشاً بينهما يمكن أن يؤدي إلى القضاء على حسن النية التي كانت تشعر بها نحو روساورا لتعويضها عن الألم الذي كانت تسببه لها. هكذا وبدلاً من أن تشطح بأفكارها، وعدت أختها بأن تعد لها نظاماً غذائياً خاصاً لمساعدتها على خفض وزنها. وأعدت لها بلطف وصفة سهلة ضد رائحة الفم الكريهة: "أساس رائحة الفم الكريهة يكون المعدة و الأسباب التي تساهم في وجودها متعددة. ولإزالتها يجب البدء بعمل غرغرة من الماء والملح، مع استنشاقه في نفس الوقت من الأنف،

والمخلوط ببعض قطرات خل الكافور المسحوق. يجب في نفس الوقت مضغ أوراق النعناع باستمرار. إن المواظبة على الخطة المطروحة تكون كفيلة وحدها بتطهير أكثر روائح الفم كراهة " .

شكرت روساورا تيتا شكراً لا حدود له لمعاونتها و خرجت مسرعة إلى الحديقة لجمع أوراق النعناع، ولكن ليس قبل أن تتوسل إليها بأن تتكتم تماماً هذا الموضوع الحساس. ظهر ارتياح كبير على وجه روساورا. على عكس تيتا التي كانت محطمة. ما هذا الذي فعلته ! كيف يمكن تعويض الضرر لروساورا و ليبدو ولها ذاتها و لجون ؟ وبأى وجه سوف تستقبله خلال أيام، عندما يعود من رحلته ؟ جون، الإنسان الوحيد الذي له أفضال يشكر عليها، جون، الذي أعاد إليها سلامة عقلها، جون، الذي عرفها طريق الحرية.

جون، السلام، السكينة، الصواب. إنه لا يستحق في الحقيقة هذا! ماذا القول له، ما العمل ؟ كان الأفضل مؤقتاً متابعة إعداد كعكة عيد الظهور، فقد أصبحت العجينة التي تركتها لتخمّر بينما كانت تتحدث مع روساورا، جاهزة للخطوة التالية :

تكوّن دائرة بكيلو الدقيق فوق المنضدة و توضع في وسطها كل المقادير ،ويبدأ في عجنها مبتدئين من الوسط، و نأخذ قليلاً بقليل من دقيق الدائرة حتى يمزج بأكمله. وعندما يزداد حجم العجين الذي به الخميرة إلى الضعف، يخلط مع هذا العجين

الآخر خلطاً تاماً حتى نصل إلى أن ينفصل من اليدين بكل سهولة. يتم إزالة العجين الملتصق بالمنضدة بواسطة حسكة سنبلية ويضاف أيضاً إلى باقي العجين. عندئذ يتم وضع العجين في وعاء عميق مدهون بالسمن. يغطى بفوطة و ينتظر أن يرتفع من جديد للضعف. يجب الأخذ في الاعتبار أن العجين يحتاج إلى حوالى ساعتين حتى يتضاعف حجمه، ومن المهم أن يتم ذلك ثلاث مرات، قبل إمكانية وضعة في الفرن.

عندما كانت تيتا تغطى الوعاء الذي وضعت به العجين ليخمر بفوطة، ضربت عاصفة ريح قوية باب المطبخ ففتحه على مصراعيه وأدت إلى غزوه ببرد قارس. طارت الفوطة في الهواء وسرت في ظهر تيتا رجفة جليدية. أدارت ظهرها ووقفت مذهولة وجهاً لوجه أمام ماما إيلينا التي كانت تنظر لها بحدة.

- قلت لك عدة مرات ألا تقربى ييدرو. لماذا فعلت ذلك ؟

- ... أنا حاولت ذلك يا مامى ... لكن ...

- لكن لا شيء! إن ما فعلته ليس له اسم! هل نسيت ما هى الأخلاق، والاحترام و العادات الحسنة! أنت لا تساوين شيئاً، أنت إنسانة حقيرة لا تحترم حتى ذاتها. لقد لوثت اسم العائلة كلها، من أول اسم لأسلافى إلى اسم ذلك المخلوق اللعين الذي تحملينه بين أحشائك!

- لا ! ابني ليس ملعوناً!

- نعم هو كذلك ! أنا ألعنه ! هو و أنت إلى الأبد!

- لا ، أرجوكِ.

أدى دخول تشينتشا المطبخ إلى أن أدارت ماما إيلينا ظهرها وخرجت من نفس الباب الذي كانت قد دخلت منه .

- أغلقى الباب يابتنى ، ألا ترين برودة الجو ؟ أراك مؤخراً شاردة للغاية . ماذا يحدث لك ؟

لا شيء . كل ما كان يحدث لها هو أن الدورة الشهرية تأخرت لديها شهراً ؛ والشك في أن تكون حاملاً ؛ كان عليها أن تقول ذلك لجون عندما يعود للزواج منها ، عليها أن تلغى ذلك الزواج ، عليها أن تغادر تلك المزرعة إذا كانت ترغب في أن تلد مولودها بلا مشاكل ، عليها أن ترفض ييدرو إلى الأبد ؛ لأنها لا تريد أن تسبب آلاماً أكثر من ذلك لروساورا .

ذلك كل ما كان يحدث لها ! لكنها لم تكن تستطيع النطق به . فإنها لو فعلت ذلك مع تشينتشا ذات الطبيعة المحبة للحديث عن سيرة الناس ، فسوف تعرفه القرية في اليوم التالى . فضلت عدم إعطائها أية إجابة وأن تغير الموضوع في عجلة ، بنفس الطريقة التي كانت تشينتشا تتبعها معها عندما كانت تفاجئها في خطأ ما .

- ياللبشاعة! إن العجين يطفح. دعيني أكمل الكعكة، وإلا فسوف يهبط الليل علينا دون أن ننتهي.

لم يكن العجين يطفح بعد من الوعاء الذي وضعت فيه ليخمر، ولكنها كانت حجة مثالية لإبعاد انتباه تشيتشا إلى موضوع آخر.

عندما يتضاعف حجم العجين للمرة الثانية، يفرغ على المائدة ونصنع منه مستطيلاً. ويوضع في وسطه، إذا ما رغب، بعض الفواكه المكسوة والمقطعة. وإلا، فيكتفى فقط بالدمية الخزفية التي توضع في مكان غير معين. يتم لف المستطيل بوضع أحد طرفيه فوق الآخر ويوضع فوق صاج مدهون بالسمن و الدقيق مع وضع الوصلة إلى أسفل. وتأخذ شكل الكعكة اللولبية مع ترك مسافة كافية بينها وبين حواف الصاج لأن حجم العجين سوف يتضاعف مرة أخرى. في أثناء ذلك يتم إشعال الفرن للحصول على درجة حرارة مناسبة في المطبخ، إلى أن تنتهي عملية تخمر العجين.

قبل وضع الدمية الخزفية في الكعكة، تأملتها تينا بتمعن. حسب التقليد، فإن ليلة السادس من يناير تقطع الكعكة و الشخص الذي يجد الدمية المخبأة داخل الكعكة فإنه يكون مضطراً إلى إقامة حفل يوم الثاني من فبراير، يوم تطهير العذراء، وهو

يوم رفع المسيح الطفل . منذ أن كن أطفالاً وقد تحول هذا التقليد إلى نوع من المنافسة بينها وبين أخواتها . كانت تعتبر محظوظة جداً من يحالفها الحظ و تجد هي الدمية . فكانت تستطيع في الليل أن تطلب أمنية وهي تضغط عليها بقوة بكلتا يديها .

كانت تفكر وهي تتأمل بدقة التقاطيع الدقيقة للدمية كيف كان من السهولة تمنى أشياء خلال الطفولة . لم يكن هنالك حينئذٍ مستحيلات . عندما ينمو الإنسان فإنه يتنبه إلى كل ما لا يمكن أن يتمناه لأنه شئ محرم ، أثيم ، فاحش .

لكن ما هو الحياء ؟ أن يرفض الإنسان كل ما يريده حقيقة؟ ليتها ما كبرت بالمرّة ، ولا عرفت ييدرو ولا كانت مضطرة إلى الرغبة في ألا تكون حاملاً منه . ياليت أمها تتوقف عن تعذيبها ، وعن ملاقاتها في كل ركن وأن تصرخ فيها لحسة سلوكها . ليت اسيرائنا تتزوج دون أن تستطيع روساورا منعها وألا تعرف أبداً تلك الهموم والآلام ! ليت هذه الطفلة يكون لديها القوة التي كانت عند خيرتروديس لتهرب من البيت ، في حالة ضرورة ذلك ! ليت خيرتروديس تعود إلى البيت لتعطى تيتا المساندة التي كانت في حاجة شديدة إليها في هذه اللحظات ! . أدخلت الدمية وهي تطلب الأمنيات في الكعكة و تركتها فوق المنضدة ، حتى تنابع مضاعفة حجمها .

عندما يتضاعف حجم العجين للمرة الثالثة، تزين بالفواكه المجففة، و يدهن سطحها ببيضة مخفوقة و يوضع فوقها السكر. توضع في الفرن لمدة عشرين دقيقة ثم تترك لتبرد.

بعد أن تم تجهيز الكعكة، طلبت تيتا من بيدرو مساعدتها في حملها إلى المنضدة. كان بإمكانها طلب مساعدة أى كان ولكنها كانت تحتاج إلى التحدث إليه على انفراد.

- بيدرو، أريد التحدث إليك على انفراد.

- هذا سهل جداً. لماذا لا تذهبين إلى الحجرة المظلمة ؟ يمكن هناك التحدث دون أن يضايقنا أحد. لى أيام وأنا في انتظار ذهابك.

- ما أريد ذكره يدور حول تلك الزيارات بالذات.

أدى دخول تشيتشا إلى قطع الحديث، جاءت تعلن أن أفراد أسرة لوبو وصلوا لتوهم وليس أمامهم سوى انتظارهما لقطع الكعكة. لم يكن حيثشذ أمام تيتا وبيدرو سوى إلغاء الحديث وحمل الكعكة إلى حجرة الطعام، حيث كان الانتظار بقلق. وهما يعبران الممر، رأت تيتا أمها واقفة بجانب حجرة الطعام، وهى تطلق نحوها نظرة حنق. توقفت تيتا. بدأ البولكيه في النباح لما إيلينا التي كانت تتجه نحو تيتا متوعدة. كان شعر ظهر الكلب منتصباً من الخوف وكان يسير بوضع دفاعي، إلى الوراء.

أدى انصعاقه إلى أن وضع إحدى أرجله الخلفية داخل المبولة النحاسية التي كانت في نهاية الممر، بجوار السرخس (٢٦)، و التي عند محاولته الخروج جرياً، دفعها بذيله على الأرض فروت كل الأنحاء بما كانت تحتويه .

أدى الضجيج إلى لفت إنتباه الاثنى عشر ضيفاً، الذين كانوا متجمعين في الصالة. أطلوا على الممر وهم فزعون وكان على بيدرو أن يشرح لهم أن البولكيه، ربما بسبب الشيخوخة، كان يأتي مؤخراً بهذا النوع من التصرفات الغامضة، لكن كل شيء تحت السيطرة. تنبّهت باكيثا لوبو بالطبع إلى أن تيتا كانت على وشك فقدان وعيها. طلبت أن يقوم آخر بمساعدة بيدرو في حمل الكعكة إلى حجرة الطعام، لأنها كانت ترى تيتا متوعكة. أخذتها من ذراعها و اصطحبها إلى الصالة. أشمموها نشادر وبعد لحظة استعادت وعيها تماماً. قرروا بعد ذلك التوجه إلى حجرة الطعام. وقبل الخروج، أوقفت باكيثا تيتا و سألتها:

- هل أنت بخير الآن ؟ ألاحظ أنك مازلت دائخة. وعليك نظرة! لو لم أكن أعلم تماماً أنك فتاة شريفة. لأقسمت أنك حامل.

أجابتها تيتا وهي تضحك محاولة عدم إعطائها أهمية:

(٢٦) نبات رينة.

- حامل ؟ لا يخطر سوى في بالك أنت فقط ! وما شأن النظرة بذلك؟

- أنا أستطيع أن أرى مباشرة في عيون أى امرأة متى تكون حاملاً.

شكرت تيتا ربها أن البولكيه قد أنقذها من جديد من موقف صعب، فالضجيج المستشاط الذي أثاره في الفناء تفادى أن تضطر إلى متابعة الحديث مع باكيثا. بالإضافة إلى نجاح البولكيه سمعت أصوات عدة أحصنة. كان كل المدعويين في البيت. من يكون في هذا الوقت ؟ توجهت تيتا مباشرة إلى الباب، فتحتة فرأت كيف يحتفى البولكيه بالشخص الذي جاء في مقدمة رفقة من الثوار. لم تتبين إلا عندما اقتربوا بما فيه الكفاية، فلم يكن سوى أختها خيرتروديس. كان يمتطى حصاناً بجانبها من أصبح الآن الجنرال خوان اليخاندريث، وهو نفسه الذي كان قد خطفها منذ زمن مضى. هبطت خيرتروديس من فوق الحصان، وقالت بصخب: كما لو لم يمض الزمن، إنها لعلمها أنه يوم تقطيع كعكة عيد الظهور، فإنها قد حضرت من أجل فنجان من الشيكولاته المخفوقة توأ. عانقتها تيتا وهى متأثرة وصاحبته مباشرة إلى المنضدة لتحقق لها رغبتها. كانوا يصنعونها في البيت بطريقة لا يجاريهم فيها أحد، فقد كانوا يهتمون جداً بكل خطوة من الخطوات المتبعة في عملها، من صنع الشيكولاته و حتى خفقها و

هو فصل آخر مهم جداً. إن عدم المهارة في خفقتها يمكن أن يؤدي إلى تحول أى شيكولاتة فائقة الجودة إلى غير مستساغة إما بسبب عدم غليها جيداً أو أنها زادت عن درجة غليانها أو أن قوامها غلُظ جداً أو حتى احترقت.

إن طريقة تفادى كل العيوب السابقة بسيطة جداً: يوضع على النار لوح شيكولاتة مع الماء. يجب أن تكون كمية الماء أكبر بقليل من التي يحتاجها ملء الوعاء الذي ستغلى فيه. وعند أول غليان، تبعد عن النار وتذاب الشيكولاتة تماماً، تضرب بمضرب حتى تختلط تماماً بالماء. ثم ترفع مرة أخرى على النار. وعندما تغلى مرة أخرى و تبدأ في الفوران، ترفع من فوق النار. ثم توضع مرة أخرى مباشرة وهكذا حتى تبدأ في الغليان للمرة الثالثة. عندئذ ترفع من فوق النار للمرة الأخيرة و تخفق. يغرف نصفها في وعاء و يخفق الباقي مرة أخرى. عندئذ تغرف كلها بحيث تمتلئ حواف الوعاء بالرغاوى. يمكن أيضاً صنعها بالحليب بدلاً من الماء. ولكن في هذه الحالة تغلى مرة واحدة فقط وفي المرة الثانية توضع على النار وتخفق حتى لا يغلظ قوامها أكثر من اللازم. إن الشيكولاتة المخفوقة المعدة بالماء تكون أسهل هضماً من التي بالحليب.

كانت خيرتروديس تغلق عينيها في كل مرة ترتشف فيها من فنجان الشيكولاتة الذي كان أمامها. إن الحياة تكون أكثر حلاوة إذا

استطاع الإنسان أن يحمل إلى أي مكان يشاء نكهات و روائح بيت الأم. حسناً، إن هذا لم يعد بيت أمها. إن أمها قد ماتت دون أن تدري.

شعرت بالحزن الشديد عندما أخبرتها تيتا بذلك. لقد عادت بهدف أن تثبت لماما إيلينا إنها انتصرت في الحياة. كانت جنرالة في الجيش الثوري. لقد فازت بهذا المنصب بالجهد، بكفاحها الذي لا يضارع في ميدان المعركة. كانت تحمل في دماغها موهبة القيادة، ولهذا عندما انضمت إلى الجيش، بدأت بسرعة في الترقى في مناصب السلطة إلى أن وصلت إلى أفضل منصب، وليس ذلك فقط، عادت سعيدة متزوجة من خوان. كانت قد قابلته بعد عام لم تره فيه وقد بعثت بينهما نفس العاطفة التي كانت يوم أن تعارفا. ماذا يمكن أن يطلب الإنسان أكثر من ذلك! كم كانت تتمنى أن تراها أمها وكم كانت ترغب في أن تعود لرؤيتها، حتى لو كان فقط لكي تشير لها بنظرتها أن عليها أن تستخدم القوطة لتنظيف بقايا الشيكولاته التي فوق شفتيها.

كانت هذه الشيكولاته معدة مثل الأيام الماضية.

تضرعت خيرترووديس بصلاة في صمت و عيناها مغمضتان راجية أن تعيش تيتا سنوات طويلة أكثر لتطبخ و صفات العائلة. فلا هي ولا روساورا كانت لديهما المعرفة بذلك. وعليه فإن اليوم الذي تموت فيه تيتا ستموت معها المعرفة بذلك. عندما انتهى

الجميع من العشاء انتقلوا إلى الصالة حيث بدأ الرقص . كان الصالون مضيئاً تماماً بكمية هائلة من الشموع . أدهش خوان المدعويين بروعة عزفه للجيتارة و الهارمونيك والاكورديون . كانت خيرتروديس تتابع نغمات القطع الموسيقية التي كان خوان يعزفها وهي تضرب الأرض بطرف حذاءها ذى الرقبة .

كانت تنظر له بفخر من نهاية الصالون حيث كانت محاطة بحاشية من المعجبين يحاصرونها بأسئلة حول مشاركتها في الثورة . كانت خيرتروديس تروى لهم بطلاقة كبيرة ، وهي تدخن ، حكايات خيالية عن المعارك التي اشتركت فيها . كانوا مندهشين في تلك اللحظة و هى تروى لهم كيف كانت أول عملية إعدام أمرت بها . ولكنها بدون أن تتمالك نفسها ، قطعت الحكاية و اندفعت إلى وسط الصالون حيث بدأت في الرقص بظرف رقصة البولكا ^(٢٧) خيزويتا في تشيهوا هوا ، التي كان خوان يعزفها بمهارة على الأكورديون الشمالى ، كانت ترفع جونلتها حتى الركبة بفجور وهي تومئ بعدم حياء مفرط .

أدى هذا السلوك إلى تعليقات مستنكرة من جانب النساء المجتمععات هناك .

قالت روساورا لتيتا في أذنها .

- لست أدرى من أين أتت خيرتروديس بتلك الحركات

(٢٧) اسم رقصة بوهيمية الاصل .

الراقصة. إن ماما إيلينا لم يكن يعجبها الرقص ويقولون إن بابا كان رقصه سيئاً للغاية.

هزت تيتا كتفيها كعلامة إجابة، بالرغم من أنها كانت تعرف تماماً ممن ورثت خيرترووديس الرقص و أشياء أخرى. كانت تعتقد أن هذا السر سوف تحمله معها حتى إلى القبر، ولكنها لم تستطع ذلك. فبعد عام وضعت خيرترووديس ابناً أسمر. ثار خوان وهدد بهجرها. فلم يغفر لخيرترووديس عودتها إلى سوء. عندئذ قامت تيتا، إنقاذاً لذلك الزواج، بالاعتراف بكل شيء. لحسن الحظ لم تكن قد تجرأت على حرق الرسائل، أما الآن ومع " الماضي الأسود " لأمها، فإن هذه الخطابات قد ساعدتها تماماً كدليل على إظهار براءة خيرترووديس.

على كل الأحوال كانت صدمة صعب استيعابها، لكن على الأقل لم ينفصلا، بل عاشا معاً للأبد وأمضيا أوقاتاً وهما سعيدان أكثر منهما حانقين.

وكما كانت تعلم سبب رقص خيرترووديس، علمت سبب فشل زواج أختها وسبب حملها. كانت ترغب الآن في معرفة الحل الأفضل. كان ذلك هو الأمر الهام. ومن حسن الحظ أن لديها الآن من يمكن أن تأمنه على همومها. كانت تأمل في بقاء خيرترووديس في المزرعة وقتاً كافياً لتستطيع سماعها وإسداء النصيحة لها. كانت تشيئتشتا تتمنى عكس ذلك. كانت غاضبة من

خيرتروديس، حسناً، ليس منها بالذات بل من العمل الذي كانت تتولاه في خدمة جنودها. فبدلاً من أن تستمتع بالعيد، كان عليها في تلك الساعة من الليل أن تضع منضدة كبيرة في الفناء و صنع شيكولاته لخمسين رجلاً من جنودها.

الفصل العاشر

التدبير

حلو تورينجاس (٢٨) القشدة المضروبة بالسكر

المقادير:

٦ بيضات - فنجان من القشدة وسكر البودرة - قرفة

- زيت للقلی - شراب للسقى

(٢٨) قطع من الخبز تسقى بالحليب أو النيز أو السكر وتقلی.

طريقة العمل

يُكسر البيض ويُفصل البياض عن الصفار. يُلَبَّ صفار الست بيضات مع فنجان القشدة المضروبة بالسكر. تخفق المقادير حتى تلين. عندئذ تصب في إناء مدهون بالزبد. لا يجب أن يزيد سمك هذا الخليط عن ارتفاع إصبع داخل صينية التورته. يوضع فوق نار هادئة جداً ويترك حتى يتماسك.

كانت تيتا تعد تلك الأكلة استجابة لطلب صريح من خيرتروديس، لأنه كان طبقها المفضل. لم تأكله منذ فترة طويلة وكانت تريد تناوله قبل ترك المزرعة في اليوم التالي. كانت أمضت في البيت أسبوعاً واحداً فقط وهو أكثر بكثير مما كانت خططته. بينما كانت خيرتروديس تدهن الإناء الذي ستضع فيه تيتا القشدة المضروبة بالسكر، لم تتوقف عن الكلام، كان لديها الكثير لروايته لها حتى إنها لو ظلت شهراً تتحدث فيه نهائياً وليلاً ما استطاعت استنفاده. كانت تيتا تستمع لها باهتمام كبير، كانت تخشى توقفها عن الكلام، لأن حيثئذ سيأتي دورها في ذلك. كانت تعلم أنه لم

يعد أمامها سوى اليوم فقط لتحكى لخير تروديس مشكلتها وبالرغم من أنها كانت لديها رغبة قاتلة في مصارحة أختها بما في صدرها، كانت تملؤها الهموم للموقف الذي يمكن أن تتخذه هذه منها. كانت إقامة خير تروديس وفرقتها في البيت قد وفرت لتيثا راحة نفسية كبيرة بدلاً من أن تثقل عليها بالعمل.

فوجود أناس بهذا الكم في كل أنحاء البيت و الأفنية، جعل من المستحيل التحدث مع بيدرو وأن يطلب منها لقاء في الحجرة المظلمة. كان ذلك يشعر تيثا بالراحة، فلم تكن بعد مستعدة للتحدث معه. فقبل أن تفعل ذلك كانت ترغب في دراسة الحلول الممكنة لمشكلة حملها جيداً، وأن تتخذ قراراً. فمن جهة كانت هي وبيدرو وفي الأخرى كانت أختها في وضع غير موات بالمرّة، لم يكن لدى روساورا شخصية، كانت تهماها جداً المظاهر في المجتمع، ظلت على بدانتها وكريهة الرائحة، فلم تستطع ولا بالعلاج الذي أعطته لها تيثا أن تهدئ من حدة مشكلتها. ماذا يمكن أن يحدث إذا هجرها بيدرو بسببها ؟ كم ستُضر روساورا ؟ ماذا سيحدث لاسبرانثا ؟

- لقد سئمت حديثي. أليس كذلك ؟

- بالطبع لا يا خير تروديس. لماذا تقولين ذلك ؟

- لا لشئ سوى لأننى أراك شاردة النظرات منذ برهة.

فأخبريني ماذا بك ؟ هل يتعلق الأمر ببيدرو، حقاً ؟

- نعم .

- إذا كنت مازلت تحببته . كيف إذن ستتزوجين من جون ؟

- لن أستطيع أن أتزوجه ، لا أستطيع ذلك .

عانقت تيتا خيرترووديس وبكت على كفها بصمتٍ .

ربتت خيرترووديس على شعرها بحنان . ولكن دون أن تهمل
حلو التورريخاس الذي كان على الموقد . سيكون مؤسفاً ألا
تستطيع أكله . ولما كان على وشك الاحتراق ، أبعدت تيتا عنها
وقالت بركة :

- دعيني فقط أرفع هذا من فوق النار وتتابعى البكاء حالاً .
أليس كذلك ؟

لم يكن أمام تيتا إلا أن تضحك لأن خيرترووديس في تلك
اللحظات كانت أكثر انشغالاً بمستقبل التورريخاس أكثر منها ، كان
هذا التصرف مفهوماً بالطبع ، فمن جهة كانت خيرترووديس تجهل
خطورة مشكلة أختها ومن جهة أخرى كانت لديها رغبة قوية في
أكل التورريخاس .

سحبت تيتا بنفسها وهي تمسح دموعها ، الحلة من فوق
النار ، لأن يد خيرترووديس احترقت وهي تحاول ذلك .

عندما تبرد فطيرات القشدة، تقطّع إلى مكعبات صغيرة، في حجم لا يجعلها سهلة الكسر. يضرب البياض لكي تغمس فيه مكعبات القشدة ثم تقلّى بعد ذلك في الزيت. وأخيراً توضع في شراب السكر وترش بالقرفة المطحونة.

وبينما تركتا مكعبات القشدة لتبرد لإمكانية رشها بعد ذلك، اعترفت تيتا لخيرترووديس بكل مشاكلها. أظهرت لها كيف أن بطنها متنفخ وأن ملابسها وجونلاتها قد ضاقت عليها. ثم حكّت لها كيف عند استيقاظها كل صباح كانت تشعر بدوار وغشيان وكيف أن نهديها يؤلمانها بشدة ولا تتحمل أن يلمسها أحد. وفي النهاية، كمن لا يرغب في الأمر، قالت لها إن ذلك قد يكون، من يدري، ربما، محتمل جداً، بسبب أنها في بداية حمل.

استمعت لها خيرترووديس بهدوء وبدون أى اندهاش ولو للحظة. فخلال الثورة كانت قد رأت وسمعت أشياء أسوأ من هذه بكثير.

- أخبريني، هل تعلم روساورا بذلك ؟

- لا، لا أعلم ماذا ستفعل إذا علمت بالحقيقة.

- الحقيقة! الحقيقة! انظري يا تيتا، الحقيقة البحتة هو أن الحقيقة ليست قائمة، إنها تعتمد على وجهة نظر كل إنسان. فمثلاً، في حالتك، يمكن أن تكون الحقيقة أن روساورا قد

تزوجت من بيدرو، بسوء نية، دون أن يهمها قيد أنملة أنكما كنتما متحابين بحق، حقيقي أننى لا أكذب ؟

- بلى . لكن المسألة هى أنها هى الآن الزوجة، ولست أنا .

- وما أهمية ذلك ! هل غيّر ذلك الزواج شيئاً فيما كان بيدرو وأنت تشعران بحق ؟

- لا .

- لا حقيقة ؟ بالطبع ! لأن ذلك هو أحد أشد حالات الحب صدقاً التي رأيتهما بحق في حياتى . وقد ارتكبتما أنت وبيدرو خطأ بكتمان حقيقته . لكن مازال الوقت أمامكما . انظرى، لقد ماتت ماما، والحقيقة أنها لم تكن تفهم الأسباب، لكن الأمر مع روساورا مختلف، فهى تعلم جيداً الحقيقة ويجب أن تفهمها، بل وأكثر من ذلك، أعتقد أنها كانت تعيها دائماً في أعماقها . لذلك فليس أمامكما إلا إعلان حقيقة ما بينكما ووضع نهاية لذلك .

- أتنصحينى إذن بأن أتحدث معها ؟

- انظرى، إننى أخبرك بما يمكن أن أفعله لو كنت مكانك، لماذا لا تذهبين لإعداد شراب السكر الخاص بحلو التورريخاس ؟ أقول، لكى نبكر، لأن في الحقيقة الوقت بدأ يتأخر . قبلت تينا الاقتراح وبدأت في عمل شراب السكر، وهى تفكر في كلمات

أختها بالتفصيل. كانت خيرترووديس تجلس في مواجهة باب المطبخ الذي يقضى إلى الفناء الخلفى، وكانت تيتا على الجانب الآخر من المنضدة وظهرها للباب، مما كان مستحيلاً معه أن ترى بيدرو وهو قادم نحو المطبخ، وهو يحمل جوالاً من الفاصوليا لإطعام فرقة الجنود. عندئذ حسبت خيرترووديس استراتيجياً، مستغلة خبرتها الكبيرة في ميدان المعركة، الزمن الذي سوف يستغرقه بيدرو ليجتاز عتبة الباب، لتطلق نحوه في تلك اللحظة الدقيقة هذه الكلمات:

-... وأعتقد أنه من المستحسن إذن أن يعلم بيدرو أنك تنتظرين ابناً منه.

نجحت جداً في إصابة الهدف! فقد ترك بيدرو وهو مصعوق الجوال يسقط على الأرض. كان يموت حباً لتيتا التي أدارت ظهرها متزعجة فوجدت بيدرو الذي كان ينظر إليها متأثراً إلى درجة البكاء.

- بيدرو! من حسن الصدفة أنك جئت! إن أختي تريد أن تخبرك بشئ، لماذا لا تذهبان إلى البستان لتحدثا، بينما أكمل أنا إعداد شراب السكر؟

لم تكن تيتا تعرف هل تعاتب خيرترووديس أم تشكرها على تدخلها. سوف تحدثها فيما بعد، لكن الآن لم يكن أمامها سوف فعل ذلك مع بيدرو. أعطت تيتا لخيرترووديس وهى صامتة، الإناء

الذي كان بين يديها والذي كانت قد بدأت تعد فيه شراب السكر وأخرجت من درج المنضدة ورقة مجمعة مكتوب بها وصفة شراب السكر وتركتها لخيرتروديس حتى إذا ما احتاجتها. وخرجت من المطبخ يتبعها بيدرو.

كانت خيرتروديس في حاجة بالطبع للطريقة. فبدونها لا تستطيع عمل أى شيء! بدأت تقرأها بحرص محاولة اتباع خطواتها: يضرب بياض بيضة في ربع لتر ماء تقريباً لكل رطلين أو قالب من السكر، وبياض بيضتين في نصف لتر ماء تقريباً لخمسة أرطال من السكر وبنفس النسبة من أجل كمية أكبر أو أقل. يغلى شراب السكر حتى يفور ثلاث مرات، يهدأ الغليان بقليل من الماء البارد الذي يضاف إليه في كل مرة يفور فيها. عند ذلك يبعد عن النار، يترك ليبرد وتزال رغوته، يضاف إليه بعد ذلك قليل آخر من الماء مع قطعة من قشر البرتقال والينسون و القرنفل ويترك ليغلى. تزال رغوته مرة أخرى وعندما يصل إلى درجة الغليان و التكور، يصفى في منخل أو قطعة قماش مشدودة فوق إطار. كانت خيرتروديس تقرأ الوصفة وكأنها تقرأ هيروغليفي. لم تكن تفهم ما يعنيه كمية السكر عند ذكر خمسة أرطال سكر، ولا ما كان نصف لتر ماء ولا بالمرّة ماذا كانت تعنى نقطة التكور. كانت رأسها هي التي تكورت بحق! خرجت إلى الفناء في طلب لمساعدة تشييتشا.

كانت تشيئتشا على وشك الانتهاء من توزيع الفاصوليا على أخوانها في الدين الخامس مائدة إفطار. كانت هذه هي آخر مائدة عليها أن تخدمها، ولكن ما أن تنتهي من تقديم الطعام لهذه المائدة حتى كان عليها أن تضع القادمة، كي يأكل الشوار الذين هضموا طعامهم المقدس على مائدة الإفطار الأولى، وهكذا دواليك، إلى أن تنتهي من تقديم الطعام لآخر مائدة عشاء في الساعة العاشرة ليلاً. لذلك كان مفهوماً بالطبع أن تكون أكثر عنفاً وسريعة الهياج ضد كل من يقترب ليطلب منها أن تقوم بأى عمل إضافي. ولم تستثن خيرتروديس مهما كانت درجة " جنرالتها ". رفضت تشيئتشا تماماً أن تمد لها يد المساعدة. إنها لا تمثل عضواً من فرقتهما، ولا هناك سبب لطاعتها طاعة عمياء كما كان يفعل الرجال الذين كانوا تحت قيادتها.

التمست خيرتروديس اللجوء إلى أختها، ولكن إحساسها حال دون ذلك. لم تستطع بأى حال من الأحوال أن تقطع الحديث بين تيتا وبيدرو في هذه اللحظات التي يمكن أن تكون الأكثر حسماً في حياتهما.

كانت تيتا تسير ببطء بين أشجار الفاكهة بالبستان، كانت رائحة الزهر تختلط بعبير الياسمين، المميز لرائحة جسدها. كان بيدرو، بجوارها، يصطحبها من ذراعها بحنان بالغ.

- لماذا لم تخبريني بالأمر ؟

- لأننى كنت أريد اتخاذ قرار أولاً.

- وهل اتخذته ؟

- لا.

- إذن أعتقد أنه من المناسب قبل اتخاذ القرار أن تعلمى أن يكون لى ابن منك هو بالنسبة لى أكبر سعادة يمكن تحقيقها. ولكى أستمع بها كما يجب أريد أن نمضى بعيداً عن هنا.

- لا يمكننا أن نفكر في نفسينا فقط، فهناك روساورا واسبرانثا. ماذا سيكون من أمرهما ؟

لم يستطع بيدرو الرد عليها. لم يكن قد فكر فيهما حتى الآن، والحقيقة أنه لم يكن يرغب فى الإضرار بهما ولا التوقف عن رؤية ابنته الصغيرة. كان يرغب فى أن يكون هناك حل لصالح الجميع. كان عليه أن يجده. كان واثقاً على الأقل من شىء وهو أن تيتا لن تذهب من المزرعة مع جون براون.

أزعجهما صوت خلفهما. كان أحد ما يسير خلفهما، أطلق بيدرو بسرعة ذراع تيتا وأدار رأسه خفية ليرى من يكون. كان البولكيه، الذي كان يبحث عن أفضل مكان ينام فيه بعد أن ضجر من سماع صراخ خيرتروديس فى المطبخ. على كل حال قررا

إرجاء حديثهما لوقت آخر. فقد كان هناك أناس كثيرون في أرجاء البيت، وكان من المجازفة الحديث في هذه الأشياء شديدة الخصوصية.

لم تستطع خيرتروديس التي كانت بالمطبخ أن تجعل السيرجنت تريبينيو يعد شراب السكر كما تريد هي، بالرغم من الأوامر التي أعطتها له. كانت نادمة على أنها وثقت في تريبينيو في مهمة بهذه الأهمية، ولكن لأن خيرتروديس سألت مجموعة من الثوار عن يعرف ما هو الرطل فأجابها هو بسرعة أن رطل يعادل ٤٦٠ جم وأن "كوارتيو" يعنى ربع لتر، فاعتقدت هي أنه يفهم الكثير في المطبخ، ولم يكن كذلك.

الحقيقة أنها كانت المرة الأولى التي يخفق فيها تريبينيو في شئ تكلفه به. إنها تتذكر أنه في مرة كان عليه أن يكتشف أحد الجواسيس كان قد اندس بين الفرقة.

كانت إحدى الجنديات، وهي عشيقته، قد علمت بنشاطاته عندئذ أطلق عليها الرصاص بلا رحمة قبل أن تبلغ عنه. كانت خيرتروديس عائدة من الاستحمام في النهر ووجدتها تحتضر. استطاعت الجندي أن تعطيها علامة للتعرف على شخصيته. فقد كان لدى الخائن شامة حمراء على شكل عنكبوت في بطن فخذه. لم يكن باستطاعة خيرتروديس فحص كل الرجال فبالإضافة

إلى أن ذلك يعرضها للتأويلات السيئة، فإن الخائن كان يمكن أن يشك ويهرب قبل أن يجذوه. عندئذ كلفت تريينيو بالمهمة. لم تكن بالنسبة له هو الآخر مهمة سهلة. فما كان يمكن أن يظن في شخصه أسوأ مما يمكن أن يظنوه في خيرتروديس إذا ما أخذ في تقصى شكل منطقة ما بين فخذي جميع أفراد الفرقة، انتظر تريينيو عندئذ بصبر حتى الوصول إلى سالتيو.

وبعد أن دخلوا المدينة مباشرة بدأ مهمة الطواف بكل بيوت الدعارة الموجودة وغزو قلوب جميع العاهرات بها مستغلاً فنونا لا تحصى. ولكن الفن الرئيسى كان معاملتهن معاملة السيدات المحترمات. كان يشعرهن بأنهن ملكات. كان مهذباً معهن ولطيفاً، وكان وهو يمارس معهن الحب يسمعهن أبياتاً شعرية وقصائد. لم تكن هنالك واحدة لم تقع في حباله ولا تكون على استعداد للعمل من أجل القضية الثورية.

بهذه الطريقة، لم يمر أكثر من ثلاثة أيام إلا وتم التعرف على الخائن ونصب كميناً له بمشاركة صديقاته العاهرات. فقد دخل الخائن في حجرة بيت دعارة مع شقراء مؤكسدة شعرها تسمى "لارونكا". وكان ينتظره خلف الباب تريينيو.

أغلق الأخير الباب بركلة من قدمه وباستعراض عنف لا مثيل له قتل الخائن ضرباً. وبعد أن فارق الحياة بتر له خصيتيه بسكين.

عندما سألته خيرتروديس لماذا قتلته بكل هذا الحق وليس بطلق نارى فقط، أجابها بأنها كانت عملية ثار. فمنذ زمن قام رجل كان لديه في بطن فخذه وحمة على شكل عنكبوت باغتصاب أمه وأخته. وكانت الأخيرة قد أفسدت له ذلك قبل الموت. بهذه الطريقة فإنه قد غسل عار أسرته. كان ذلك هو التصرف الوحش الوحيد الذي قام به تريتينو في حياته، وفيما عدا ذلك كان إنساناً رقيقاً وظريفاً حتى في القتل. كان يقوم به بنبل كبير. ومنذ أن قبض على الجاسوس واشتهر تريتينو بأنه زير نساء متمرس. ولم تبعد هذه الشهرة كثيراً عن الحقيقة، ولكن حب حياته كانت دائماً خيرتروديس. حاول هباءً غزو قلبها لسنوات طويلة ولكن دون أن يفقد الأمل. حتى التقت خيرتروديس ثانية بخوان. عندئذ تنبه إلى أنه قد فقدته إلى الأبد. إنه يخدمها الآن مثل كلب حارس، يحمي ظهرها، دون أن يتعد عنها ثانية واحدة.

كان واحداً من أفضل جنودها في ميدان المعركة، ولكنه في المطبخ لم يكن له أى دور. كان يؤلم خيرتروديس أن تبعده من هناك لأن تريتينو كان حساساً جداً وعندما كانت تلومه على شئ كان يرجعه إلى الشرب. هكذا لم يكن أمامها خيار آخر سوى الصبر على سوء اختيارها ومحاولة أن يكون كل شئ على أفضل ما يمكن. قرأ الاثنان، بحرص، خطوة بخطوة الوصفة وهما

يحاولان تفسير ما بها .

إذا ما أريد تنقية شراب السكر أكثر، إذا ما كان سيستخدم في تحلية المشروبات الروحية، فإنه بعد الخطوات المذكورة نمل الحلة أو الوعاء الذي يحتويه، ويترك ليروق ثم يصفى مما به من عوالق، أو، وهو نفس الشيء، يفصل عن الرواسب بأقل حركة ممكنة .

لم يكن في الوصفة شرح لما هي نقطة التكور، لهذا أمرت خيرتروديس السيرجنت أن يبحث عن الإجابة في كتاب كبير للطهي كان فوق دولا ب الأواني .

بذل تريينيو جهداً ليجد المعلومة المطلوبة، لكنه لأنه كان يقرأ بالكاد، كان يراجع ببطء بإصبعه كلمات الكتاب، أمام نفاد صبر خيرتروديس .

" هناك أكثر من درجة مميزة لنضج شراب السكر: شراب سكر خفيف، وخفيف جداً، ولؤلؤى وشراب سكر لؤلؤى رائد وغليظ وسن ريشة ومضبوط وسكر محروق وشراب السكر المتكور... "

- أخيراً! هاهو شراب السكر المتكور ياقائدتى!

- لئر، هات هنا! لقد أصابتني باليأس .

قرأت خيرتروديس للسيرجنت الإرشادات، بفصاحة وصوت

عال .

- " لمعرفة ما إذا كان شراب السكر قد وصل إلى هذه النقطة، تبلل الأصابع في جردل أو دورق ماء بارد ونقبض الشراب، ثم نعود فنضعها مرة أخرى سريعاً في الماء: فإذا ما تكور عندما يبرد وأصبح ملمسه كالعجين، فإنه يكون قد نضج عند درجة أو نقطة التكور ". فهمت ؟

- نعم، أعتقد ذلك يا قائدتي .

- أفضل لك لأنه لو لم يكن أقسم لكنت أمرت بقتلك رمياً بالرصاص!

كانت خيرترووديس قد استطاعت أخيراً أن تجمع كل المعلومات التي تبحث عنها، الآن لم يعد أمامها سوى أن يعد السيرجنت شراب السكر إعداداً جيداً، وتستطيع أخيراً أن تأكل حلو التورريخاس المتلفة جداً إليها .

قام تريينيوي، وهو يضع في اعتباره التهديد الذي كان يثقل كاهله إذا لم يظه بشكل جيد لقائدته، بمهمته بالرغم من عدم خبرته .

احتفى الجميع جداً بذلك . كان تريينيوي في منتهى السعادة وهو يحمل بنفسه إلى تيتا في غرفتها قرصاً من التورريخاس أرسلته لها خيرترووديس كإشارة نجاح له . لم تنزل تيتا لتأكل وأمضت المساء في السرير . دخل تريينيوي الغرفة ووضع الحلو فوق

مائدة صغيرة تستخدمها تيتا بشكل خاص عندما ترغب في تناول طعامها هناك وليس في حجرة الطعام. شكرته كثيراً لاهتمامه وهنأته، لأن حلو التورريخاس كان بالفعل لذيقاً. أسف تريينيو لشعور تيتا بتوعك فقد كان يسعد أن تقبل طلبه في أن يراقصها في الحفل الراقص الذي نظمته لوداع الجنرالة خيرتروديس. وعدته تيتا أنها يسعد بها أن تراقصه، إذا ما وجدت نفسها قادرة على النزول إلى الحفل. ذهب تريينيو بسرعة ليتحدث بفخر إلى كل الفرقة بما قد قالت له تيتا.

ما أن خرج السيرجنت حتى نامت تيتا من جديد في السرير، لم يكن لديها أى رغبة في التحرك من هناك، فقد كان انتفاخ بطنها لا يسمح لها بأن تظل جالسة لوقت طويل.

فكرت تيتا في كم المرات التي زرعت فيها ذرة وفاصوليا وبرسيماً وبعض البذور الأخرى و الحبوب، دون أن تكون لديها أى فكرة عن ما تشعر به تلك البذور وهى تنمو وتتغير بشكل جوهري. الآن تشعر بإعجاب بالوضع الذي كانت تفتح فيه جلدها وتجعل الماء يتخللها بحرية، حتى تنفلق وتعطى فرصة للحياة. بأى فخر كانت البذور تُخرج من داخلها أول طرف للجذر، بأى تواضع كانت تفقد شكلها الأول، بأى لطف كانت تظهر للعالم أوراقها. كان يسعد تيتا أن تكون بذرة متواضعة ليس عليها أن تضع اعتباراً لأحد لما يدور في داخلها، وأن تستطيع أن

تظهر للدنيا بطنها وهو ينبت دون أن تتعرض لرفض المجتمع . إن البذور لا تعاني هذا النوع من المشاكل ، وهى بشكل خاص ، ليس لديها أماً تخشاها ، ولا خوف من أن يحاكموها . حسناً ، لم يكن عند تيتا ، مادياً ، أم ، ولكنها لم تكن تستطيع أن تدفع عنها الإحساس بأنها سوف يُنزل بها ، بين لحظة وأخرى ، عقاب هائل من السماء ، بتشجيع ماما إيلينا . كان هذا الإحساس يلزمها بشدة : كانت تربط بينه وبين الخوف الذي كانت تشعر به عندما لم تكن تتبع في المطبخ الوصفات حرفياً . كانت تفعل ذلك دائماً وهى متأكدة بأن ماما إيلينا سوف تكتشفها وبدلاً من أن تحتفل بإبداعها كانت تلومها بشدة لأنها لم تحترم القواعد . لكنها لم تستطع تفادى الرغبة في انتهاك القواعد الصارمة جداً التي كانت أمها تريد فرضها داخل المطبخ . . . والحياة .

مكثت فترة طويلة للراحة ، ممتدة فوق السرير ونهضت مرة أخرى فقط عندما سمعت بيدرو يغنى تحت نافذتها أغنية عاطفية . وصلت تيتا بقفزة إلى النافذة وفتحتها . كيف يمكن أن يتجرأ بيدرو على فعل ذلك ! وعندما رآته ، عرفت السبب . فقد كان يبدو من على بعد أنه ثمل للغاية ، كان خوان بجواره يصاحبه بالجيتار .

استاءت تيتا للغاية ، ياليت روساورا تكون نائمة ، وإلا فكم سيكون ما سوف تثيره !

دخلت ماما إيلينا الحجرة حانقة وقالت لها :

- أرايت ما تتسبين فيه ؟ إنك أنت وييدرو وغدان. إذا أردت عدم إراقة دماء في هذا البيت، اذهبي إلى حيث لا تستطيعين إيذاء أحد، قبل أن يفوت الأوان.
- أنت التي يجب أن تذهبي لقد تعبت من إيلا مكي لي. اتركيني وشأني مرة واحدة!
- لن أفعل ذلك حتى تتصرفي مثل امرأة صالحة. أو بمعنى أصح حسب الأصول!
- وما هو التصرف بأصول ؟ كما كنت تفعلين ؟
- نعم.
- ذلك ما أفعله! أو أنك لم تكن لديك ابنة غير شرعية ؟
- سوف تهلكين لمحدثتي بهذه الطريقة!
- ليس أكثر مما أنت عليه!
- أغلقي فمك! ماذا تعتقدين في نفسك ؟
- أعتقد ما هو أنا! إنسانة لديها كل الحق في أن تعيش الحياة على أفضل ما يروق لها. اتركيني مرة واحدة، لم أعد أتحملك! بل أكثر من ذلك! إنني أكرهك وكنت أكرهك دائماً!
- ذكرت تيتا الكلمات السحرية لتختفي ماما إيلينا للأبد.

بدأت صورة أمها الهائلة تتضاءل إلى أن تحولت إلى ضوء صغير جداً. وبمقدار ما كان الشبح يتلاشى كانت الراحة تنمو داخل جسد تيتا. وبدأ انتفاخ بطنها وألم نهديها في الضعف، وتراخت عضلات بطنها مما أتاح الفرصة لخروج الطمث باندفاع.

خفف هذا التفريغ الذي كان محبوساً أياماً عديدة، من آلامها. تنفست بعمق وهدوء. لم تكن حاملاً.

ولكن مشاكلها لم تنته بذلك. فالضوء الصغير الذي آلت إليه صورة ماما إيلينا بدأ في التحرك بسرعة.

اخترق زجاج النافذة وخرج منطلقاً نحو الفناء، مثل لعبة نارية مجنونة لم ينتبه بيدرو وهو ثمل، للخطر. كان يغنى وهو سعيد جداً " استریتا " لمانويل بونثيه، تحت نافذة تيتا، وهو محاط بالثوار السكارى مثله. لم يشعر كل من خيرتروديس وخوان بالمصيبة. كانا يرقصان مثل مراهقين متحابين حديثاً تحت ضوء أحد مصابيح الزيت العديدة التي كانت مثورة في كل أنحاء الفناء لإضاءة الإحتفال. فجأة اقتربت اللعبة النارية من بيدرو ودارت بسرعة جنونية، وبهياج أدت إلى انفجار أقرب مصباح منه إلى ألف قطعة. نثر الزيت اللهب بسرعة فوق وجهه وجسد بيدرو.

سمعت تيتا، التي كانت تنتهي من اتخاذ الوسائل المناسبة لاستقبال طمثها، الضجة التي أدى إليها حادث بيدرو. وصلت

بسرعة إلى النافذة، فتحتها ورأت بيدرو وهو يجرى في كل الفناء متحولاً إلى شعلة بشرية. عندئذ انتهت خيرتروديس إلى الأمر، نزعت بسرعة أسفل فستانها وغطت به بيدرو وهي ترديه أرضاً.

لم تعرف تيتا كيف هبطت الدرج ولكنها كانت بجوار بيدرو خلال عشرين ثانية فقط. كانت خيرتروديس في تلك اللحظة تخلع له الملابس المحترقة. حمله عدة رجال بينهم بحرص لتوصيله إلى غرفته. أمسكت تيتا يد بيدرو الوحيدة التي لمحت من الحروق ولم تنفصل عنه. وعندما كانوا يصعدون به السلم، فتحت روساورا باب غرفتها.

أحست بسرعة برائحة قوية لريش محترق. اقتربت من السلم بنية الهبوط لترى ما يجرى، وهناك تقابلت مع المجموعة التي كانت تحمل بيدرو ملتحفاً بالدخان. كانت تيتا، بجواره، تبكى بحزن.

كانت أول محاولة لروساورا هي الإسراع لمساعدة زوجها. حاولت تيتا ترك يد بيدرو للسماح لروساورا من الاقتراب منه، لكن بيدرو، بين أنات وهو يخاطبها لأول مرة بأنثى، صرخ:

- لاتذهبي يا تيتا، لا تتركينى.

- لا يا بيدرو، لن أفعل ذلك.

تناولت تيتا من جديد يد بيدرو. نظرت روساورا و تيتا كل

منهما للأخرى للحظة بتحد. عندئذ أدركت روساورا أن ليس لديها ما تفعله هناك، دخلت غرقتها وأغلقت على نفسها بالمفتاح. ولم تخرج من هناك طوال أسبوع.

ولأن تيتا لم تستطع ولم تكن تريد الابتعاد عن جانب بيدرو فقد أمرت تشييتشا أن تحضر لها بياض بيض مخفوق مع زيت وكمية كبيرة من ثمرات البابا المهروسة جيداً. كانت هذه هي أفضل الطرق التي تعرفها لعلاج الحروق. يوضع بياض البيض بواسطة ريشة رقيقة فوق المنطقة المصابة، وتكرر العملية كلما جف فيها الدهان. ثم توضع بعد ذلك لزقة من البابا النيئة المهروسة لتقليل الالتهاب وتخفيف الألم.

أمضت تيتا طوال الليل وهي تجرى له هذه العلاجات المنزلية. بينما كانت تضع له لزقة البابا، كانت تتأمل وجه بيدرو المحبوب. لم يكن هناك أثر لحاجبيه الكثيفين ورموشه الطويلة. أما ذقنه المربعة فقد أخذت الآن شكلاً بيضاً بسبب تورمها. لم يكن يهم تيتا أن يظل به أى أثر ولكن ربما لبيدرو نعم. ماذا يوضع له لئلا يشفى؟ أعطتها ناتشا الإجابة، التي كانت قد أعطتها لها بدورها " ضوء الفجر " : أفضل شيء لهذه الحالات هو أن تضع لبيدرو قشرة شجرة التيبشكوتيه. أسرع تيتا إلى الفناء دون أن تبالي بأن الليل جن، أيقظت نيكولاس وأمرته بإحضار تلك القشرة، من أفضل ساحر في

المنطقة. وعند الفجر تقريباً استطاعت تهدة آلام بيدرو قليلاً، وأن ينام للحظة. استغلت ذلك للخروج لوداع خيرترووديس، فقد كانت تسمع منذ برهة خطوات وأصوات أفراد فرقتهما وهم يجهزون الأحصنة للرحيل.

تحدثت خيرترووديس طويلاً مع تيتا، أسفت لعدم تمكنها من البقاء لمساعدتها في المحنة، لأنها كانت قد بلغتها الأوامر بمهاجمة ثاكاتيكا. شكرتها خيرترووديس على اللحظات السعيدة التي أمضتها بجوارها ونصحتها بعدم التوقف عن الكفاح من أجل بيدرو وقبل أن تودعها أعطتها وصفاً كانت تستخدمها الجنديات لمنع الحمل؛ فبعد كل علاقة جنسية كن يغتسلن داخلياً بماء مطهر بالغلى به عدة قطرات من الخل. اقترب خوان منهما وقطع المحادثة، ليخبر خيرترووديس بأن ساعة الرحيل قد حانت.

عانق خوان تيتا بشدة وبعث لبيدرو، عن طريقها، أمنياته الطيبة بالشفاء. تعانقت تيتا وخيرترووديس وهما متأثرتان. امتطت خيرترووديس حصانها وذهبت. لم تكن فوق الحصان وحدها، كانت تحمل بجانبها، في الخرج، طفولتها حبيسة برطمان من حلو تورريخاس بالقشدة.

رأتهم تيتا يرحلون والدمع في عينيها. وتشيتشاً أيضاً، ولكن على العكس من دموع تيتا، كانت دموع السعادة. فأخيراً تستطيع الراحة!

عندما كانت تيتا تهم بدخول البيت من جديد سمعت
صيحة من تشيتشا:

- مستحيل! إنهم يعودون.

بالفعل، كان يبدو أن أحد أفراد الجند يعود إلى المزرعة،
ولكن كان من الصعب تبين من يكون نتيجة سحب الغبار التي
أثارها الأحصنة وهي ترحل.

أمعتسا النظر، علمتا بسعادة أنها عربية جون. لقد عاد.
شعرت تيتا عند رؤيته بالاضطراب تماماً. لم تكن تعلم ماذا
ستفعل ولا ماذا ستقول له. فمن جهة كانت سعيدة جداً لرؤيته،
ولكن، من جهة أخرى، كانت تشعر بالضيق الشديد؛ لأنه كان
عليها أن تلغى ارتباطها بالزواج منه. جاء جون إليها بباقة ورد
كبيرة. عانقها بانفعال وعندما قبلها تنبه إلى أن شيئاً قد تغير داخل
تيتا.

الفصل الحادى عشر

توفمبر

فاصوليا ناشفة بالفلل الحار على الطريقة التلوكاتانا

المقادير:

فاصوليا جافة - لحم خنزير - بقايا شحم خنزير - فلل
أحمر حار رومى - بصل - جبن مبشور - خس - ثمر
الافوكاتو - فجل - فلل أحمر حار بلدى من نوع تورنا -
زيتون

طريقة العمل

يتم سلق الفاصوليا أولاً في ماء و ملح تيكيسكيته (٢٩) ،
وبعد غسلها توضع مرة أخرى لتطهى مع قطع لحم الخنزير
والشحم .

كان أول ما فعلته تيتا عندما استيقظت في الخامسة صباحاً
هو وضع الفاصوليا لتسلق .

كان مدعوأ اليوم على الطعام كل من جون وعمته ماري ،
التي كانت قد جاءت من بنسلفانيا فقط لحضور زفاف تيتا وجون .
كانت العمه ماري تتشوق إلى التعرف على خطيبة ابن شقيقها
المفضل ولكنها لم تستطع ذلك لأن الوقت غير مناسب بسبب
ظروف بيدرو الصحية . انتظرا أسبوعاً حتى يتمثل للشفاء للقيام
بزيارة رسمية . كانت تيتا مستاءة للغاية لعدم استطاعتها إلغاء هذه
الزيارة لأن عمه جون كانت تبلغ من العمر ٨٠ عاماً وكانت قد

(٢٩) من أنواع الملح الطبيعي .

قدمت من بعيد جداً على أمل التعرف عليها فقط . كان أقل ما يمكن أن تقدمه تيتا للعممة مارى هو وجبة طيبة للمسنة الدمثة وجون، ولكن لم يكن لديها ما يمكن أن تقدمه لهما سوى نأ أنها لن تتزوج من جون . كانت تشعر بخواء تام، مثل طبق كبير لم يتبق فيه سوى فتات فطيرة رائعة كانت . بحثت عن مواد غذائية في حجرة الخزين ولكنها كانت خاوية منها، لم يكن لديها بالفعل أى شئ . لقد أتت زيارة خيرترووديس للمزرعة على المخزون . الشئ الوحيد الذي بقى في الشونة، بخلاف الذرة التي تستخدم في صنع عجة لذيذة، كان الأرز والفاصوليا . ولكنها بإرادة طيبة وابتكار استطاعت إعداد وجبة جيدة . فقائمة طعام مكونة من أرز، مور ماتشو (طوله ٣٠ سم) وفاصوليا على طريقة التشوكانا لن تكون شيئاً سيئاً بالمرة .

لأن الفاصوليا لم تكن جديدة كما يحدث في أوقات أخرى وتوقعاً أنها ستأخذ وقتاً أكثر من المعتاد حتى تنضج فإنها وضعتها على النار مبكراً وبينما كانت تنضج، انشغلت في إزالة عروق الفلفل الأحمر الحار العريض .

بعد إزالة عروق الفلفل، ينقع في ماء ساخن ثم يهرس في النهاية .

بعد أن تركت تيتا الفلفل منقوعاً في الماء، أعدت إفطار بيدرو وحملته له إلى حجرته .

كان قد شفى إلى حد ما من حروقه . لم تتوقف تيتا بالمرة عن أن تدهن له بقشرة التيشكويته وبهذا تفادت أن يبقى بيدرو أي آثار ندب . كان جون قد استحسن العلاج . وكان هو بنفسه يتابع منذ وقت ، بشغف ، التجارب باستخدام هذه القشرة والتي كانت جدته " ضوء الفجر " قد بدأتها . كان بيدرو ينتظر تيتا بلهفة . ف بجانب الوجبات اللذيذة التي كانت تحملها له يومياً ، كان هناك عنصر واضح آخر قد أثر في شفائه العجيب : الحوارات التي كانت تقيمها معه بعد أن يتناول غذائه . لكن هذا الصباح لم يكن عند تيتا الوقت لتتفرغ له ، كانت تريد أن تعد الطعام لجون على أكمل وجه ممكن . قال لها بيدرو وهو ينفجر من الغيرة :

- ماكان يجب عليك هو أنه بدلاً من دعوته على الطعام ، أن تخبريه مرة واحدة أنك لن تتزوجيه ، لأنك في انتظار ابن لى .
- لا أستطيع أن أخبره بذلك ، يا بيدرو .

- ماذا ؟ أتخشين إيذاء مشاعر السيد الدكتور .
- ليست المسألة أنني أخاف ، وإنما من غير العدل معاملة جون بتلك الطريقة ، إنه يستحق كل احترامى ويجب تحين اللحظة المناسبة لأتحدث إليه .

- إذا لم تفعل أنت ، فسوف أقوم أنا بذلك بنفسى .
- لا ، لن تقول شيئاً ؛ أولاً لأننى لن أسمح لك بذلك وثانياً ، لأننى لست حاملاً .

- ماذا ؟ ماذا تقولين ؟

- ماكنت أظنه حملاً كان اضطراباً فقط، ولكنني عدت إلى حالتي الطبيعية.

- إذن، الأمر كذلك ؟ الآن أدرك تماماً ما حدث لك.

لا تريدین التحدث إلى جون، لأنه ربما تشكين في بقائك بجانبی أو زواجك منه. أليس صحيحاً ؟ لم تعودى الآن مرتبطة بى، فأنا مريض مسكين.

لم تفهم تيتا سلوك بيدرو هذا: بدا كطفل صغير غضبان.

كان يتحدث كما لو كان سيظل مريضاً بقية حياته ولم يكن الأمر يستحق كل هذا، فبعد وقت قصير سيشفى تماماً. إن الحادث الذي تعرض له قد أفسد عقله. ربما يكون رأسه مليئاً بالدخان الذي بعثه جسده عندما احترق وهكذا مثلما يغير رغيف الخبز المحترق من رائحة البيت كله فتصبح كريهة، كان عقله المحترق يطلق هذه الأفكار السوداء مبدلاً كلماته اللطيفة المعتادة بكلمات لا تحتمل. لم يكن ممكناً أن يشك فيها، ولا أن يكون لديه النية في التصرف على عكس ما كان دائماً مظهراً لسلوكه مع الآخرين: اللياقة.

خرجت من الحجرة مستاءة للغاية، ويبدو يصيح قبل أن تغلق الباب بأنه لا يريد أن تحمل له الطعام مرة أخرى، وأن

ترسل تشيتشا، حتى يكون لديها الوقت الكافى لرؤية جون بدون أى مشكلة.

دخلت تيتا غاضبة المطبخ واستعدت لتناول الإفطار، فلم تكن قد أفطرت لأن أول اهتمام لها كان خدمة بيدرو ثم بعد ذلك شغلها اليومى وكل ذلك، لماذا ؟ لأجل أن بيدرو بدلاً من أن يقدر ذلك، يكون رد فعله كما فعل، إهانتها بكلماته وتصرفاته. لقد تحول بيدرو بشكل قاطع إلى وحش بسبب الأنانية والغيرة.

أعدت بعض التشيلاكيلس^(٣٠) وجلست لتأكله على مائدة المطبخ. لم تكن تحب أن تأكل وحدها ولكن مؤخراً لم يكن أمامها سوى ذلك، فلم يكن بيدرو يستطيع التحرك من السرير، وروساورا رفضت التحرك من غرفتها وظلت مغلقة عليها تماماً دون أن تقبل أى طعام، وتشيتشا، بعد أن وضعت أول مولود لها، أخذت عدة أيام للراحة.

وعليه، فإن التشيلاكيلس لم يكن بنفس طعم مرات سابقة. كان ينقصه الصحبة. فجأة سمعت خطوات. فتح باب المطبخ وظهرت روساورا.

اندهشت تيتا عندما رأتها. كانت نحيفة كما كانت قبل الزواج. بعد اسبوع فقط بلا طعام! كان يبدو مستحيلاً أن تفقد

(٣٠) لون من الطعام قوامه أرغفة الدرة المطبوخة بمرق حار.

٣٠ كـليو في ٧ أيام فقط، لكن هذا ما حدث . حدث لها نفس الشئ عندما ذهبت لتعيش في سان أنطونيو: نحفت بسرعة، ولكن ما أن عادت إلى المزرعة إلا وعادت إلى السمينة!

دخلت روساورا بعجرفة وجلست أمام تيتا . كانت ساعة مواجهة شقيقتها قد حانت، ولكن لن تكون تيتا من يبدأ النقاش . سحبت الطبق، وأخذت رشفة من قهوتها وبدأت بحرص في تقطيع أحرف أقراص العجة التي استخدمتها في عمل التشيلاكيس قطعاً صغيرة .

كن متعودات على إزالة أحرف كل أقراص العجة التي يأكلنها لإلقائها للدجاج . أيضاً كن يقطعن إلى قطع صغيرة لبابة الخبز لنفس الغرض . كانت روساورا وتيتا تنظران كل منهما في عيني الأخرى بثبات وظللتا على هذا المسلك حتى بدأت روساورا النقاش :

- أعتقد أن بيتنا حديثاً معلقاً، ألا ترين ؟

- بلى، اعتقد ذلك . وأعتقد أنه كان منذ أن تزوجت من خطيبى .

- حسناً، إذا أردت نبدأ من هنا . كان لديك خطيب بلا استحقاق . لم يكن يناسبك أن يكون لك .

- حسب من ؟ حسب ماما أو حسب رأيك ؟

- حسب تقليد العائلة، الذي كسرتِه .

- والذي سوف أحطمه كلما كان ذلك ضرورياً، طالما أن ذلك التقليد الملعون لا يضعنى في اعتباره. لقد كنت املك نفس حق الزواج مثلك، وأنت لم يكن لديك الحق في أن تضعى نفسك بين شخصين متحابين بعمق .

- لم يكن بذلك العمق. لقد رأيت كيف أن بيدرو قد أبدلك بى في أقرب فرصة. لقد تزوجته، لأنه أراد ذلك. ولو كان عندك قدر من عزة النفس لكان عليك نسيانه إلى الأبد .

- لعلمك، لقد تزوجك ليكون فقط بالقرب منى. لم يكن يجبك وكنت تعلمين ذلك جيداً.

- انظرى، من الأفضل عدم الخوض في الماضى، أنا لا تهمنى الأسباب التي جعلت بيدرو يتزوجنى. لقد تزوجنى وانتهى الأمر. وأنا لن أسمع بأن تستهزأ بى أنتما الاثنين، اسمعى ذلك جيداً! لست مستعدة لذلك .

- لا أحد يحاول الاستهزاء بك ياروساورا، إنك لا تفهمين شيئاً.

- لا، من قال هذا! إنني أفهم جيداً الدور الذي تضعينى فيه، عندما يراك كل من في المزرعة وأنت تبكين بجوار بيدرو وأنت تمسكين يده بحب ؟ أتعرفين ما هو ؟ إنه دور الأضحوة!

حقيقة أن الله لن يغفر! وانظري. أنا لن يهمنى بالمرة إذا كنت ويبدرو ستذهبان للجحيم بتبادلكما القبلات في كل ركن. وأكثر من ذلك، من الآن فصاعداً يمكنكما فعل ذلك كما تشاءان. طالما لا يعرف أحد، فأنا لا يهمنى؛ لأن يبدرو سوف يحتاج إلى فعل ذلك مع أي واحدة كانت، أما فيما يتعلق بي، فلن يلمسني مرة أخرى. فأنا نعم عندي عزة نفس! فليبحث عن حقيرة مثلك لأفعاله الدنيئة، ولكن ما سيكون بالفعل هو أنني سأظل أنا الزوجة في هذا البيت. وأمام أنظار الآخرين أيضاً. لأن اليوم الذي يراكما أحد فيه وتضعانني من جديد موضع سخرة، أقسم لك أنكما سوف تندمان.

اختلط صياح روساورا بصوت البكاء المتعجل لاسبرانثا. كانت الطفلة تبكي منذ برهة، ولكن صوت نههاتها بدأ في الارتفاع تدريجياً إلى أن وصل لمستويات لا تحتمل. كانت من المؤكد جوعانه، قامت روساورا ببطء وقالت:

- سأذهب لإطعام ابنتي. من الآن فصاعداً لا أريدك أن تفعل ذلك، فيمكن أن تلوثيها بالطين. فلن تتلقى منك سوى الأفعال السيئة و النصائح السيئة.

- يمكنك أن تتأكدي من ذلك. فلن أسمح بأن تتسمم ابنتك بأفكار عقلك المريض. ولن أسمح بأن تحطمي لها حياتها بأن تجربها على اتباع تقليد غبي!

- آه، نعم! وكيف سوف تمنعين ذلك! مؤكد أنك تعتقدين أنني سوف أدعك قريبة منها كما حدث حتى الآن. لكن تنبهى يا بنية بأن ذلك لن يكون. منذ متى رأيت أن نساء الشوارع يسمح لهن بالبقاء بجوار بنات العائلات المحترمة؟

- لا تقولى لى إنك تعتقدين حقاً أن عائلتنا عائلة محترمة!

- عائلتى الصغيرة نعم. وحتى يستمر ذلك فإننى أمنعك من الاقتراب من ابنتى، أو أننى سوف أنظر في ضرورة إراحتك عن هذا البيت، الذي أورثتنى أمى إياه. أفهمت ذلك؟

خرجت روساورا من المطبخ، ومعها الرضعة التي كانت تبتا قد أعدتها لاسبرانثا وذهبت لتطعمها. كان ذلك بالنسبة لبيتنا أسوأ ما يمكن أن تفعله بها. استطاعت أن تؤلمها في أعماق أعماقها.

كانت إسبرانثا أحد أهم الأشياء بالنسبة لها في الدنيا. يالآلم الذي كانت تشعر به! بينما كانت تقطع القطعة الأخيرة من العجة التي كانت في يديها تمت من كل قلبها أن يوارى التراب شقيقتها. فهو أقل ماكانت تستحقه.

لم تتوقف وهى تجادل روساورا عن تقطيع العجة إلى قطع صغيرة. وعليه فقط تركتها وهى قطع صغيرة جداً. وضعتها تبتا، وهى غاضبة، في طبق وخرجت لإلقائها للدجاج، حتى تكمل بعد ذلك عمل وجبة الفاصوليا. كان منشر الفناء مشغولاً كله

بغيارات اسبرائثا شديدة البياض . كانت غيارات جميلة جداً . فقد أمضين فيما بينهن أمسيات كاملة في تطريز حوافها . كان الهواء يهدهدها . وكانت تبدو مثل موجات من الزبد . صدت تيتا نظرها عن الغيارات ، كان عليها ، إذا كانت تريد أن تكمل إعداد الطعام ، أن تنسى أن الطفلة تأكل لأول مرة بدونها . دخلت المطبخ وواصلت عمل الفاصوليا .

تحمّر البصلة المفربة في الشحم . وعندما تأخذ اللون الذهبي يضاف إليها الفلفل الأحمر العريض المهروس وملح حسب الذوق . بعد نضج الخليط يضاف إليه الفاصوليا واللحم والشحم . كان غير مجدى نسيان اسبرائثا . فعندما كانت تيتا تفرغ الفاصوليا في الوعاء تذكرت كيف أن الطفلة كان يعجبها جداً حساء الفاصوليا . ولإطعامها إياه ، كانت تجلسها على ساقها ، وتضع لها منشفة كبيرة على صدرها وتطعمها بمعلقة صغيرة من الفضة . ياللسعادة التي شعرت بها يوم أن أحست بصوت المعلقة وهي تصطدم بطرف أول سن لاسبرائثا . لقد ظهر لها ستان أخريان ، الآن . كانت تيتا تحرص جداً على عدم إيلاهما في أسنانها عند إطعامها . ياليت روساورا تفعل نفس الشيء . ولكن ما أدراها هي ! إنها لم تفعل ذلك بالمرة من قبل . ولن تستطيع أيضاً إعداد حمامها بماء ورق الخس لتضمن لها نوماً هادئاً في الليل ، ولن تستطيع وضع ملابسها ولا تقييلها ولا هدهدتها ، كما كانت تفعل

هى . فكرت تيتا في أنه ربما كان من الأفضل أن تغادر المزرعة . لقد خيب بيدرو أملها ، وتستطيع روساورا ، بدون وجودها في البيت ، أن تصنع حياتها من جديد وسوف تستطيع الطفلة إن عاجلاً أو آجلاً التعود على رعاية أمها الحقيقية . فإذا ما استمرت تيتا في التجبب إليها ، فإنها سوف تعاني مثلما حدث مع روبرتو . لقد انتهى الأمر ، إن هذه ليست أسرتها ويمكن في أى لحظة إبعادها بنفس السهولة التي تزال فيها حصاة من الفاصوليا وهى تنقى . وعلى العكس ، كان جون يعرض عليها بناء أسرة جديدة ، لا يستطيع أحد انتزاعها منها . إنه رجل رائع وهو يحبها كثيراً ، لن يكون صعباً عليها ، مع الوقت ، أن تحبه بجنون . لم تستطع الاستمرار في تفكيرها فقد بدأ الدجاج معركة في الفناء . كان يبدو أنه قد جن أو أن لديه عقدة ديك المصارعة . كانت كل دجاجة تنقر الأخرى ، في محاولة لانتزاع القطع الأخيرة المتبقية من العجة على الأرض . كان يشب ويطير بلا انتظام في كل الأنحاء ، وكل واحدة تعتدى على الأخرى بعنف . كان من بينه واحدة ، الأكثر شراسة ، استطاعت بمنقارها أن تقلع عيني كل دجاجة كانت تواجهها ، ملوثة بالدماء غيارات اسبرانثا البيضاء . حاولت تيتا وهى في غاية الضيق وقف المصارعة . بأن القت بحفنات ماء . ولكن ما تحقق هو زيادة شراسته وأن تزيد من حدة التعارك . كَوْن الدجاج دائرة ، كانت تركض بداخلها كل دجاجة خلف الأخرى

بسرعة تثير الدوار. وفجأة وجد الدجاج نفسه قد وقع لا محالة في برائن القوة التي جلبها هو بنفسه في سباقه المتهور و لا يستطيع أن يقلت من دوامة الريش والتراب والدماء التي بدأت في الدوران والدوران بقوة متزايدة حتى تحولت إلى إعصار قوى كان يعصف بكل ما كان يجد في طريقه، بدءاً بأقرب الأشياء منه، وكانت في هذه الحالة، غيارات إسبرانثا التي كانت فوق مناشر الفناء.

حاولت تيتا إنقاذ بعض الغيارات، لكنها عندما ذهبت لالتقاطها، وجدت نفسها مجذوبة بقوة الدوامة القوية التي رفعتها عدة أمتار فوق الأرض، وجعلتها تلف ثلاث دورات شيطانية بين شراسة النقر لتنتهى بأن تلقيها بحدة حتى الطرف المقابل من الفناء، حيث وقعت مثل جوال البابا.

ظلت تيتا ملقاة على وجهها في الأرض وهى في غاية الذعر. لم تشأ أن تتحرك. فلو أمسكت بها الدوامة من جديد فإنها تكون معرضة لأن يقلع لها الدجاج عينا. كانت هذه الدوامة التي أثارها الدجاج تخرق أرض الفناء، محدثة بئراً عميقة اختفت فيه معظم الدجاجات من هذه الدنيا. ابتلعها الأرض. لم ينج من هذه المعركة إلا ثلاث دجاجات مستوفة الريش وعورات. اما الغيارات فلم ينج منها شئ.

فحصت تيتا، وهى تنفض الغبار عنها، الفناء: لم يكن هناك أى أثر للدجاج. شغلها أكثر اختفاء الغيارات التي كانت قد

طرزتها بحب شديد. كان يجب تعويضها بسرعة بغيرها جديدة. حسناً، فى الحقيقة، إنها لم تعد مشكلتها، لقد قالت روساورا إنها لا تريدها أن تقترب بعد ذلك من اسبرانثا. أليس كذلك ؟ إذن، لتتول هى حل مشكلتها وتتولى تيتا حل مشكلتها والتي كانت تنحصر فقط فى هذه اللحظة فى إعداد الطعام لجون وللعمة مارى.

كان شىء غير طبيعى يجرى. تذكرت تيتا أن ناتشا كانت تقول لها دائماً انه عندما يقوم اثنان أو اكثر بالجدال بينما تعد التماليس^(٣١)، فإن هذه تظل نيئة. ويمكن أن تمر أيام و أيام دون أن تنضج، لأن التماليس تكون غاضبة. وفى هذه الأحوال يكون من الضرورى الغناء لها، لكى تسعد ويمكنها النضج. ظنت تيتا أن هذا نفسه ما قد حدث مع الفاصوليا، لأنها حضرت مشادتها مع روساورا. عندئذ لم يكن أمامها سوى محاولة تعديل حالتها المعنوية و الغناء للفاصوليا بحب لأن الوقت كان قصيراً جداً أمامها ليكون الطعام جاهزاً لدعوتها.

لهذا، كان من المناسب لها أن تبحث فى ذاكرتها عن لحظة سعادة ما كبيرة وإحيائها وهى تغنى. أغلقت عينيها وبدأت تغنى فالساً يقول: " أنا سعيد منذ أن رأيتك، أعطيتك حبي وفقدت

(٣١) أكلة مكونة من اللحم المقطع إلى أجزاء صغيرة مع صلصلة الطماطم وعجين الذرة تطهى فى الفرن فى كسولة.

روحي . . . " . أتت إلى ذكرها متدافعة صور أول لقاء لها مع بيدرو في الحجرة المظلمة. الولع الذي جرد به بيدرو لها ملابسها، والذي أدى إلى احتراق لحمها أسفل جلدها بتلامسه بتلك اليدين المتوهجتين. كانت الدماء تغلى تحت عروقها. القلب يطلق فوراً من الولع. بدأ الإحتدام في الاستسلام معطياً الفرصة لحنان متناهٍ استطاع تهدئة نفسيهما القلقتين.

بينما كانت تبتا تغنى، كان حساء الفاصوليا يغلى باحتدام. جعل الفاصوليا السائل الذي كانت تسبح فيه يتخللها وبدأت في الانتفاخ حتى انشقت تقريباً. عندما فتحت تبتا عينيها أخرجت إحدى حبات الفاصوليا لاختبار درجة نضجها، تحققت من أن الفاصوليا قد بلغت درجة النضج المناسبة. إن هذا سوف يوفر لها الوقت الكافي لتعد نفسها، قبل وصول العمة ماري. تركت المطبخ وهي سعيدة للغاية وتوجهت إلى غرفتها لتأخذ رينتها. كان أول ما عليها هو غسل أسنانها. فقد أدى التمرغ في التراب الذي عانت منه بسبب دفع الريح الذي سببته دوامة الدجاج، إلى امتلاء أسنانها بالتراب. أخذت قليلاً من البودرة لتنظيف أسنانها وقامت بتفريشها بقوة.

لقد تعلمت في المدرسة إعداد هذه البودرة. وهي تصنع بوضع نصف أوقية من زنبق فلورنسا ودم الأخوين^(٣٢)، يتم

(٣٢) أسماء أنواع من العطارة.

سحق كل هذه المكونات وتخلط . كانت المعلمة خوييتا هي المكلفة بعملها . كانت معلمتها لثلاثة أعوام متتالية . كانت امرأة قصيرة ورقيقة للغاية . كان الجميع يتذكروها . ليس فقط للمعارف التي نقلتها لهم وإنما لأنها كانت ذات شخصية بحق . يقولون إنها ترملت وهي في الثامنة عشرة وإن لها ابن . وقد رفضت أن تجلب للإبن زوج أب وأمضت حياتها ، بإرادتها ، في عزوبة مطلقة . حسناً من يدري إلى أى درجة كانت مقتنعة بهذا الحل و إلى أى درجة قد أثر عليها ، فالمسكينة ، مع مرور السنين ، بدأت تفقد صوابها . كانت تعمل نهاراً وليلاً لتضع حداً للأفكار السيئة . كانت جملتها المفضلة "إن الفراغ أم الرذائل كلها" . وهكذا لم تكن ترتاح و لا ثانية خلال اليوم . كانت دائماً تعمل وتنام أقل . مع الوقت أصبح العمل داخل بيتها لا يكفي بالدرجة التي تهدئ من طاقتها ، وهكذا كانت تخرج في الخامسة صباحاً إلى الشارع لكنس الرصيف ، الخاص بها والخاص بجاراتها . بعد ذلك وسعت دائرة عملها إلى مجموعة المساكن الأربعة التي كانت تحيط ببيتها وهكذا شيئاً فشيئاً ، في تزايد ، حتى وصلت إلى كنس كل شارع بيدراس نجراس قبل أن تذهب إلى المدرسة . كان يعلق أحياناً بشعرها بعض بقايا القمامة وكان الصغار يستهزئون من ذلك . اكتشفت تينا وهي تنظر في المرأة أن شكلها يشبه معلمتها . ربما كان فقط بسبب ريش الدجاج الذي كان يعلق بشعرها بسبب

تمرغها فى التراب، ولكن تيتا أحست أيضاً بالرعب.

لم تكن تريد بالمرّة أن تتحول إلى خوييتا أخرى. نفضت الريش ومشطت شعرها بعد أن فرشته بقوة ونزلت لاستقبال جون ومارى اللذين كان وصولهما فى تلك اللحظة. فقد أعلن نباح البولكيه عن وجودهما فى المزرعة.

استقبلتهما تيتا فى الصلاة. كانت العمة مارى مثلما تخيلتها تماماً: سيدة مسنة رقيقة ولطيفة. فبالرغم من السنوات التى تحملها على عاتقها، كان هندامها مثالياً.

كانت تضع قبعة مميزة من الزهور، لونها باستيل، متباعدة مع بياض شعرها. والقفاز الذى تضعه متناسقاً مع لون شعرها ويلمع ببياض ناصع. كانت تستند فى سيرها إلى عصا من الموجنة بمقبض من الفضة على شكل بجعة. كان حوارها من أمتع ما يمكن! أعجبت العمة بتيتا وهنأت ابن أخيها كثيراً على اختياره السليم، وتيتا على انجليزيتها المتقنة فى الكلام.

اعتذرت تيتا عن عدم حضور أختها، لشعورها بتوعك ودعتهم إلى حجرة الطعام.

أعجبت العمة بالأرز بالموز المقلّى وأثنت كثيراً على طريقة صنع الفاصوليا.

عند تقديمها يوضع فوقها الجبن المبشور وتزين بأوراق طازجة من الخس وشرائح ثمرة الافوكاتو والفجيات المفرومة والفلفل

- الخاص من نوع التورنا تشيليس والزيتون.
- كانت الجدة معتادة على صنف آخر من الطعام، ولكن هذا لم يكن حائلاً لكى تستطيع تقدير الطعم اللذيذ لطهى تيتا.
- مم، إن هذا لذيذ يا تيتا.
- شكراً جزيلاً.
- يا لحظك يا جونى، من الآن فصاعداً سوف تأكل بالفعل جيداً، لأن كاتى، فى الحقيقة تطهو طهيًا سيئاً جداً. إنك حتى سوف تسمن بالزواج.
- لاحظ جون أن تيتا مضطربة.
- أهلك شئ يا تيتا ؟
- نعم، لكننى لا أستطيع أن أخبرك به الآن، إن عمك سوف تستاء اذا توقفنا عن الكلام بالانجليزية.
- أجابها جون متحدثاً بالإسبانية.
- لا، لا تقلقى، إنها صماء تماماً.
- إذن كيف تستطيع التحدث بهذه الدرجة من الإتقان ؟
- لأنها تقرأ الشفاء، ولكن بالانجليزية فقط، لا تقلقى.
- فوق ذلك، فإنها وهى تأكل لا تعرف أحداً، فأرجوك - إذن - أن تقولى لى ما يحدث لك. لم يكن أماننا الوقت للحديث وحفل الزواج سيكون خلال اسبوع.

- جون، أعتقد أنه من الأفضل إلغاؤه.

- لكن، لماذا ؟

- لا تجعلنى أخبرك به الآن.

وفى محاولة منها لكى لا تلاحظ العمة أنهما يتجادلان فى موضوع حرج للغاية، ابتسمت تيتا. فعلت العمة نفس الشيء، كانت تبدو فى غاية السعادة والهدوء وهى تأكل طبق الفاصوليا الخاص بها. كان صحيحاً، لم تكن بالفعل تقرأ الشفاه بالإسبانية. كان يمكن أن تتحدث تيتا مع جون بلا خطورة. أَلح جون على نفس الموضوع.

- ألم تعودى تحبيننى ؟

- لا أعرف.

كم كان صعباً على تيتا التحدث بعد أن رأت ما بدى على جون من ألم وقد حاول مباشرة أن يتماسك.

- فى الفترة التى كنت فيها مسافراً قامت علاقات بينى وبين رجل كنت أحبه من قبل وفقدت عذريتى. لذلك لا أستطيع الزواج منك.

بعد صمت طويل سأَلها جون:

- هل تحبينه أكثر منى ؟

- لا أستطيع إجابتك على ذلك، فذلك لا أعرفه أيضاً.

عندما لا تكون هنا، أظن أننى أحبه هو، ولكن عندما أراك، يتغير كل شئ. أشعر بجوارك بالراحة و الأمن والأمان... لكن لا أعرف، لا أعرف... سامحنى لأننى أخبرتك بكل هذا.

سالت فوق خدى تيتا دمعتان. أخذتها العمة مارى من يدها وقالت لها بالإنجليزية وهى متأثرة بعمق:

- كم جميل رؤية امرأة محبة وهى تبكى من التأثر. لقد فعلت ذلك عدة مرات عندما كنت على وشك الزواج.

انتبه جون إلى أن هذه الكلمات يمكن أن تؤدى إلى انفجار تيتا فى البكاء وأن يصعب بعد ذلك السيطرة على الموقف. مد يده، وأخذ يد تيتا وقال لها بابتسامة على شفثيه لإرضاء العمة:

- تيتا، لا يهمنى ما فعلت، هناك مواقف فى الحياة لا يجب إعطاؤها أهمية كبيرة اذا كانت لا تغير الجوهر. إن ما ذكرته لى لن يغير طريقة تفكيرى واكرر انه يسعدنى أن اكون شريك حياتك كلها، ولكن أريدك أن تفكرى جيداً اذا كان ذلك الرجل هو انا أم لا. اذا كان ردك بالإيجاب، سنحتفل بالزفاف خلال أيام. واذا كان لا، سأكون أول من يهنئ بيدرو ويطلب منه منحك المكانة التى تستحقها.

لم تندش تيتا من سماع كلمات جون: فقد كانت متطابقة مع شخصيته. ولكن ما فاجأها بالفعل هو انه كان يعرف تماماً أن

منافسه كان ييدرو. لم تكن قد وضعت اعتباراً لقوة بديهته.

كان من المستحيل على تيتا أن تظل على المائدة. خرجت، معذرة، للحظة في الفناء ويكت إلى أن هدأت. وعادت مباشرة لحظة تقديم الحلو. نهض جون ليقرب لها المقعد وعاملها بنفس الرقة والاحترام المعتادين. كان رجلاً رائعاً بحق. كم كبر في نظرها! وكم زادت الشكوك في رأسها؟ أدى شراب الياسمين الذي قدمته كحلو، إلى راحة كبيرة لها. كان تناوله ينعش جسمها ويصفي عقلها. أعجبت العمة إلى درجة الجنون بالحلو. لم يأت بفكرها بالمرة أن الياسمين يستخدم في الطعام. ونتيجة حب استطلاعها، كانت تريد معرفة كل التفاصيل الخاصة لعمل مشروب مثله في بيتها. أعطتها تيتا الوصفة وهي تحرك شفيتها بهدوء شديد حتى تتمكن العمة من قراءتها.

- يسحق فرع الياسمين ويوضع في ثلاثة أرباع لتر ماء ونصف كيلو سكر ويخلط جيداً. ويعد أن يذوب السكر جيداً يصفى المشروب بقماشة سميكة ثم يوضع ليبرد في ثلاجة المشروبات.

أمضوا بقية المساء بشكل رائع. وعند ذهاب جون، قبل تيتا في يدها وقال لها:

- لا أريد أن أضغط عليك، أريد فقط أن أؤكد لك أنك ستكونين سعيدة بجوارى.

- أعرِف ذلك.

كانت تعرف ذلك بالطبع. وبالطبع كانت ستضع ذلك في اعتبارها عندما تتخذ قرارها، النهائي، الذي سيحدد مستقبلها كله.

الفصل الثانى عشر

ديسمبر

فلقل حار بصلصة الجوز والتوابل

المقادير:

٢٥ ثمرة من الفقل الحار - ٨ ثمرات من الرمان - ١٠٠٠
حبة من الجوز من نوع كاستنيا - ١٠٠ جم من الجبن
الطازج من نوع انيخو - ١ كيلو من لحم الغنم المفروم -
١٠٠ جم من الزبيب - ١/٤ كيلو من اللوز - ١/٤ كيلو
من الجوز - ١/٢ كيلو من الكاكا - بصلتان متوسطتان -
ليمونتان - ثمرة واحدة من الدراق - تفاحة واحدة - كمون
- فلف أبيض - ملح - سكر

طريقة العمل

يجب تقشير الجوز مسبقاً بأيام، لأن ذلك يمثل عملاً شاقاً جداً، يحتاج إلى ساعات طويلة. بعد تقشيريه يجب إزالة القشرة المحيطة بلب الجوز. وهذا يحتاج إلى عناية خاصة حتى لا يلتصق بأي واحدة منه ولو قطعة قشر صغيرة. لأنه عند طحنها وخلطها بالكريمة فلإنها تعطى مرارة لصلصة الجوز، مما يضيع هباء كل المجهود السابق.

انتهت تيتا وتسنيتشا من تقشير الجوز وهما جالستان على مائدة حجرة الطعام. هذا الجوز سوف يستخدم في عمل الفلفل الحار في صلصة الجوز التي سوف تقدم كطبق رئيسي في حفل الزواج الذي سيقام في اليوم التالي. كل أفراد الأسرة الآخرين تركوهما وحدهما متخليين عن مائدة حجرة الطعام بحجة أو بأخرى. هاتان السيدتان النبيلتان هما اللتين استمرتتا في العمل على قدم وساق. والحقيقة أن تيتا لم تحملهم الذنب، فقد

ساعدوها بما فيه الكفاية خلال الأسبوع كله . وكانت هي تدرك جيداً أنه ليس من السهل تقشير ألف حبة جوز دون ملل . الشخص الوحيد الذي كانت تعلم أنه يستطيع القيام بذلك دون إبداء أى ضجر بالمرّة كانت ماما إيلينا .

لم تكن تستطيع فقط تقشير أجوال وأجوال من الجوز فى أيام قليلة، بل كانت تستمتع بشكل كبير وهى تقوم بهذا العمل . فأفعال الضغط و التحطيم والسلخ كانت من أنشطتها المفضلة . كانت الساعات تمر عليها دون أن تشعر عندما كانت تجلس فى الفناء وجوال الجوز فوق ساقها ولا تقوم قبل الانتهاء منه .

كانت عملية تقشير ألف حبة جوز بالنسبة لها لعبة أطفال، بينما كلفتهم جميعاً جهداً كبيراً . كانت هذه الكمية الهائلة لأن كل ٢٥ ثمرة فلفل حار تحتاج إلى تقشير مائة حبة جوز، ومنطقياً أن ٢٥٠ ثمرة فلفل تحتاج إلى ١٠٠٠ حبة جوز . وذلك لأنهم دعوا لحفل الزفاف ٨٠ شخصاً ما بين الأهل والأصدقاء المقربين . كل فرد كان يمكنه أن يأكل إذا رغب ٣ ثمرات فلفل، وعليه كان تقدير الكمية مناسباً . كان حفل الزفاف عائلياً، ولكن تيتا كانت تريد على كل عمل وليمة من عشرين صنفاً، لم يعد لها مثل الآن، وبالطبع لا يمكن أن تخلو من الفلفل الحار فى صلصلة الجوز وهى وجبة لذيذة كان الاحتفال المذكور يستحقها بالرغم من أن هذا كان يمثل جهداً كبيراً جداً . لم يكن يهم تيتا أن تسود أصابعها بعد

تقشير كم من الجوز. فحفل الزفاف هذا يستحق التضحية، فقد كان له معنى خاص جداً. لها ولجون أيضاً. لقد كان سعيداً إلى درجة انه كان أحد أكثر المتعاونين المتحمسين فى اعداد الوليمة. كان بالضبط آخر من ذهب للراحة. كان يستحق قسطاً طيباً من الراحة.

كان جون يغسل يديه، فى حمام بيته، وهو متعب للغاية. كانت أظافره تؤلمه من كثرة تقشير الجوز. استعد للنوم وهو متأثر للغاية. فخلال ساعات قليلة سيكون أكثر قرباً من تيتا، وكان هذا يريحه بشكل كبير. كان حفل الزفاف قد نظم ليكون فى الثانية عشرة ظهراً. فحص بنظره البدلة السموكنج التى كانت فوق مقعد. كانت الثياب التى سيرتديها فى اليوم التالى مرتبة بدقة، فى انتظار اللحظة المناسبة لتظهر. الحذاء يلمع أكثر من أى وقت مضى وربطة العنق التى كانت على شكل شريط والنطاق والقميص فى وضع مثالى. أخذ نفساً طويلاً وهو يجلس راضياً؛ لأن كل شىء على ما يرام، ثم استلقى على السرير وما أن وضع رأسه على الوسادة نام نوماً عميقاً.

على العكس، لم يستطع بيدرو مصالحة النوم. كانت غيرة شيطانية تسرى فى داخله. لم يرقه بالمرّة أن يضطر إلى حضور حفل الزفاف وتحمل رؤية وجه تيتا بجوار جون.

لم يكن يفهم بالمرّة سلوك جون، يبدو أنه يحمل مخدر فى

عروقه! كان يعرف تماماً ما كان بينه وبين تيتا. وبالرغم من ذلك استمر في التعامل كأنما لم يكن هناك شئ! فذلك المساء عندما كانت تيتا تحاول إشعال الفرن، ولم تجد أعواد الشقاب فى أى مكان. عندئذ تقدم جون، الشهم دائماً، بسرعة لمساعدتها. لم يتوقف الأمر على ذلك! فبعد أن أشعلت النار أهدى تيتا علبة الكبريت وهو يمسك بيديها بين يديه. فماذا وراء إعطائه لتيتا ذلك النوع من الهدايا الغبية؟ لابد وأنها كانت حجة جيدة لجون لكى يداعب يدى تيتا أمامه. مؤكداً أنه يعتقد أنه متحضر. لكنه سوف يعلمه هو ما يفعل الرجل عندما يحب امرأة بالفعل. أخذ سترته واستعد للذهاب بحثاً عن جون ليحطم له وجهه.

توقف عند الباب. فقد كان من الممكن إعطاء فرصة للأقويل بأن زوج أخت تيتا قد تعارك مع جون قبل الاحتفال بيوم.

لن تغفر له تيتا. ألقي السترة بغضب فوق السرير وأخذ فى البحث عن حبة دواء لكى يخفف من آلام رأسه. كان الضجيج الذى تحدثه تيتا فى المطبخ يتضاعف ألف مرة بسبب الألم.

كانت تيتا تفكر فى أخذها وهى تنتهى من تقشير الجوز القليل المتبقى فوق المائدة. كان ليسعد روساورا جداً أن تحضر حفل الزفاف. لقد ماتت المسكينة منذ عام. واحتراماً لذكراها كان الانتظار هذا الوقت لإقامة الاحتفال الدينى. وكانت وفاتها من

أغرب ما يمكن . كانت قد تناولت عشاءها كالمعتاد وذهبت مباشرة بعد ذلك إلى حجرتها . وظلت اسبرانثا وتيتا تتحدثان في حجرة الطعام . صعد بيدرو ليودع روساورا قبل النوم . لم تسمع تيتا واسبرانثا أى شىء نظراً لبعـد حجرة الطعام عن حجرات النوم . فى البداية لم يستغرب بيدرو وهو يسمع ، وحتى والباب مغلق ، صوت رياح بطن روساورا . ولكنه بدأ يهتم لهذه الأصوات الكريهة عندما امتد وقت أحداها أكثر من المعتاد ، فبدأ وكأن لا نهاية له . حاول بيدرو التركيز فى الكتاب الذى بين يديه ، وهو يفكر أنه من غير الممكن أن يكون ذلك الصوت الممتد نتيجة مشاكل سوء هضم عند زوجته . كان البيت يرتج والضوء يهتز . اعتقد بيدرو للحظة أن تلك الطلقات المدفعية المدوية كانت نتيجة اندلاع الثورة من جديد ، ولكنه استبعد هذا الاحتمال ، لأن الهدوء كان حتى ذلك الوقت ، يسود البلاد . ربما كان الأمر يتعلق بموتور سيارة الجيران . ولكن بالتحقق منه جيداً فإن السيارات ذات الموتور لا تصدر رائحة مثيرة للغشيان بهذه الدرجة . كان غريباً أن يشم هذه الرائحة بالرغم من أنه أخذ احتياطاته بأن جاب كل أنحاء حجرة النوم بملقعة بها قطعة مشتعلة من الفحم وقليل من السكر .

هذه الطريقة من أكثر الطرق فاعلية ضد الروائح الكريهة . عندما كان طفلاً ، كانوا معتادين فعل ذلك فى الحجرة التى يتبرز فيها مريض بالمعدة ، وكانوا ينجحون دائماً فى تطهير الجو بشكل

كبير. ولكن الآن لم تفده بشئ هذه الطريقة. اقترب، قلقاً، من الباب الذى يربط بين الحجرتين، وسأل روساورا وهو يطرق الباب بعقل أصابعه، إذا كانت بخير. وعندما لم يجد إجابة فتح الباب ووجد أمامه روساورا بشفتين بنفسجيتين وجسد مفرغ وعينين ممتعتين ونظرة تائهة، كانت تخرج آخر نفس وانتفاخ لها. كان تشخيص جون بأنها حالة احتقان معوى حاد.

حضر قليلون مراسم الدفن، فمع الموت ازدادت حدة الرائحة الكريهة المنبعثة من جثمان روساورا. ولذلك السبب كان القليل من تشجيع للحضور. أما من لم تفتهم فكان سرباً من الزماح الملكى ظل يحلق فوق الموكب حتى انتهت مراسم الدفن. عندئذ، وعندما رأى انه ليس هنا له أى وليمة انسحب يائساً جداً تاركاً روساورا ترتاح فى سلام.

ولكن ساعة راحة تيتا لم تحن بعد. كان جسدها يصرخ فى طلبها، ولكن كان عليها أن تنتهى من عمل صلصة الجوز قبل ذلك. لهذا كان الأنسب لها، بدلاً من تذكر أشياء مضت، أن تسرع من عملها فى المطبخ حتى تستطيع أخذ الراحة الواجبة.

بعد تقشير كل الجوز، يطحن فى الطاحونة بجانب الجبن والكريمة. وفى النهاية يضاف الملح و الفلفل الأبيض حسب الذوق. تغطى بهذه الصلصة ثمرات الفلفل الحار المحشوة وتزين بعد ذلك بالرمانة.

حشو ثمرات الفلفل الحار:

تحمّر البصلة في قليل من الزيت. وعندما تحمر يضاف إليها اللحم المفروم والكمون وقليل من السكر. وعندما يحمر اللحم يضاف إليه الدراق والتفاح والجوز والزبيب واللوز والكاكا المقطعة ويترك الخليط حتى ينضج. بعد أن ينضج، يضاف إليه الملح حسب الذوق ويترك ليغلظ قبل رفعه من فوق النار.

على طرف آخر يتم شئ الفلفل ويُقشّر. ثم يفتح من الجنب وتزال منه البذور والعروق.

انتهت تيتا وتشيتيتشا من تزيين الـ ٢٥ صينية بالفلفل ووضعتها في مكان بارد. وفي اليوم التالي، حملها الخدم من ذلك المكان نفسه في كامل حالتها إلى الوليمة.

كان الخدم يتنقلون من مكان لآخر لخدمة المدعوين النشيطين. لفت أنظار الجميع وصول خيرترووديس إلى الحفل. فقد جاءت في سيارة فورد T مكشوفة، من أوليات السيارات ذات السرعات المتعددة. حيال هبوطها من السيارة كادت أن تسقط قبعتها الكبيرة ذات الحواف العريضة وريش النعام. كان فستانها ذو الكثافات من أحدث الموديلات وأكثرها لفتاً للنظر. لم يقل خوان عن ذلك. كان يرتدي بدله أنيقة ضيقة وقبعة بكرة وطماقات. كان ابنهما البكر قد أصبح شاباً أسمر يافعاً. كانت ملامح وجهه

دقيقة جداً، وكان لونه الأسمر يتباين مع لون عينيه الزرقاوين زرقة فاتحة. كان قد ورث لون بشرته عن جده والعينين الزرقاوين عن ماما إيلينا. كانت عيناه مثل عيني جدته تماماً. كان خلفهم الرقيب تريسينيو، الذي عُن بعد انتهاء الثورة حارساً شخصياً لخيرتروديس.

عند مدخل المزرعة كان نيكولاس وروساليو وهما بملابس الفرسان التشريعية يتسلمان بطاقات الدعوات من الأشخاص الذين كانوا مازالوا يتوافدون. كانت بطاقات جميلة للغاية. كان أليكس واسبرائلا قد نفذاها شخصياً. كان ورق البطاقات والحبر الأسود الذي كتبها به والصبغة الذهبية التي زُينت بها حواف الأظرف والحمرة التي ختمها بها من عملهما وفخرهما. كان كل شيء معداً حسب التقاليد وباستخدام وصفات عائلة دي لا جارثا. ماعدا الحبر الأسود الذي لم يكن هناك داعٍ لصنعه فقد تبقى كم كاف من الذي أعد لزفاف بيدرو وروساورا. كان حبراً جافاً في حاجة فقط لإضافة قليل من الماء فأصبح كأنه جديد. ويمكن الحصول على هذا بإضافة ٨ أوقيات من الصمغ العربي و خمس أوقيات ونصف الأوقية من العفص وأربع أوقيات من كبريتات الحديد وأوقيتين ونصف الأوقية من البقم ونصف أوقية من كبريتات النحاس. ومن أجل الصبغة الذهبية التي توضع على حواف الأظرف، تؤخذ أوقية من الرهج الأصفر وأخرى من

الصخر البلوري المسحوق جيداً. توضع هذه المساحيق في بياض خمس أو ست بيضات مخفوق جيداً حتى يصبح مثل الماء. أما الحمرة فإنها تُعد بإذابة رطل من صمغ أللك ونصف رطل من لبان جأوه ونصف رطل من الجِلْف ورطل من الزنجفر.

عند تفريغ هذا السائل فوق مائدة مدهونة بزيت اللوز الحلو وقبل أن يبرد تشكل العيدان أو القوالب.

كان كل من اسبرائثا وأليكس قد أمضيا أمسيات كثيرة وهما ينفذان حرفياً هذه الوصفات حتى يستطيعا عمل بطاقات مميزة. وقد حققا ذلك. وكانت كل بطاقة تحفة فنية. جاءت نتاج عمل يدوي كان للأسف في طريقه لأن يصبح موضة قديمة بجانب الملابس الطويلة والرسائل الغرامية والفالس. لكن بالنسبة لتيتا وبيدرو لن يكون بالمرّة موضة قديمة فالس "عيون شابة" الذي كانت تعزفه في تلك اللحظة الفرقة الموسيقية بناءً على طلب صريح من بيدرو. كان كلاهما ينزلق فوق حلبة الرقص وهما يشعان ظرفاً. كانت تيتا في أوج روعتها. وكأن الاثنين والعشرين عاماً التي مضت منذ زواج بيدرو وروسارا لم تنل منها البتة. ففي التاسعة والثلاثين من العمر كانت لاتزال نظرة وممشوقة القوام مثل خيارة مقطوفة لتوها.

كانت عينا جون تتبعهما وهما يرقصان ويديان حناناً مشوباً باستسلام للمقادير. كان بيدرو يلمس بلطف خد تيتا بخده وكانت

هي تشعر بأن يد بيدرو حول خصرها تكويها بشكل لم يسبق له
مثيل

- هل تذكرين عندما سمعنا لأول مرة تلك القطعة
الموسيقية؟

- لن أنسى ذلك قط .

- لم أتم تلك الليلة وأنا أفكر في طلب يدك مباشرة . لم
أكن أعلم لماذا انتظرنا مرور ٢٢ عاماً لأعود وأسألك إذا كنت
ترغبين في أن تكوني زوجتي .

- هل أنت جاد فيما تقول ؟

- بالطبع ! لا أريد أن أموت قبل أن تكوني كذلك . كنت
أحلم دائماً بأنني أدخل معك كنيسة مليئة بالزهور البيضاء وأنت
أجمل زهرة وسطها .

- مرتدية ملابس بيضاء ؟

- بالطبع ! لاشيء يمنعك من ذلك . أتعرفين ماذا أيضاً؟
عندما نصبح زوجين ، أريد أن أنجب منك ابناً . مازال الوقت
أمامنا ، أليس كذلك ؟ فالآن ، بعد أن تركنا اسبرانثا ، نكون في
حاجة إلى صبرة .

لم تستطع تيتا أن تحيب بيدرو . منعها غصة في حلقها .

انسابت بعض الدموع ببطء على خديها . إنها أول دموع سعادة لها .

- وأريد أن تعلمي أنك لن تقنعيني بعكس ذلك . لا يهمني ما يمكن أن تعتقده ابنتي أو أي أحد غيرها . لقد أضعنا سنوات طويلة في حرص مما سيقولون ، ولكن منذ الليلة لن يستطيع أحد أن يبعثني عنك .

والحقيقة أنه في هذا الوقت لم يكن يهم تيتا مطلقاً ما يمكن أن يظنه الناس بالإعلان عن العلاقة العاطفية التي كانت بين بيدرو وبينها .

لقد احترمت لمدة عشرين عاماً الاتفاق الذي عقدها هما الاثنان مع روساورا وهاقد تعبت .

كان الاتفاق ينص على أنه - أخذاً في الاعتبار أنه بالنسبة لروساورا - كان أمراً حيوياً الاستمرار في التظاهر بأن زواجها يسير بشكل رائع وأن أهم شيء بالنسبة لها أن تنشأ ابنتها في إطار النظام المقدس لعائلتها فهو الوحيد ، عندها ، الذي يمنحها تنشئة أخلاقية قوية وقد تعهد بيدرو وتيتا بأن يكونا أكثر تحفظاً في لقاءاتهما والمحافظة على كتمان حبهما . وأنه أمام أعين الآخرين سيكونون دائماً عائلة سوية جداً . لهذا كان على تيتا أن ترفض أن يكون لها ابن غير شرعي . ولتعويضها ، كانت روساورا على

استعداد؛ لأن تنقاسم معها إسبرائثا على النحو التالي: تتولى تيتا تغذية الطفلة وروساورا تربيتها.

من جانبها، كانت روساورا مضطرة إلى التعايش معها بطريقة ودية متفادية الغيرة والاعتراض.

احترم الجميع الاتفاق بشكل عام ماعدا ما يتعلق بتربية إسبرائثا. فقد كانت تيتا تريد لإسبرائثا تربية مختلفة جداً عن التي كانت روساورا تخططها لها. هكذا، وبالرغم من أن ذلك لم يكن يخصها، كانت تستغل اللحظات التي تكون فيها إسبرائثا بجانبها لمنح الطفلة نوعاً آخر من المعارف مختلفاً عما تعطيه لها أمها.

كانت هذه اللحظات تمثل الجزء الأكبر من اليوم، فقد كان المطبخ هو المكان المفضل لإسبرائثا. كانت تيتا أفضل أمين سر وصديق.

وكان بالتحديد في إحدى الأمسيات التي كانتا تمضيانها سوياً في المطبخ عندما علمت تيتا أن أليكس، ابن جون براون، يخطب ود إسبرائثا. كانت تيتا أول من علم بذلك. فقد التقيا مرة أخرى، بعد سنوات طويلة، في حفل المدرسة التدرية التي كانت إسبرائثا تدرس فيها. وكان أليكس في طريقه إلى الانتهاء من دراسته كطبيب. ومنذ اللحظة الأولى انجذب كل منهما للآخر. علمت تيتا عندما قالت لها إسبرائثا إنها شعرت عندما وقعت نظرة

أليكس على جسدها، بأنها مثل عجينة البونويلو^(٣٣) وهي تسقط في الزيت المغلي، أن أليكس واسبرانثا سوف يرتبطان لا محالة.

حاولت روساورا بكل السبل منع ذلك. فقد عارضت منذ البداية صراحة وبشكل قاطع. تشفع بيدرو وتيتا لاسيرانثا وبهذا الشكل بدأت بينهم معركة موت حقيقية. كانت روساورا تطالب بأعلى صوتها بحقوقها: إن بيدرو وتيتا يخلان بالاتفاق ولم يكن ذلك عادلاً.

لم تكن المرة الأولى التي يتشاجرون فيها بسبب إسبرانثا. كانت المرات الأولى لأن روساورا كانت تصرّ على عدم ذهاب ابنتها إلى المدرسة، فقد كانت تعتبر ذلك مضيعة للوقت. فإذا كان دور إسبرانثا في هذه الحياة هو فقط رعايتها هي، أمها، للأبد. فأنها ليست في حاجة إلى زيادة معارفها. كان الأفضل أن تدرس العزف على البيانو والغناء والرقص. فبإتقانها هذه الأنشطة ستستفيد كثيراً في الحياة. أولاً، لأن بذلك يمكن لإسبرانثا أن توفر لروساورا أمسيات من التسلية واللهو وثنائياً، لأن مشاركتها في الاحتفالات الاجتماعية ستكون من الأبرز والأجدر بالاعتبار. بهذا الشكل تستأثر باهتمام الجميع، وستستقبل دائماً بالترحاب داخل الأوساط الراقية. بعد مجهود كبير، استطاعا اقناع روساورا

(٣٣) نوع من المعجنات الحلوة يشبه بلع الشام أو الزلابي.

بعد مناقشات طويلة أن المهم لإسبرانثا، بجانب الغناء والرقص والعزف على البيانو ببراعة، الحديث في أشياء مهمة عندما يتقربون منها، ولهذا كان أمراً حيوياً أن تذهب إلى المدرسة، قبلت روساورا، مكرهة، إرسال ابنتها إلى المدرسة، ولكن فقط لأنها قد اقتنعت بأن إسبرانثا، بالإضافة إلى أنها ستستطيع التحدث بطريقة لطيفة وممتعة، فإنها بشكل أساسي سوف تتعايش مع النخبة من أبناء ييدراس نجراس. عندئذ انتظمت إسبرانثا في أحسن المدارس بهدف صقل مداركها. وتولت تيتا، بدورها، تعليمها شيئاً على نفس الدرجة من القيمة: أسرار الحياة والحب عن طريق المطبخ.

كان الانتصار الذي تحقق على روساورا كافياً بالقدر الذي لم يسمح بشجار آخر قوى حتى الآن، وعندما تقدم أليكس بإمكانية خطوبة. ثارت روساورا عندما رأت أن بيدرو وتيتا يساندان بلا شرط إسبرانثا. حاربت بكل السبل التي باستطاعتها مثل لبؤة للدفاع عن ما ينتمى إليها عبر التقاليد: ابنة تسهر عليها حتى وفاتها. صاحت، ضربت برجليها، صرخت، بصقت، تقيأت وهددت بلا أمل. وانتهكت الاتفاق لأول مرة وصبت اللعنات ضد بيدرو وتيتا إضافة إلى تحميلهما ذنب كل العذاب الذي تعانيه.

تحول البيت إلى ميدان معركة. كان إغلاق الباب بعنف ضمن الجدول اليومي. لحسن الحظ، لم تمتد هذه التزاعات وقتاً

طويلاً، فبعد ثلاثة أيام من أعنف وأصلف المعارك بين الفريقين، ماتت روساورا بسبب مشاكل هضمية ضخمة. ماتت بـ . . . الطريقة التي ماتت بها.

إن أكبر انتصار لتيتا هو التوصل إلى تزويج أليكس وإسبرانثا. كم كانت تشعر بالفخر وهي ترى إسبرانثا في غاية الثقة في نفسها، في غاية الذكاء والإعداد والسعادة والكفاءة، وفي نفس الوقت في غاية الأنوثة والحيوية كامرأة بمعنى الكلمة. كانت تبدو في غاية الجمال وهي بفستان العرس وهي ترقص مع أليكس فالس "عيون شابة".

عندما انتهت الموسيقى اقترب كل من باكيثا وخورخي من عائلة لوبو، لتهنئة بيدرو وتيتا.

/ - تهانينا يا بيدرو، لم تكن ابنتك تجد على وجه الأرض من هو أفضل من أليكس لحظة.

- نعم، إن أليكس براون شاب رائع. أسوأ شيء أنهما سوف يتركاننا. لقد حصل أليكس على منحة للحصول على الدكتوراه من جامعة هارفارد، واليوم بعد الزفاف يتوجهان إلى هناك.

- يا للقسوة ياتيتا! وماذا ستفعلين؟ علقت باكيثا وهي تبث سمومها - فبدون إسبرانثا في البيت لن يكون بمقدورك البقاء

بجانب يبدرو. أى، قبل أن تذهبي للعيش فى مكان آخر، اعطينى
وصفة الفلفل فى صلصة الجوز. يبدو لذيذاً

لم يكن الفلفل فى صلصة الجوز طيباً فقط، بل كان بالفعل
لذيذاً. لم تخرج من يد تيتا من قبل هذه الأكلة بتلك اللذة. كان
الفلفل يُظهر بزهو ألوان راية البلاد: الفلفل الأخضر، صلصة
الجوز أبيض، و الرمان الأحمر.

لم تبق الأطباق ثلاثية الألوان طويلاً: فبين غمضة عين
وومضتها اختفى الفلفل من الصحون الكبيرة... كم كان بعيداً
اليوم الذى شعرت فيه تيتا بأنها مثل حبة الفلفل فى صلصة الجوز
التي تُترك حياءً لعدم إظهار النهم.

كانت تيتا تتساءل هل سبب انه لم يتبق ولا فلفلة واحدة
كان اشارة إلى أن التقاليد الطيبة فى طريقها إلى النسيان أم لأن
طعمه كان بالفعل رائعاً.

كان الندماء يبدون مسرورين. ياللفرق بين هذا الزفاف
وزفاف يبدرو و روساورا الذي كان نحساً، عندما انتهى بتسمم كل
المدعوين. أما الآن، فعلى العكس، عند تذوق الفلفل فى صلصة
الجوز، بدلاً من الشعور بخنين شديد وإحباط، شعر الجميع
باحساس يشبه ما أحسته خيرتروديس عندما أكلت السمان بيتلات
الورد. وللتغيير كانت خيرتروديس أول من شعر من جديد

بالأعراض . كانت فى وسط فناء البيت ترقص مع خوان على إنغام " قائدى المعشوق " وكانت تغنى قرار الأغنية وهى ترقص كأنما لم ترقص من قبل . كل مرة كانت تنطق فيها الـ " أى ، أى ، أى ، أى ، قائدى المعشوق " ، كانت تتذكر العهد الماضى عندما كان خوان ما يزال قائداً ، وكانت معه فى قلب الميدان عارية تماماً . شعرت مباشرة بحرارة فى ساقيهما ، ودغدغة داخل جسدها ، والأفكار الأثمة ، وقررت الانسحاب هى وزوجها قبل أن تتفاقم الأمور . كانت خيرتروديس أول من بدأ التفرق . اعتذر كل المدعوين أيضاً ، بحجة أو بأخرى وبنظرات شهوانية ، وانسحبوا . شكر لهما العروسان ذلك حتى يكونا فى حرية لأخذ أمتعتيهما والسفر فى أسرع وقت ممكن . فقد كانا فى عجلة للوصول إلى الفندق .

عندما تنبه كل من تيتا وييدرو ، لم يكن فى المزرعة سوى جون وتشيتشا وهما فعسب . والآخرى جميعاً ، بما فيهم عمال المزرعة ، كانوا فى أبعد مكان يمكنهم الوصول اليه يمارسون الحب بخلاعة . بعضهم أسفل جسر بيدراس نجراس وإيجل باس والاكثر محافظة داخل سيارتهم الراكنة بغير نظام فى طريق السيارات والأغلبية حيث استطاعوا . أى مكان كان صالحاً : فى النهر ، على الدرج ، فى الحوض الخشبي ، فى المدفأة ، فى موقد المدفأة ، فى فترينة الصيدلية ، فى الدولاب ، فى أعلى الأشجار . إن الحاجة أم

الاختراعات والمواقف كلها: فقد ظهرت فى ذلك اليوم إبداعات لم تظهر بالمرّة فى تاريخ الإنسانية.

كانت تيتا وييدرو يقومان من جانبهما بمجهود جبار حتى لا يطلقا لجام اندفاعاتهما الجنسية، ولكن هذه كانت على درجة من القوة؛ بحيث تخطت حاجز جلدهما وخرجت مندفعة على شكل حرارة ورائحة فريدة. لاحظ جون ذلك وعندما رأى أنه ضيف ثقيل، استأذن وذهب. تأملت تيتا لرؤيته يذهب وحيداً. كان يجب على جون أن يتزوج من غيرها عندما رفضت هى أن تكون زوجته. ولكنه لم يفعل ذلك بالمرّة.

عندما ذهب جون، طلبت تشيتشا السماح لها بالذهاب إلى قريتها: فمنذ أيام ذهب زوجها ليعمل كبناء طوب وفجأة شعرت برغبة قوية فى رؤيته.

لو كان بيدرو وتيتا قد خططا للبقاء وحدهما لشهر العسل لما استطاعا ذلك وبأقل مجهود. فلأول مرة فى حياتهما يمكنهما أن يتحابا بحرية. فلسنوات عديدة كان عليهما اتخاذ سلسلة من الإحتياطات حتى لا يرونها، حتى لا يشك أحد فيهما، حتى لا تحمل تيتا، حتى لا يصرخان من اللذة وأحدهما داخل الآخر. من الآن فإن كل ذلك ينتمى للماضى.

دون الحاجة إلى كلام أمسك كل منهما يد الآخر وتوجها إلى الحجرة المظلمة. وقبل أن يدخلها بيدرو بين ذراعيه،

فتح الباب ببطء وبدأت الحجرة المظلمة أمام عينيهِ وقد تحولت تماماً. اختفت كل الكراكيب. لم يكن بها سوى السرير النحاسي ممتداً بعظمة في وسط الحجرة. كانت الملاءات الحريرية وغطاء السرير بيضاء اللون مثل السجادة ذات الأزهار التي كانت تفرش الأرض والـ٢٥٠ شمعة التي كانت تضيئ ما يسمى خطأ الآن بالحجرة المظلمة. تأثرت تيتا وهي تفكر في المجهود الذي بذله بيدرو لتزينها بهذا الشكل، وكذلك بيدرو، فكر في كيف وجدت تيتا سبيلاً لعمل ذلك في الخفاء.

كانا مفعمين باللذة إلى درجة عدم انتباههما إلى أن ناتشا كانت في ركن من الحجرة تشعل آخر شمعة ثم وهي صامتة تلاشت.

وضع بيدرو تيتا على السرير وبدأ يخلع لها ببطء قطعة قطعة الثياب التي كانت تغطيها. بعد تبادل المداعبات والنظرات بحنان مطلق، اطلقا عنان العاطفة المكبوتة لسنوات طويلة.

امتزج صوت خبطات رأس السرير النحاسي نحو الحائط و الأصوات الحلقية التي أطلقاها مع صوت آلاف الحمام وهو يطير فوقهما متبداً. فقد أومأت الحاسة السادسة التي تتمتع بها الحيوانات للحمام انه يجب عليه الهرب بسرعة من المزرعة. نفس الشيء فعلته كل الحيوانات الأخرى، البقر، الخنازير، الدجاج، السمان، الحملان والأحصنة.

لم تستطع تيتا الإنتباه لآى شئ. كانت تشعر بأنها تقترب من الذروة بشدة إلى درجة أن عينيها كانتا تريان وهما مغلقتان وظهر أمامها نفق ساطع.

تذكرت فى تلك اللحظة الكلمات التى قالها لها جون يوماً ما: إذا ما تم بسبب إنفعال قوى جداً اشتعال كل الثقاب التى نحملها فى داخلنا مرة واحدة، تنشأ اشراقه قوية للغاية تضىء إلى أبعد ما يمكننا رؤيته عادة وعندئذ يظهر أمام أعيننا نفق ساطع ينير لنا الطريق الذى نسيناه لحظة مولدنا، والذى ينادينا لنلتقى من جديد مع أصلنا المقدس الضائع. تتوق الروح إلى العودة من جديد إلى مكان نشأتها، تاركة الجسد ساكناً. . . . احتوت تيتا انفعالها.

لم تكن تريد أن تموت. كانت تريد تجربة تفجّر المشاعر هذا نفسه عدة مرات أكثر. فقد كانت هذه هى البداية فقط.

حاولت أن تعيد تنفسها إلى طبيعته، ولم تنتبه إلا الآن إلى صوت رفرقة آخر سرب حمام اثناء رحيله. لم تكن تسمع بجانب هذا الصوت، إلا صوت قلوبهما. كانت النبضات قوية إلى درجة أنها كانت تستطيع بما فى ذلك أن تشعر بقلب بيدرو وهو يصطدم بجلد صدرها. فجأة توقفت هذه الضربات بغتة. ساد صمت مميت بكل الحجرة. ولم تستغرق وقتاً طويلاً في إدراك أن بيدرو قد مات.

ماتت مع بيدرو امكانية العودة إلى إشعال نيرانها الداخلية، ذهبت معه كل اعواد الثقاب وكانت تعرف أن الحرارة الطبيعية التي تشعر بها الآن سوف تبدأ في الخمود شيئاً فشيئاً، ملتهمة جوهرها الذاتي مالم تجد غذاء يبقى عليها.

مؤكد أن بيدرو قد مات لحظة النشوة عندما نفذ في النفق المضيئ. ندمت لأنها لم تفعل نفس الشيء. يستحيل عليها الآن العودة إلى رؤية ذلك الضوء مرة أخرى فلم تعد قادرة على الشعور بشئ. ستظل تهيم في الظلمات إلى الأبد، وحيدة، وحيدة للغاية. كان عليها أن تجد وسيلة، حتى لو كانت صناعية، لجلب نار يمكنها أن تضيئ طريق العودة إلى الأصل وإلى بيدرو. ولكن كان يلزم الحد من البرد القارس الذي بدأ يشلها. نهضت، أسرعت إلى غطاء السرير الهائل الذي كانت قد غزلته ليلة بعد ليلة من ليالي الوحدة والسهاد ووضعت فوقها. كست به الثلاثة هكتارات التي كانت تمثل مساحة المزرعة بأكملها. أخرجت من درج مكتبها علبة أعواد الثقاب التي اهداها لها جون. كانت تحتاج إلى فسفور كثير في جسدتها. بدأت تأكل أعواد الثقاب التي كانت بالعلبة واحداً تلو الآخر. كانت عند مضغ كل عود تغلق عينيها بقوة وتحاول إعادة نسج الذكريات الأكثر انفعالاً بينها هي وبيدرو. أول قبلة، أول مداعبة، أول علاقة جنسية. وتوصلت إلى ما كانت تلمسه. فعند تلامس الفوسفور الذي كانت تمضغه

بالصورة المضيئة التي تستدعيها، كان الثقاب يشتعل. بدأت رؤيتها تتبصر شيئاً فشيئاً حتى ظهر أمام عينيها من جديد النفق. هنالك، عند المدخل، كانت صورة بيدرو المضيئة، تنتظرها. لم تتردد تيتا. تركت نفسها تذهب للقائه وذاب كلاهما في عناق طويل وهما يمارسان من جديد ذروة العاطفة رحلا سوياً نحو الجنة المفقودة. لن ينفصلا بعد ذلك بالمرة.

في تلك اللحظة بدأ جسدا بيدرو وتيتا المتقدان في إطلاق شرر. أشعل الشرر غطاء السرير الذي أشعل بدوره المزرعة كلها. كم كان الوقت مناسباً الذي هاجرت فيه الحيوانات، لتنجو من الحريق! تحولت الحجرة المظلمة إلى بركان شره. كان يطلق حمماً ورماداً في كل اتجاه. كانت الحمم عندما تصل إلى أعلى ارتفاع لها تنفجر متحولة إلى أضواء بكل الألوان. كان سكان المناطق القريبة يشاهدون المنظر على بعد عدة كيلو مترات معتقدين أنها الألعاب النارية الخاصة بحفل زفاف اليكس وإسبرانشا. ولكن عندما استمرت هذه النيران لمدة اسبوع اقتربوا حياً للاستطلاع.

كانت طبقة من الرماد بارتفاع عدة أمتار تغطي المزرعة كلها. وعندما عادت إسبرانشا، أمي، من رحلة الزواج، وجدت فقط اسفل بقايا ماكانت مزرعة هذا الكتاب الخاص بالمطبخ الذي أورتنتي إياه عند موتها، والذي تحكى كل وصفة من وصفاته قصة الحب المدفونة هذه.

يقولون إنه قد نبتت أسفل الرماد كل أنواع الحياة محولة تلك الأرض إلى أكثر أراضى الإقليم خصوبة.

كان من حسن حظى خلال طفولتى التمتع بالفاكهة والخضار الذى كان ينتج هناك. مع الوقت أمرت أمى ببناء مبنى صغير فى تلك الأرض به شقق. مازال يعيش فى إحداها أبى، إليكس. وسوف يأتى اليوم إلى بيتى للاحتفال بعيد ميلادى. لذلك فأنا أعد كعك عيد الميلاد، طبقى المفضل. كانت أمى تعد لى كل عام. أمى!... كم أشتاق لطعم أكلها، رائحة مطبخها، أحاديثها وهى تعد الطعام، كعكة عيد الميلاد! لست أدرى لماذا لا أصنعها كما كانت تصنعها هى، ولا أدرى أيضاً لماذا أذرف كماً من الدمع وأنا أعده، ربما لأننى حساسة للبصل مثل تيتا، خالتي، والتي ستظل حية طالما يكون هناك من يظهر وصفاتها.

المشروع القوي للترجمة

- ١- اللغة العليا (طبعة ثانية)
 - ٢- الوثيقة والإسلام
 - ٣- التراث المسروق
 - ٤- كيف تتم كتابة السيناريو
 - ٥- ثريا في غيبوبة
 - ٦- اتجاهات البحث القساني
 - ٧- العلوم الإنسانية والنفسية
 - ٨- مشعلو الحرائق
 - ٩- التأثيرات البيئية
 - ١٠- خطاب الحكاية
 - ١١- مختارات
 - ١٢- طريق الحرير
 - ١٣- نبأنا السامعين
 - ١٤- التطويل النفسي والأدب
 - ١٥- العركات الفنية
 - ١٦- أثنية السوءاء
 - ١٧- مختارات
 - ١٨- الشعر السائلي في أمريكا اللاتينية
 - ١٩- الأعمال الشعرية الكاملة
 - ٢٠- قصة العلم
 - ٢١- خوخة وألف خوخة
 - ٢٢- مذكرات رحالة عن المصريين
 - ٢٣- تجلي الهميل
 - ٢٤- ظلال المستقبل
 - ٢٥- مشوى
 - ٢٦- دين مصر العام
 - ٢٧- التنوع البشري الخلاق
 - ٢٨- رسالة في التسامح
 - ٢٩- الموت والوجود
 - ٣٠- الوثيقة والإسلام (ط٢)
 - ٣١- مصنف دراسة التاريخ الإسلامي
 - ٣٢- الانقراض
 - ٣٣- التاريخ الاقتصادي لإفريقيا القوية
 - ٣٤- الرواية العربية
 - ٣٥- الأسطورة والحداثة
- جون كوين
 - ك. ماديو باتيكار
 - جودج جيمس
 - انجا كارينتكوف
 - إسماعيل فصيح
 - ميلكا إيفيتش
 - لوسيان غولدمان
 - ماكس فريش
 - أندرو س. جودي
 - جيرار جينيت
 - فيسولفا شيمبورسكا
 - ديفيد براونينستون وأيرين فراغ
 - روبرتسن سميت
 - جان بيلمان نويل
 - إدوارد لوس سميت
 - مارتن برنال
 - فيليب لاركين
 - مختارات
 - جودج سفيريس
 - ج. ج. كراوثر
 - صعد بهرنجي
 - جون أنتيس
 - هانز جوبورج جولدماو
 - باتريك بارنتر
 - مولانا جلال الدين الرومي
 - محمد حسين فيكل
 - مقالات
 - جون لوك
 - جيمس ب. كارس
 - ك. ماديو باتيكار
 - جان سوفيجه - كود كاين
 - ديفيد روس
 - أ. ج. هويكنز
 - روجر آلن
 - بول . ب . ديكسون
 - ت : أحمد درويش
 - ت : أحمد فؤاد بايع
 - ت : شوقي جلال
 - ت : أحمد الحضري
 - ت : محمد علاء الدين منصور
 - ت : سمع مصطوح / وفاء كامل فايد
 - ت : يوسف الأتكي
 - ت : مصطفى ماهر
 - ت : محمود محمد عاشور
 - ت : محمد منقسم عبد الجليل الأريسي
 - ت : هناء عبد الفتاح
 - ت : أحمد محمود
 - ت : عبد الوهاب غلوب
 - ت : حسن الزوين
 - ت : أشرف رفيق عطيلي
 - ت : يشارف لحد عثمان
 - ت : محمد مصطفى بدوي
 - ت : طلعت شاهين
 - ت : نعيم عطية
 - ت : يعني طريف الفولاني / بدوي عبد الفتاح
 - ت : ماجدة العناني
 - ت : سيد أحمد علي الناصري
 - ت : سعيد تراقي
 - ت : بكر عباس
 - ت : إبراهيم التسوقي شتا
 - ت : أحمد محمد حسين فيكل
 - ت : نجية
 - ت : منى أبو سنه
 - ت : بدر الدين
 - ت : أحمد فؤاد بايع
 - ت : عبد الستار الطوجي / عبد الوهاب غلوب
 - ت : مصطفى إبراهيم فهمي
 - ت : أحمد فؤاد بايع
 - ت : حصة إبراهيم المنيف
 - ت : خليل كفت

- ٢٦- نظريات السرد الحديث
٢٧- واحة سيرة وموسيقاها
٢٨- نقد الحداثة
٢٩- الإغريق والحسد
٤٠- قصائد حب
٤١- ما بعد المركزية الأوروبية
٤٢- عالم ماك
٤٣- اللهب المزوج
٤٤- بعد عدة أصناف
٤٥- التراث للفنور
٤٦- عشرون قصيدة حب
٤٧- تاريخ الفن الأدبي الحديث (١)
٤٨- حضارة مصر الفرعونية
٤٩- الإسلام في البلقان
٥٠- ألف ليلة وليلة أو القول الأسير
٥١- معمار الرواية الإسبانية أمريكية
٥٢- العلاج النفسي التدمي
٥٣- النراما والتعليم
٥٤- المفهوم الإغريقي للمسرح
٥٥- ما وراء العلم
٥٦- الأعمال الشعرية الكاملة (١)
٥٧- الأعمال الشعرية الكاملة (٢)
٥٨- مسرحيات
٥٩- الحيرة
٦٠- التصديق والشكل
٦١- موسوعة علم الإنسان
٦٢- لغة النص
٦٣- تاريخ الفن الأدبي الحديث (٢)
٦٤- برتراند راسل (سيرة حياة)
٦٥- في مدح الكسل ومقالات أخرى
٦٦- خمس مسرحيات أندلسية
٦٧- مختارات
٦٨- تشاها العجز وقصص أخرى
٦٩- عالم الإنسان في أول القرن العشرين
٧٠- ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية
٧١- السيدة لا تصلح إلا لرمي
٣- حياة جامس محمد
٣- جمال عبد الرحيم
٣- أنور مخيت
٣- منيرة كروان
٣- محمد عبد إبراهيم
٣- طلف احمد / إبراهيم قتي / محمود ملب
٣- أحمد محمود
٣- المهدي أخريف
٣- مارلين تادرس
٣- أحمد محمود
٣- محمود السيد علي
٣- مجاهد عبد المنعم مجاهد
٣- ماهر جويجاني
٣- عبد الوهاب علوب
٣- محمد بركة يشاني المليلي يوسف الأشكلي
٣- محمد أبو العطا
٣- لطفي فطيم وعادل بمرdash
٣- موسى سعد الدين
٣- محسن مصيلحي
٣- علي يوسف علي
٣- محمود علي مكي
٣- محمود السيد - ماهر البطوطي
٣- محمد أبو العطا
٣- السيد السيد سهيم
٣- هبري محمد عبد الفن
٣- مزاجنة وإشراف : محمد الجوهري
٣- محمد خير البقاعي
٣- مجاهد عبد المنعم مجاهد
٣- رسييس عوش
٣- رسييس عوش
٣- عبد القليلف عبد الحليم
٣- المهدي أخريف
٣- أشرف الصياغ
٣- أحمد فؤاد متولي وهريفا محمد فهمي
٣- عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٣- حسين محمود
والاس مارتن
بروجيت شيلو
ألن تورين
بيتر والكين
أن سكستون
بيتر جران
بنجامين باروي
أوكافير يات
ألدوس هكسلي
روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين
بايلو نيروبا
رينيه ويلييك
فرانسوا دوما
ه . ت . توريس
جمال الدين بن الشيخ
داريو بيانونيا وغ . م بينتاليستي
بيتر . ن . توفاليس وستيفن . ج .
روجسيفيتز وروجر بيل
أ . ف . ألتجكين
ج . مايكل واتسون
جون بولكنجهيم
فديريكو غرسية لوركا
فديريكو غرسية لوركا
فديريكو غرسية لوركا
كارلوس مونثيت
جوهانز آيتين
شارلوت سيمور - سميت
رولان يارت
رينيه ويلييك
ألن وود
برتراند راسل
أنطونيو جالا
فونلتو بيموا
فانتين راسيوتين
عبد الرشيد إبراهيم
أويشيني تشانج ورورجت
داريو فو

- ٧٢- السياسي العجوز
٧٣- نقد استجابة القارئ
٧٤- صلاح الدين والمالكة في مصر
٧٥- فن التراجم والسيرة الذاتية
٧٦- جاك لاكن وإغواء التحليل النفسي
٧٧- تاريخ النقد الأدبي الحديث ج ٣
٧٨- العولمة: النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية
٧٩- شعيرة التأليف
٨٠- بوشكين عند هالفورد المومو
٨١- الجماعات المختلة
٨٢- مسرح ميغيل
٨٣- مختارات
٨٤- موسوعة الأدب والنقد
٨٥- منصور الحلاج (مسرحية)
٨٦- طول الليل
٨٧- نون والقلم
٨٨- الابتلاء بالتحريم
٨٩- الطريق الثالث
٩٠- رسم السيف
٩١- المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق
٩٢- أساليب ومفاهيم المسرح
٩٣- الإسباني الأمريكي المعاصر
٩٤- محذات العولمة
٩٥- الحب الأول والمسحجة
٩٦- مختارات من المسرح الإسباني
٩٧- ثلاث زبقات وردية
٩٨- هوية فرنسا مع ١
٩٩- الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني
١٠٠- تاريخ السينما العالمية
١٠١- مساهمة العولمة
١٠٢- القمص الروائي (تقنيات ومناهج)
١٠٣- السياسة والتسامح
١٠٤- قبر ابن عربي يليه آباء
١٠٥- أوروبا ما هو جنى
١٠٦- منخل إلى النص الجامع
١٠٧- صورة الفنان في الشعر الأمريكي المعاصر
- ت . س . ، إليوت
چين . ب . ، تومبكينز
ل . ا . ، سميثوفا
أنثريه موروا
مجموعة من الكتاب
رينيه ويليك
روزالد روبرتسون
برويس أوسينسكي
الكسندر بوشكين
بشكت أندرسن
ميغيل دي أونامونو
غوتفريد بن
مجموعة من الكتاب
صلاح زكي أقطاي
جمال مير صانلي
جلال آل أحمد
جلال آل أحمد
أنتوني جينتز
ميغل دي تريانس
باربر الاسونكا
كارلوس ميچال
مايك فيلرستون وسكوت لاش
صمويل بيكيت
أنطونيو بوير بايخو
قصص مختارة
فرنان يروول
نماذج ومقالات
ديفيد رويستون
بيل هيرست وجرهام تومسون
بيرنار غاليل
عبد الكريم الخطيب
عبد الوهاب الملقب
برتوت برويتش
چيزارچينيت
د . ماريا خيسوس روبييرامتي
نخبة
- ت : فؤاد مجلى
ت : حسن نظم وملى حاكم
ت : حسن بيومي
ت : أحمد درويش
ت : عبد المقصود عبد الكريم
ت : مجاهد عبد المتعم مجاهد
ت : أحمد محمود ونورا أمين
ت : سعيد الغامى وتامر حلاوى
ت : مكارم القمري
ت : محمد طارق الشرقاوى
ت : محمود السيد على
ت : خالد المالحى
ت : عبد الحميد شبيحة
ت : عبد الرزاق بركات
ت : أحمد فتحي يوسف شتا
ت : ماجدة العناني
ت : إبراهيم النسوقى شتا
ت : أحمد زايد ومحمد محبى الدين
ت : محمد إبراهيم ميريك
ت : محمد هتاء عبد الفتاح
ت : نادية جمال الدين
ت : عبد الوهاب علوب
ت : فوزية العشماوى
ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
ت : إدوار القراط
ت : بشير السباعى
ت : أشرف الصباغ
ت : إبراهيم قنديل
ت : إبراهيم فتحي
ت : رشيد بنحو
ت : عز الدين الكنانى الإبريسى
ت : محمد بنيس
ت : عبد الغفار مكاوى
ت : عبد العزيز شبيب
ت : د . أشرف على دعوى
ت : محمد عبد الله الجميدى

- ١٠٨- ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي
١٠٩- حروب ألبانيا
١١٠- النساء في العالم القاصي
١١١- المرأة والجريمة
١١٢- الاحتجاج الهائلي
١١٣- راية التمرد
١١٤- مسرحية حصاد كوني وسكان المستنقع
١١٥- غرقة تقضى المرء وحده
١١٦- امرأة مختلفة (درية شفيق)
١١٧- المرأة والجنوسة في الإسلام
١١٨- النهضة النسائية في مصر
١١٩- النساء والأسرة وقوانين الطلاق
١٢٠- الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط
١٢١- الدليل الصغير في كتابة المرأة العربية
١٢٢- نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان
١٢٣- الإمبراطورية العثمانية ومملكتها العلية
١٢٤- الحجر الكاذب
١٢٥- التحليل الموسيقي
١٢٦- فعل القراءة
١٢٧- إرهاب
١٢٨- الأدب المكارن
١٢٩- الرواية الإسبانية المعاصرة
١٣٠- الشرق يصعد ثانية
١٣١- مصر القديمة (التاريخ الاجتماعي)
١٣٢- ثقافة العولة
١٣٣- الخوف من المرايا
١٣٤- تشريح حشرات
١٣٥- المختار من نقد ص. س. إليوت
١٣٦- فلاحو الهاشا
١٣٧- مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية
١٣٨- عالم التليفزيون بين الجمال والعنف
١٣٩- النظرية الشعرية عند إليوت وأندونيس
١٤٠- حيث تنطق الأنهار
١٤١- اثنتا عشرة مسرحية يونانية
١٤٢- الإسكندرية : تاريخ ودليل
١٤٣- قضايا التطير في البحث الاجتماعي
١٤٤- صاحبة اللوكاندة
- مجموعة من النقاد
جون بولوك وهاندل ترويش
حسنه بيجوم
فرانسيس فيندسون
أراين طوي ماكلويد
سادى پلات
ويل شويكا
فرچينيا وولف
سينثيا تلسون
ليلى أحمد
يث بارون
أميرة الأزهرى سليل
ليلى أبو لند
فاطمة موسى
جوزيف فوجت
نيل الكسندر وقناولينا
جون جرائي
سيدريك ثورپ بيلى
فولفانج إيسر
صفاء فتحي
سوزان باسنت
ماريا دولوريس أسيس جارو
أندريه جوند فراتك
مجموعة من المؤلفين
مايك فينستون
طارق على
بارى ج. كيمب
ت. س. إليوت
كينيث كوتو
جوزيف ماري مواريه
إيطاليا تاروني
عاطف فضول
هربرت ميسن
مجموعة من المؤلفين
أ. م. فريستر
ديريك لايدار
كارل جوفوني
- ت : محمود على مكي
ت : هاشم أحمد محمد
ت : منى قطان
ت : وهام حسين إبراهيم
ت : إكرام يوسف
ت : أحمد حسان
ت : نسيم مجلى
ت : سميرة رمضان
ت : نهاد أحمد سالم
ت : منى إبراهيم ، وفاة كمال
ت : نجس النقاش
ت : بإشراف/ رفوف عباس
ت : نخبة من المترجمين
ت : محمد الجندي ، وإيزابيل كمال
ت : منيرة كروان
ت : أنور محمد إبراهيم
ت : أحمد فؤاد بليح
ت : سمحة الخولي
ت : عبد الوهاب علوب
ت : بشير السباعي
ت : أميرة حسن نوير
ت : محمد أبو العطا وأخرون
ت : شوقي جلال
ت : لويس بطر
ت : عبد الوهاب علوب
ت : طلعت الشايب
ت : أحمد محمود
ت : ماهر شفيق فريد
ت : سمح توفيق
ت : كاميليا صبحي
ت : وجيه سيمان عبد المسيح
ت : أسامة إسبر
ت : أمل الجبوري
ت : نعيم عطية
ت : حسن بيومي
ت : عدلى السمرى
ت : سلامة محمد سليمان

- ١٤٥ - موت أرتيميو كروث
١٤٦ - الورقة الحمراء
١٤٧ - خطبة الإذاعة الطويلة
١٤٨ - اللصبة القصيرة (النظرية والتطبيق)
١٤٩ - النظرية الشعرية عند إيلوت وأندريس
١٥٠ - التجربة الإفريقية
١٥١ - هوية فرنسا مج ٢ ، ج ١
١٥٢ - عدالة الهند وقصص أخرى
١٥٣ - غرام الفراشة
١٥٤ - مدرسة فرانكلورت
١٥٥ - الشعر الأمريكي المعاصر
١٥٦ - المدارس الجمالية الكبرى
١٥٧ - خسرو وشيرين
١٥٨ - هوية فرنسا مج ٢ ، ج ٢
١٥٩ - الإيديولوجية
١٦٠ - آلة الطبيعة
١٦١ - من المسرح الإسباني
١٦٢ - تاريخ الكتيبة
١٦٣ - موسوعة علم الاجتماع
١٦٤ - شامبوليون (حياة من نور)
١٦٥ - حكايات الثلج
١٦٦ - العلاقات بين الدين والطوائف في إسرائيل
١٦٧ - في عالم ملاغور
١٦٨ - دراسات في الأدب والثقافة
١٦٩ - إبداعات أدبية
١٧٠ - الطريق
١٧١ - وضع حد
١٧٢ - حجر الشمس
١٧٣ - معنى الجمال
١٧٤ - صناعة الثقافة السوداء
١٧٥ - التليفزيون في الحياة اليومية
١٧٦ - نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية
١٧٧ - أنطون تشيخوف
١٧٨ - مختارات من الشعر اليوناني الحديث
١٧٩ - حكايات أيسوب
١٨٠ - قصة جاويد
١٨١ - النقد الأدبي الأمريكي
١٨٢ - العنف والتوبة
١٨٣ - جان كوكثر على شاشة السينما
- كارلوس فرونتس
ميجيل دي لوبيس
تاتركيد بوسيت
إتريكي أندرسون إمبرت
عاطف فضول
روبرت ج. ليتمان
فرنان برودل
نخبة من الكتاب
فيوليت فانتويك
فيل ميليت
نخبة من الشعراء
جى أنبال وآلان واوبيت فيرمو
التقاضي الكتوي
فرنان برودل
بيكيد هوكس
بول إيرليش
اليخاندرو كاسونا وألفونزو جالا
يوحنا الأسبيري
جوردين مارشال
جان لاكوتير
أ. ن. أمانا سيفا
يشعياهو ليتمان
رابندراناث طاغور
مجموعة من المؤلفين
مجموعة من المؤلفين
ميغيل دايبيس
فرائد بيجو
مختارات
ولتر ت. ستيتس
ايليس كاشمير
لورينزو فيلشس
توم تيتنبرج
هنري تروايا
نخبة من الشعراء
أيسوب
إسماعيل فصيح
فنتست پ. ليتش
وب. بيتس
رينيه چيلسون
- ت : أحمد حسان
ت : علي عبدالرؤف البهي
ت : عبدالغفار مكاوي
ت : علي إبراهيم علي منوفي
ت : أسامة إسير
ت : منيرة كروان
ت : بشير السباعي
ت : محمد محمد الخطابي
ت : فاطمة عبدالله محمود
ت : خليل كلفت
ت : أحمد مرسى
ت : مى التماساني
ت : عبدالعزيز بقوش
ت : بشير السباعي
ت : إبراهيم قلبي
ت : حسين بيومي
ت : زيدان عبدالمعظم زيدان
ت : صلاح عبدالعزيز مجبوب
ت : مجموعة من المترجمين
ت : نبيل سعد
ت : سهير المصايلة
ت : محمد محمود أبو خدير
ت : شكري محمد عباد
ت : شكري محمد عباد
ت : شكري محمد عباد
ت : بسام ياسين رشيد
ت : هنى حسين
ت : محمد محمد الخطابي
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : أحمد محمود
ت : وجيه سمعان عبد المسيح
ت : جلال البنا
ت : حصة إبراهيم المنيف
ت : محمد حمدي إبراهيم
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : سليم عبد الأمير حمدان
ت : محمد يحيى
ت : ياسين طه حافظ
ت : فتحي العشري

- ١٨٤- القاهرة... حالة لا تنام
١٨٥- أسفار العهد القديم
١٨٦- معجم مصطلحات هيجل
١٨٧- الأرضة
١٨٨- موت الأدب
١٨٩- العلى والبصيرة
١٩٠- محاورات كوناغوشيفس
١٩١- الكلام وأسمال
١٩٢- سياحت نامه إبراهيم بيك جـ
١٩٣- عامل النجم
١٩٤- مشاترات من النقد الأتجلو- (أمريكي
١٩٥- شتاء ٨٤
١٩٦- الهلة الأخيرة
١٩٧- الفاروق
١٩٨- الاتصال الجماهيري
١٩٩- تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية
٢٠٠- شعبا القمية
٢٠١- الجانب الفني للفلسفة
٢٠٢- تاريخ النقد الأدبي الحديث جـ
٢٠٣- الشعر والشاعرية
٢٠٤- تاريخ نقد العهد القديم
٢٠٥- الجينات والشعوب واللغات
٢٠٦- الهيرانية تصنع علما جديدا
٢٠٧- ليل إفريقي
٢٠٨- شخصية العرب في المسرح الإسرائيلي
٢٠٩- المسرح والمسرح
٢١٠- مشنويات حكيم سنائي
٢١١- فريدينان دوسوسين
٢١٢- قصص الأثير مرزيان
٢١٣- مصر منذ قدم تاريخين حتى رحيل عبدالناصر
٢١٤- قواعد جديدة للنموذج في علم الاجتماع
٢١٥- سياحت نامه إبراهيم بيك جـ
٢١٦- جوانب أخرى من حياتهم
٢١٧- عمالة السياسة العالمية
٢١٨- رايلولا
٢١٩- بقايا اليوم
٢٢٠- الهيواية في الكون
٢٢١- شعرية كفاي
- هانز اينشتورفر
توماس تومسن
ميخائيل أنود
بُرْجُ علوى
الذين كرتان
بول دى مان
كونغوشيفس
الحاج أبو بكر إمام
زين العابدين المراسي
بيتز إبراهيم
مجموعة من المؤلفين
إسماعيل فصيح
فانتين راسيونين
شمس العلماء شيلي النعماني
امون إمزي وآخرون
يعقوب لاندواي
جيريس سيبيوك
جوزابا رويس
ريثيه ويليك
الطاف حسين حالي
زلمان شاراز
لويجي لوكا كافاللي- سفورزا
جيمس جليك
رامون خولاسنديز
دان أوريان
مجموعة من المؤلفين
سنائي الغزنوي
جوناثان كلار
مرزيان بن رستم بن شروين
ريعمون فلور
أنتوني جيدنز
زين العابدين المراسي
مجموعة من المؤلفين
جون بايلس و ستيت سميث
خوليو كورتازان
كارو ايشجورد
باري باركر
جريجورى جوندايس
- ت: تسوقي سعيد
ت: عيد الوهاب علوي
ت: إمام عبد الفتاح إمام
ت: علاء منصور
ت: عبد الديق
ت: سعيد الفانسي
ت: محسن سيد فرجاني
ت: مصطفى حجازي السيد
ت: محمود سلامة علوي
ت: محمد عبد الواحد محمد
ت: ماهر شوقي فريد
ت: محمد علاء الدين منصور
ت: أشرف الصباغ
ت: جلال السيد الحفناوي
ت: إبراهيم سلامة إبراهيم
ت: جمال أحمد الراعي وأحمد عبد الحفيظ حنا
ت: فكري كليب
ت: أحمد الأنصاري
ت: مجاهد عبد الحليم مجاهد
ت: جلال السيد الحفناوي
ت: أحمد محمود فوزي
ت: أحمد مستجير
ت: علي يوسف علي
ت: محمد أبو العلا عبد الرؤوف
ت: محمد أحمد صالح
ت: أشرف الصباغ
ت: يوسف عبد الفتاح فرج
ت: محمود حديدي عبد الفتى
ت: يوسف عبد الفتاح فرج
ت: سيد أحمد علي الأنصاري
ت: محمد محمود محي الدين
ت: محمود سلامة علوي
ت: أشرف الصباغ
ت: ربيحة سمعان عبد المسيح
ت: علي إبراهيم علي منوفي
ت: طلعت الشمايط
ت: علي يوسف علي
ت: رفعت سلام

| | | |
|--|-----------------------|---------------------------------------|
| ٢٢٢- فرانز كافكا | روثاله جراي | ٢: نسيم مجلي |
| ٢٢٣- العلم في مجتمع حر | بول فيرابتر | ٢: السيد محمد نقادي |
| ٢٢٤- دمار يوغسلافيا | برانكا ماجاس | ٢: متى عبدالقاهر إبراهيم السيد |
| ٢٢٥- حكاية غريق | جابريل چارثيا ماركت | ٢: السيد عبدالقاهر السيد |
| ٢٢٦- أرض للساء وقصائد أخرى | ديفيد هريت لورانس | ٢: طاهر محمد علي البيرري |
| ٢٢٧- الفرس الإنسانية في القرن السابع عشر | مويس مارديا ديف بوركي | ٢: السيد عبدالقاهر عبدالله |
| ٢٢٨- علم الجمالية وطلم اجتماع الفن | جانيت وولف | ٢: تماري تيريز عبدالسيح وخالد حسن |
| ٢٢٩- مازنق البطل الوحيد | تورمان كيغان | ٢: أمير إبراهيم العمري |
| ٢٣٠- من الذباب والفقران والبشر | فرانسواز جاكوب | ٢: مصطفى إبراهيم فهمي |
| ٢٣١- الدرافيل | خايمي سالوم بيدال | ٢: جمال أحمد عبدالرحمن |
| ٢٣٢- ما بعد المعلومات | توم شينر | ٢: مصطفى إبراهيم فهمي |
| ٢٣٣- فكرة الاضمحلال | ارثر هومان | ٢: طلعت المشايب |
| ٢٣٤- الإسلام في السودان | ج. شينر تريمجهايم | ٢: فؤاد محمد عكود |
| ٢٣٥- ديوان شمس التبريزي | جلال الدين مولوي رومي | ٢: إبراهيم الدسوقي شتا |
| ٢٣٦- الغزاة | ميشيل تود | ٢: أحمد الطيب |
| ٢٣٧- مصر أرض الوادي | روين فيرين | ٢: عنايات حسين طلعت |
| ٢٣٨- العولة والتحرير | الانكاد | ٢: ياسر محمد جادافه وعيسى مديوي أحمد |
| ٢٣٩- العربي في الالب الإسرائيلي | جيانزافر - رايرخ | ٢: ثابيه سليمان حافظ وإيهاب صلاح فليق |
| ٢٤٠- الإسلام والغرب وإمكانية الحوار | كامي حافظ | ٢: صلاح عبدالعزيز محمود |
| ٢٤١- في انتظار البرابرة | ج - م كويكز | ٢: أبتسام عبدالله سعيد |
| ٢٤٢- سبعة أنماط من القمع | وايام إيميسون | ٢: صبري محمد حسن عبدالنبي |
| ٢٤٣- تاريخ إسبانيا الإسلامية جا | ليني بروفنال | ٢: علي عبدالرفوف البجبي |
| ٢٤٤- الظليان | لورا إسكيبييل | ٢: تادية جمال الدين محمد |

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٦٠٧٢ / ٢٠٠٠

Estudio Crítico de como agua para chocolate

تدور الرواية حول «تيتا» الابنة الصغرى التى تتحمل بخضوع ونقمة عدم استطاعة الزواج ممن أحبت امتثالاً لتقليد عائلى يقضى بضرورة قيام الابنة الصغرى فى الأسرة برعاية أمها حتى وفاتها ، وهو ما يترتب عليه عدم زواجها طوال تلك الفترة .

وهكذا تتحول «تيتا» ، شيئاً فشيئاً ، إلى رمز المجتمع المكسيكى الجديد الذى تشكل عبر القوى الخارجية للثورة المكسيكية : مجتمع مغلوب على أمره وخاضع .

تنسج عقدة القصة عبر مجموعة من وصفات الطعام التى تؤدي عناصرها الغذائية أحياناً إلى تأثيرات سحرية وهزلية . هذه الوصفات موزعة على اثني عشر شهراً من يناير إلى ديسمبر ، يمثل كل منها فصلاً من فصول الرواية ، تصاحبنا خلال أحداثها مشاعر البطلة وهى إحساس بالغضب لزواج شقيققتها الكبرى من حبيبها الذى رفضت أمها أن تزوجه لها وزوجته من شقيققتها الكبرى ، ورغبة جنسية مكبوتة يصاحبها شعور ووضوح جازم للانفجار والافتضاح لا يجد أمامه من متنفس إلا الطهى .

من هنا نكتشف أن الطهى وتأثيراته هو العنصر الأساسى للرواية . فاللذة التى يؤدي إليها الطعام ، سواء فى طريقة إعدادة أو مذاقه ، هو قاعدة المضمون والشكل فى رواية «الغليان» .

Laura Esquivel